

alexandra.ahlamontada.com

مكتبة مكتبة الإسكندرية

أبراهيم عيسى

أذهب إلى فرعون

اذهب إلى فرعون

alexandra.ahlamontada.com
منتدى مكتبة الإسكندرية

إبراهيم عيسى

فهرس

- ٦ النفاق الابن الشرعي للفساد!
- ١٣ طبعًا الخلفاء يدخلون الجنة "حذف"!!
- ٢١ طويل العمر!
- ٣٠ وكأنما أنت النبي محمد ﷺ وكأنما أنصارك الأنصارُ
- ٣٧ جيش محمد سوف يعود!
- ٥٣ وكمان عايزين يورثوها!!
- ٥٨ من الخوف إلى الكهف!
- ٦٦ جهاد من منازلكم!
- ٧٤ فين أيام القلة المنحرفة المندسة؟
- ٨٢ خايب الصيف .. خايب الشتاء، خايب السلام.. خايب الحرب!
- ٩٠ دعوا الوطن يصرخ، دعوا العلم الأمريكي يحترق علنا!
- ٩٦ تحالف يا مؤمن ولو بمعلومة!
- لماذا تصر الحكومات أننا شعب ما يتمرش فيه يأكل وينكر؟
- ١٠٨
- ١١٥ الحكومة مسؤولة عن حرارة الجو!!
- ١٢٠ إنه طغى
- ١٢٨ هل نكره أمريكا وإسرائيل ..
- ١٣٨ جواز عتريس من فؤادة باطل!
- ١٤٥ وطن في قطار
- ١٥٢ قطاع الأعمال... بالنيات!
- ١٥٨ قداسة الأميرة
- ١٦٦ الله أكبر خربت خبير
- ١٨١ النخبة الرخوة والمعارضة البضة
- ١٨٩ شرف الحكومة مثل عود الكبريت
- ١٩٧ هل هانت مصر حتى يكون شعارها: ادفعوا لنا نحارب لكم
- ٢٠٥ فين الوخيمة؟

- يا حكومتنا السننية: بنية حضرتك لامواخذة أساسية! ٢١١
- كم بهلوان في حياتنا إذن؟ ٢١٩
- الخواجة والشيال ٢٢٨
- لا أحد من هؤلاء يحج.. إنهم يشترون الجنة! ٢٤٢
- مصر تلعب مع الأرجنتين ٢٥٠
- الأمة العربية ونكبة ١٤٨١؟ ٢٥٨
- من الجحور وإلى الجحور تعود! ٢٦٤
- وما دايماً إلا وجه الله ٢٧٠
- أين ذهب الأدباء؟ ٢٧٨
- محجوب عبد الدايم وشركاه! ٢٨٣
- النوم مع العدو! ٢٩١
- فلسطين: البحث عن حق أم عن حل؟ ٣٠١
- هل فرح العرب في الضربة القاتلة التي نالتها الولايات المتحدة الأمريكية؟ ٣١١
- هل ينادي الحجر والشجر على المسلم لقتل اليهود؟ ٣٢٠
- بترول مصر لإسرائيل ٣٣٤
- تحرير فلسطين من أعدائها.. وحكامها! ٣٣٩
- زفرة العربي الأخيرة ٣٤٦
- ومن قال أننا سننهزم لو تصارعت الحضارات! ٣٥٣
- غنم الراعي الأمريكي! ٣٦١
- اعرف عدوك ٣٦٨
- أمريكا تفضل الأسرع.. والأرخص! ٣٧٦
- العبارة في السفارة ٣٨١

الإهداء..

إلى يحيى إبراهيم عيسى

النفاق الابن الشرعي للفساد!

نقل المقريري عن كعب الأحبار قوله للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن الله عندما خلق الدنيا جعل لكل شيء شيئاً، فقال الشقاء أنا لاحق بالبادية، وقالت الصحة وأنا معك.. وقالت الشجاعة أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنة وأنا معك.. وقال الخصب أنا لاحق بمصر، فقال الذل وأنا معك!!" والذل هنا إن صحت الرواية (وأغلب الظن أنها صحيحة) هو القهر والخضوع للآخرين.. مهما كان هؤلاء الآخرون محتلين من جلدة غريبة أو حكاماً من بني جلدتنا.. وجلدتنا طول الوقت تعلمت ثم استكأنت للسع الكرباج ثم امتدت لعبادة صاحب الكرباج!!

بعضهم كان مصاباً بالحريق والبعض قارب على الترقم والسليم منهم كان في غيبوبة يشك الأطباء خروجه منها، ومع ذلك وقف الدكتور إسماعيل سلام وزير الصحة وقتها وسط هذه الكارثة المميتة وضحايا القطار بين الحرق والترقم، بين السكتة القلبية والسكتة الدماغية، ولم يكن يشغل باله سوى مصافحة المرضى ويبلغهم بالحرف الواحد "تحيات السيد الرئيس والسيدة الفاضلة قرينته" وكان دكتور إسماعيل سلام كان يتوقع من المريض المحروق أو الميت إكلينيكيًا أن

يهب ويجري من فوق السرير بمجرد سماع جملته السحرية
وكانها كافية كي يبرأ الأكمه وتحى الموتى!!

لم يسأل الوزير نفسه ولم يسأله بطبيعة الحال غيره: وما
دخل هذه الجملة التي أخذ يرددتها كأنها نشيد وطني طوال
تفقدته الميمون للقتلى والمرضى وقد كان حريصاً على
التحدث في التليفون عن رعاية ودعم السيد الرئيس والسيدة
قرينته والمرء يسأله نفسه عن تماسك المسئول النفسي
والعصبي في أزمة مثل هذه وتصميمه على إيداء آيات النفاق
وسور الولاء وأحاديث الطاعة حتى وهو يقف على جثث
المواطنين ضحايا السياسة، سياسته هو ومن يهوى!

صحيح إنه كلما نطق أي مسئول ووزير الآن فإنه
يحرص سواء لتأمين نفسه وتحصين مكانته أو لدرء التهمة
ودفع المسئولية على أن يذكر في جمل لوححة ومقينة قبل أي
تصريح أو رأي أن ما يفعله هو إنما يقوم به طبقاً لتعليمات
وبناء على توجيهات وتماشياً مع سياسة واستجابة لإرشادات
الرئيس، وبينما يبدو الأمر على أحد وجوهه ولاء من هذا
المسئول أو ذلك للقيادة السياسية التي عينته وأبقته على مقعده
وفي منصبه، فإنه يبدو من وجهة أخرى أن المسئول لا يملك

من أمره شيئاً وإنما هو عبد المأمور!! وربما يظهر من جهة
ثالثة محاولة من المسئول لإسكات أي نقد له أو لما يقوله
ولما يقوم به بدعوى أن نقده والاعتراض عليه إنما هو
اعتراض على ذات القيادة العليا والتي لا تستوجب عندنا إلى
الولاء والطاعة والولع بحكمتها وبصيرتها!!

والمدهش في هذا السياق أن كل ما تفعله الحكومة
ووزراؤها (الذين يتنافسون في حب الرئيس والوطن كما
يصر دكتور عاطف عبيد على التصريح منذ تمكينه من
منصب رئيس الوزراء!) إنما هو كما يتلو المتحدث باسم
المجلس دوماً طبقاً لتعليمات الرئيس ثم إذ بهذه السياسات
تأخذ بالوطن إلى منحى هبوط مروع فيتدخل الرئيس
بقرارات أو تعديلات ما فإذا بنا نسمع نفس تصريحات أنه
بناءً وطبقاً لتعليمات وتوجيهات، فكيف يطالبنا هؤلاء أن نفهم
أن الداء والدواء واحد المصدر وأن المالح والعذب واحد
المنبع!!

عموماً موقف دكتور سلام انتهى نهاية درامية تليق بالفيلم
الذي نعيشه حيث أطيح به وحده فيما يشبه الإهانة السياسية
وخصوصاً أن الجمود والتصلب السياسي الذي تشهده مصر

يجعل من تغيير وزير وحده وبمفرده وقبل أن يتجاوز العشرين عامًا في مقعده حدثًا غريبًا ومدموشًا في نفس الوقت وبات الكل يسأل عن سر الإطاحة بالرجل بينما أساسًا في بلدنا العريقة لو تركت القلم لهوى نفسي لوضعت نقطة فوق حرف عين العريقة. نحن لا نعرف لماذا جاء الوزير كي نعرف لماذا رحل!؟

لكن مشهد دكتور سلام مع ضحايا حادث القطار وما قاله وكرره وأكد! يذكرني بالمحافظ الأسبق ماهر الجندي والذي كانت تلاحقه تهمة الفساد كما تلاحق القطط فأرًا في مستودع ومع ذلك لم يمسه إنس ولا جان إلا بعد خروجه من منصبه (مع مراعاة أن الرجل في الأصل كان مستشارًا!!!) وكان السيد ماهر قد احترف وضع صور ولوحات هائلة الحجم في نواحي محافظته للسيد الرئيس بشكل فادح الكثرة واضح الدلالة كأنه يعلن منافسة الآخرين في حب قيادته السياسية ثم قرر لوحده وبفرده أن يصنع للرئيس تمثالاً في ميدان بالمحافظة مزيدة في النفاق وتزلفاً مريعاً إنما كان يكشف عن محاولته المداراة عن فساده بمزيد من النفاق وبمزيدة على أقرانه وإمعاناً في الولاء والطاعة وانغماساً في ملذات

البقاء على مقعده وفي منصبه، لقد بات الإغراق في النفاق وسيلة للتقرب وللتمدد في المنصب والبقاء في الموقع وليس غريباً أن كل مسئول يبدو مولعاً ومدلهاً في محبة قيادته السياسة إنما يفعل ذلك مرضاة ونفاقاً وتزلفاً من ناحية ومداراة وحماية وتغطية لفساده، وليس عجيباً أننا نرى اتهامات وشائعات بالرشوة والفساد لشخصيات بات كل همها ليلاً نهاراً الغناء بالتمجيد والتقديس والعبادة للسادة! فالنفاق في جوهر الأمر هو الابن الشرعي للفساد، صلة وثيقة وقربى لصيقة بين الفاسد والمنافق، فهو نفاق يحمي فساداً وفساد يستثمر النفاق!

لكن هل معنى رحيل مسئول أو اثنين أن هذه الطريقة في البقاء على المقعد غير ناجعة وثبت فشلها؟ وإجابتي هي النفي.. لا، على سبيل القطع فتلك الطريقة التي نضع لها تعريفاً مختصراً وهو: النفاق بكل قوة من أجل البقاء أكبر مدة، أفلحت وتفلح مع كثيرين شاخوا على مقاعدهم وربما بقوا عليها حتى تراث الفوضى الأرض ومن عليها، وهؤلاء كائنات تستحق أن نضعها في متحف النفاق للقرن العشرين مثلاً ومثلاً ومدرسة وجامعة في كل طرق المديح والتقديس

والتأليه للحاكم، إنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الشيطان عليه فمنهم من يمرح في منصبه من مئات السنين تقريباً ومنهم من قضى وطره ومنهم من ينتظر أكثر وينتصر على الزمن والشيوخ وعلة الجسد أما من أطيح به فهذا يشبه تماماً تخلص السفينة من حمولتها الزائدة أو مجرد قرابين لمعبد الخلود.

المشكلة الحقيقية أن مجتمعاتنا العربية تسمح لصور الحكام أن تملأ جدران الوطن ولتمثيل الأمراء والرؤساء أن تحتشد في الميادين والشوارع وهو ما يعبر عن شعوب تنافق حكامها إما ضعفاً ويأساً وإما خوفاً وقهراً وهو مناخ سائد وسيد في أوطاننا، وغيرها من الأوطان المكبوتة والمكثومة وقد سافر المرء وجاب دولاً ومجتمعات ولم أشهد في أي شارع ولا مدينة ولا ميدان في واشنطن أو برلين أو حتى جوهانسبرج أو غيرها تمثالاً أو حتى صورة لرئيس وكلمات تبايعه حتى الموت. ولا نفهم حتى موت من الضبط؟ حتى موت الحاكم.. أم حتى موت المحكوم!!

طبعًا الخلفاء يدخلون الجنة "حذف"!!

لا زلت أذكر المشهد كأنه جرى أمس، الرئيس السادات
يجلس على منصة في لقاء فكري وسياسي، وأمامه
في الصفوف الأولى عدد من الشخصيات السياسية من بينهم
الشيخ عمر التلمساني مرشد "الإخوان المسلمون" وقتها،
وقد فتح الرئيس السادات على الآخر كعادته فتكلم وتهجم
على شخص عمر التلمساني فإذا بالرجل لا يخاف هيئة
السلطان ولا إرهاب السلطة ولا نفاق الجالسين ولا تقديس
الحاضرين للرئيس فقال زاعقاً: إني أشكو إلى الله، انتقض
السادات وسرت فيه فزعة ورجفة لعلها من أفضل ما كان
فيه فكأنها الخوف من الله حقاً، انكسرت حدة صوته وهو
يوجه كلامه إلى عمر التلمساني مرة أخرى مستقهماً كمن
يريده أن يراجع نفسه ويتراجع عن كلمته: بتقول إيه يا شيخ
عمر؟ فأجابه الرجل بكل بسالة: إني أشكو إلى الله يا ريس.
فرد السادات بلهجته العتب: كده يا عمر تشكو إلى الله،
ثم والغريب أن السادات أخذ يطلب أو يرجو عمر التلمساني
قائلاً: اسحب شكوتك إلى الله يا شيخ عمر!!

كان هذا في نفس الوقت الذي يقف فيه على منصة مجلس
الشعب الشيخ الشعراوي (مع الاعتذار لمحبيه الكثر فحب

الحق أولى) وهو يقول عن السادات في وصلة مدح انجرفت حتى الخطيئة حين جلجل صوته قائلاً: والذي نفسي بيده لو كان لي من الأمر شيء لحملت الرجل الذي رفعنا تلك الرفعة وانتشلنا مما كنا فيه إلى قمة ألا يسأل عما يفعل، وهكذا وضع الشعراوي الرئيس في صف واحد مع النبي ﷺ كما الآية القرآنية لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.. لكن في ذات القاعة نفسها وفي البرلمان نفسه كان هناك نائب آخر هو الشيخ عاشور الذي صاح بعدها بأيام بجرأة وجسارة: يسقط الرئيس أنور السادات.. وسقطت عضويته طبعاً بعد أن أكد النواب بتصفيق حاد أن أحداً لا يمكن أن يسأل الرئيس عما يفعل!!..

والأمر هنا يذكرك بما جرى مع هارون الرشيد حين كان يسمع ابن السماك الواعظ المشهور الذي قال له "يا أمير المؤمنين.. اتق الله واحذره، لا شريك له، واعلم أنك واقف غداً بين يدي الله ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما، جنة ونار" قبكى الرشيد (أخيراً لقينا حاكم عنده دم!) فأقبل الفضل بن الربيع - أحد بطانات الحاكم - وقال للواعظ معاتباً "سبحان الله. هل يخاللك شك في أن أمير المؤمنين

مصروف إلى الجنة إن شاء الله، لقيامه بحق الله وعدله في عباده .. اتفضل يا سيدي ها هم الذين نراهم كثير بيننا يصعدون بالحاكم إلى مصاف الآلهة التي تتلقى إلهامًا ولا تخطئ أبدًا ولا يسألها أحد عما تفعل، وقد امتلأ الوطن بفيضانات من النفاق تجرف الحق والعدل في وجهها وتزين الطغيان والديكتاتورية وتملق أفعالاً ظالمة على أنها قمة العدل وتمتدح أفعالاً فاشلة على أنها قمة النجاح، وتركع إعجابًا بأقوال سقيمة على أنها الحكمة المنزلة والآيات المطهرة، وبات النفاق متاع الحياة الدنيا، هناك نفاق الاستقرار حيث ينافق البعض من أجل بقائهم على مكائبتهم وفي عزبهم ناهيين وجائرين ولأنهم يعرفون أن الولاء والطاعة (وكذلك النطاعة) هي التي أتت بهم، فهم أحرص الناس على النفاق المغالي فيه والممجوج حتى يحفظوا استقرار مقاعدهم، وهناك كذلك نفاق الاستمرار وأصحابه هم الذين لا يكفون عن طموح الترقى والتصعيد لا يرضون بالأبعديات التي بين أيديهم بل يطمعون فيما هو أكبر وأكثر، ومن هنا يمتد نفاقهم من تقديس وتأليه الحاكم إلى تقديس المقعد الجالس عليه والبدلة التي يرتديها وذريته وأهله

وحفدته وأخوته.. ثم هناك نفاق من نوع جديد طازج وهو نفاق اليأس.. حين يدرك البعض أنه لا أمل في حركة ولا بركة ولا تغيير ولا صعود ولا طموح وأنه لا طريق إلا النفاق فيمارسونه يأساً ويحلقون بالركب لعلمهم ينالون ما يرون أنهم أهل له من ثروة أو نفوذ أو إمارة أو سفارة، وهناك النفاق المتذاهبي الذي يعتقد أصحابه أنه قليلاً من النفاق يصلح المعدة ويسمح لهم نفاقهم للسيد والسادة أن يقولوا بعدها كلمة طيبة كشجرة طيبة!! وهناك النفاق الجبان بلا هدف سوى التقليد والمشى وراء القطيع والخوف من عدم النفاق فتتمتد يد تناف حياتهم أو يتلصص عسس على قلوبهم وعقولهم، وهناك النفاق الماسوخي الذي يلجأ إليه مرضى احتقار الذات والتلذذ بالمذلة. هذا هو النفاق بكل أنواعه الذي يحتاج إلى العلماء والمتقنين لتعريبته وفضحه فإذا بهم أول من يمارسونه وأكثر من يحترفونه، حين وقف الإمام أحمد بن حنبل مقيداً ومكبلاً ومضروباً بالسياط ومخنوقاً بدوائر الحديد أمام الخليفة المعتصم قال له: يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك.. فسارع المحيطون بالخليفة من المثقفين والمفكرين والوزراء والركع السجود

يتنادون: يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر يرفض طاعتك وحكمتك ورؤيتك وخطابك.. فأمر الخليفة بأن يرموا ابن حنبل في السجن والجلد والتعذيب. وفي قلب الليل البهيم دخل على ابن حنبل زنارته رفقة من العلماء ومفكري العصر يحاولون إقناع ابن حنبل بعدم معارضة الخليفة وإعلان طاعته واستشهد أحدهم وهو المروزي بقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ادعى بأن إصرار ابن حنبل على المعارضة يعني بقاءه في السجن مع الجلد والتعذيب والموت فكأنه قتل نفسه (شوف الضلالي؟) فرد عليه ابن حنبل: اخز يا رجل (يعني اختشي وخلي عندك دم!) ثم طلب منه أن ينظر خارج السجن ليرى ما حوله، فخرج المروزي فرأى المئات من الشباب يمسكون بأقلام ومحابر في أيديهم فسألهم: انتوا هنا بتعملوا إيه؟ فأجابوه: ننظر ما يقول أحمد بن حنبل فنكتبه.. فعاد فقال لابن حنبل: فيه جماعة قاعدين ماسكين أقلاماً وورقاً منتظرين أي حاجة تقولها فيكتبوها. فقال له ابن حنبل: ... اقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم.!

لنظل نبحث إذن عن مثل هذا المثقف.. وكذلك مثل هذا الرجل الآخر الذي واجه معاوية في عز جيروته وملكوته حين وقف معاوية على منبر صلاة الجمعة قائلاً: أيها الناس إن المال مالنا والفيء فيئنا، من شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه...؟! واستمر يقول خطابه التاريخي هذا في الجمعة التالية ثم الثالثة فإذا برجل يقف في قلب الجامع قائلاً باسم الأمة: كلا يا معاوية إن المال مالنا والفيء فيئنا، من حال بيننا وبينه حاكمناه.. فنزل معاوية من منصة منبره وأمره أن يأتوه بالرجل.. فقال القوم كلهم هلك الرجل.. لكنهم فوجئوا بمعاوية الطاغية التقي يقول لهم: إن هذا الرجل أحياناً أحياء الله، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول "ستكون أئمة من بعدي يقولون فلا يرد عليهم (لا يراجعهم أحد ولا يعارضهم أحد) يتقاذفون في النار كما يتقاذف القردة" صدق رسول الله.. وأني تكلمت أول جمعة فلم يرد عليّ أحد شيئاً فخشيت أن أكون منهم ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يرد عليّ أحد شيئاً فقلت في نفسي أنت من القوم، فتكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد عليّ فأحياني الله (رواه الطبراني).. وكل ما نرجوه إذن أن نحس على دمننا ونرد على حكامنا.. ثم لنعلم

جميعاً أن الموت حق والبعث حق والجنة حق والنار حق...
طيب مم نخاف ونرتجف، مم نفرع ونجزع... إنا وإنك
ميت وهم ميتون.. وسنكون جميعاً لحظتها عرايا، كبيرنا
وصغيرنا، فعلى إيه النفاق يا نصابين.. يا جناء، يا أولاد
الهرمة...؟

طويل العمر!

لم يحدث على مدى العشرين عاماً الماضية أن مات وزير أثناء توليه الوزارة سوى الراحلان عبد الهادي راضي وزير الري ودكتور جلال أبو الذهب وزير التموين. لنكتشف إذن أنه لا رئيس وزارة ولا وزير ولا مسئول ولا رئيس مجلس إدارة صحيفة حكومية أو رئيس تحرير جريدة قومية مات أثناء توليه المنصب يكاد الأمر يكون بلا استثناءات، ما معنى ذلك؟ معناه الواضح المباشر أن السلطة تطيل العمر وكل الكلام الذي تسمعه من مسئولين عن هموم ومسئوليات المنصب كلام كله كذب أو مجرد هراء لا معنى له ولا طائل منه، فكل الترويج السخيف عن توترات ومتاعب ومسئوليات وهموم المنصب الحكومي والوزاري تهريج أشبه بالمنصب فالتواجد على الكرسي يسمح لهم بأطياب الحياة وملذات الدنيا وطول الصحة والعافية ونفوذ السلطة ومراتع العزبة وقصور الاستراحات ورمال الشواطئ والبلاجات الخاصة والفاخرة والحماية والمناعة من المحاسبة والرقابة والعقوبة فضلاً عن أن البقاء الطويل الممتد الأبدى على كرسي المنصب أصاب الجميع بالبلادة من النقد تصاحبها أمراض جنون العظمة والتوهم بتلقي الوحي الإلهي فضلاً عن بطانات المنافقين

والأفاقين الذين يزينون لصاحب المنصب أفعاله ويحولون كلماته إلى آيات قرآنية وأنفاسه إلى قبس نوراني ووحى ينتهي بالرجل الجالس على عرش منصبه إلى الرضا عن الذات والولع بالنفس وتصديق نفاق من حوله، ومن ثم يطول عمر المنصب وصاحبه طويل العمر يطول عمره وينصره على مين يعاديه، هاي هيه!

لقد سمعت وزيراً يتحدث في حوار تلفزيوني مع صحفي قائلاً في صيغة زهد تمثيلي "أنا قاعد النهاردة - يقصد على كرسي الوزارة - ومش قاعد بكرة" وقد ابتسمت وأنا أكلّم نفسي: يا نهار أسود الراجل بقاله ٢٢ (اثنان وعشرون عامًا فقط لا غير) في منصبه وعامل علينا زاهد وكمان عايز يقعد لبكرة!! إن هذا الوزير وغيره يعبر عن النظرية التي أطلقت عليها نظرية (هات الدفتر)، وملخصها أن كل مسئول يتحدث عن سلبياته سارع وصرخ في سكرتيره هات الدفتر وقعد يقرأ لك عددًا من الأرقام: في عام ١٩٨٥ كان لدينا كوبري واحد والآن لدينا ٢٣٤٩٨ كوبري، كان لدينا عام ٨٢ مليون زعزوعة قصب الآن صار لدينا مليار زعزوعة! وهكذا تمتد نظرية هات الدفتر في كل عروق مسئولى البلد لدرجة

أن مسئولاً أخذ يتحدث معي بجديّة وصرامة عن عدد
مواسير المجاري التي زادت فقلت له يا سيدي الفاضل كلما
سمعت الحكومة تردد هذا الكلام برطانتة وعطانتة أصبت
بالإمساك حتى لا أشارك في إنجازاتكم، الغريب أن الحكومة
بتحسب علينا البول بينما أي حكومة في الدنيا تضمن لشعبها
حق التبول في أمان، فضلاً عن أن المجاري لا تحتاج
عبقريّة فذة ولا وزراء من المريخ من الأخذ في الاعتبار
أن الذي صرف على المجاري هي المعونات الأجنبية والله
أعلم كم منها ذهب لمجار أخرى!! ثم حكومة إيه دي اللي كل
ما تكلمها تقولك مجاري وكبار، أين التصنيع والتصدير؟
والصناعات الثقيلة والخفيفة؟ أين التكنولوجيا والاختراعات
العلمية؟ أين الأجهزة الطبية التي نصنعها وأين المعدات التي
نصدرها؟ وأين الاكتفاء الذاتي من محاصيل الغذاء؟ أين
القمح؟ وأين الطاقة الذرية والقنبلة النووية وأين الشباك ترموا
نفسكم منه يا ضلالية؟

إن المسؤولين المتخصصين في مغايرة الشعب ينسون إنهم
يعيشون على قفا أجداننا وكل مصادر الدخل القومي لا علاقة
لحكومة بها ولم تفعل شيئاً إلا تبديدها بعون الله، خد عندك

ما هي مصادر دخل مصر من العملة الصعبة والثروة السهلة؟، أو لآ قناة السويس والمعروف أنها محفورة منذ أيام الحاج الخديوي إسماعيل بدماء جدي وجدك! لا فضل لأي من وزرائنا الميمونين في حفرها والحمد لله!

نأتي إلى ثانيًا وهو البترول وكلنا نعرف أنه عبارة عن تراكم كائنات منذ مئات أو آلاف السنين وعمل من أعمال الطبيعة كما أن اكتشافه والتقيب عنه من خلال شركات أجنبية وسلم أرضك تستلم بمشيئة الله دولاراتك ولا فضل لمسئول واحد في اكتشافه اللهم إلا التصوير يوم الافتتاح ببرنيطة بيضاء!

ننتقل إلى ثالثًا وهو السياحة التي تستند إلى آثار بناها السلف الفالح من الفراعنة والأقباط والسلف الصالح من العصور الإسلامية.. وعلى الصحراء التي يمثل فضل الحكومة فيها أنها تركتها صحراء!! وعلى النيل ونخص بالشكر أوغندا وبحيرة فيكتوريا والمطر الأفريقي العظيم، ثم نصل إلى رابعًا حيث أموال العاملين في الخارج والحقيقة أن دور الحكومة المصرية واضح تمامًا في هذا البند فقد نجحت في تطفيش المصريين وهجوا إلى الخارج ويرسلون

لنا الأموال بينما الحكومة تساعد وتمول رجال أعمال يهربون
هذه الأموال إلى الخارج ثانية!!

من هنا لا أفهم السخف الذي يتردد كل فترة عن ضرورة
تغيير وزارتي، كأن القصة هي تغيير زيد وعبيد (هذا عبيد
آخر غير دكتور عاطف عبيد!) التغيير هو تغيير أقوى أعرق
وأشد، تغيير سياسة وتغيير منهج وتغيير انحيازات!

لا أفهم حالة الإحباط واليأس والكمذ التي تصيب كثيرين
انتظاراً لشيء ثقيل الظل يسمونه تغييراً أو تعديلاً وزارياً
والحقيقة أنني أجد في انتظار هذا التغيير الذي يأتي دائماً
أقرب إلى التعديل أو ألصق بالتهريج وهذا درس قاس
في وضوحه للذين يتمنون لشيء أن يتغير حتى على سبيل
التمثيل وفش الغل وطق الحناك وتفيس الغضب!! لكن
الجمود والتصلب والفشل الذي نعيشه لا يمكن أن يتبدل هكذا
أبداً.. بعينكم يا كلاب؛ ابقوا قابلوني!! ليس مطلوباً من أي
حكومة في الدنيا أن تتغير وتتحول أو أن تموت وتغور
لمجرد أن الشعب يريد ذلك؛ الحكومات تتغير حين يكون
الشعب قادراً على تغييرها وعلى قلب المائدة على دماغها

وعلى إجبارها على الرحيل وأخذ ذيلها في أسنانها وطريق
السلامة يا شربات وغني حاول تفتكرني يا سيادة الوزير!!
كما قلت قبلاً وأقول دوماً وأؤكد حين أكرر، الحكومات
تتغير عندما يكون البرلمان (أرجو ألا يكون هناك أي خطأ
مطبعي يجعل البرلمان برطماناً)! يكون البرلمان (وليس
البرطمان!) قادراً على سحب الثقة من حكومة أو من وزير
ويhez الوزارة بطلبات سحب الثقة التي تدفعها للاستقالة
لو عندها دم (أو حتى لا تملك إلا الحمار من الدم) تتغير
الوزارات ويرحل الوزراء عندما يكون هناك رأي عام قوي
يتم التعبير عنه في الصحف والتلفزيون والجامعات
والنقابات! لا أن تكون كل هذه الحاجات في بلد ما مثل أواني
الزرع التي توضع في الشوارع التي يعبرها مسئول مهم!
مجرد ديكور سقيم وتمثيل رخيص لكومبارس في الحياة
السياسية!

هكذا تتغير الحكومات عندما تكون هناك أحزاب وليست
خرابات يديرها عجائز يعانون من خرف الشيخوخة
أو مرض يعانون من العته المنغولي!

هكذا تتغير الحكومات وكما هو واضح فنحن لا نملك
واحداً في المائة من هذا كله فلماذا نغضب أو نعتب أو نقرف
عندما لا تتغير الوزارات عندنا.؟

الذي يريد التغيير يكافح من أجله ويسعى إليه وقد يموت
لتحقيقه، شعب لم يبذل هو وسياسيوه وأحزابه ونقاباته
وصحفه ومجلاته أي مجهود من أجل إحداث تغيير حقيقي
(وربما جذري) وشعب لم يتعلم من إحباطاته أبداً؛ ينتظر
التغيير ليه!

كل مرة ينتظر التغيير ولا يأتي التغيير أو يأتي كنتة
بايخة وسخيفة؛ كل مرة يحدث ذلك والناس لا تتعلم ولا تفهم
وتتحرك لتفعل شيئاً ومع ذلك يجلسون كالبلهاء في انتظار
كلام عن تغيير قادم لا يأتي!

تتغير الحكومات ليس هبة ولا منحة للشعوب بل هو حق
لها إذا كانت تريده وتستحقه فلتفعله فوراً أما الأحزاب
والأشخاص والناس المحبطة فهؤلاء سدج ومغفلون والقانون
لا يحمي المغفلين والحكومات لا تتغير بفضل شوية ناس
نايمة فاضية كسولة مستسلمة ناعسة تعسة كل ما يملكونه

هو دموع الحسرة والإحباط مثل الأرامل في محكمة الأحوال
الشخصية!

وكانما أنتَ النبي محمد ﷺ وكانما أنصارك
الأنصارُ

أكاد أرى البعض يصرخ ويسأل الله عز وجل ولماذا نحن
وحدنا يا الله دوننا عن بقية الأمم والشعوب الذين لا نرى
حكماً يتغيرون ووزراء يسقطون وحكومات تتبدل وسلطة
يتداولها الجميع وانتخابات حرة بلا تزوير ورؤساء بغير
استفتاءات مزيفة بل عبر انتخابات حرة (مش كده وكده) بين
مرشحين؟

لماذا نحن يا رب وحدنا دون العالم كله الذين نعيش تحت
حكم حكومات أبدية وعروش خالدة وحكام لا يتركون
مقاعدهم ولو انطبقت السماء على الأرض، يرثون أمتنا
ويورثونها لأبنائهم من بعدهم؟ لماذا نحن (ونحن تشمل
العرب والمسلمين والأقباط...) نعيش في استبداد بلا نهاية
وطغيان بلا توقف وحياة بلا ديمقراطية ويتحكم فينا شرار
الناس وبطانة الحكام ورعاع الساسة وفسدة المسؤولين.

وأكاد أقول للداعي: أنزل يدك ولا تتعبها فلن يستجيب الله
لك مهما دعيت، فالحرية والديمقراطية ليست صلاة استسقاء
ولا مطراً يهبط بالدعاء على أرض جفت، الحرية يكافح من
أجلها الشعب، والحرية تبذل الشعوب دمها فداء لها، وهي
لا تأتي بالدعاء مهما كان حاراً ومهما بللته الدموع!

لقد استفتى الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك فقهاءه (الضلالية) هل يحاسب الله الخلفاء يوم القيامة على أفعالهم؟ فأفتى له أربعون فقيهاً بأنه لا حساب على الخلفاء يوم القيامة.. مشكلة الأمة في الحقيقة كما أنها في الخليفة الذي سأل، ففي الفقهاء الذين أجابوا، وقد صار الخلفاء ملكاً أو رئيساً وصار الفقهاء نواباً أو سياسيين ووزراء أو رؤساء تحرير!!

نحن في حاجة إلى رئيس ديمقراطي عظيم مثل الخليفة الصديق أبو بكر عندما تولى خلافته خطب قائلاً: لقد وليت عليكم ولست بخيركم.. أيها الناس أطيعوني وأعينوني ما أطعت الله فيكم، وإن خالفته فلا طاعة لي عليكم.. ومثل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب حين يقول عند توليه الخلافة: فإن زغت فقوموني.. فيرد أعرابي قائلاً: والله نقومك بحد سيفونا، فلا يشكو عمر بل يشكر.. نحن في حاجة إلى مثل هؤلاء، الخليفة والحاكم الذي يخاف الله ولا يعتقد أنه ظل الله على الأرض وإلى المواطن الذي خرج ليقول لعمر (وعمر بعظمة مكانته وجلال قدره!) نقومك بحد سيوفنا.. أو بحد برلماننا أو بحد محكمتنا أو بحد صحافتنا أو بحد

أحزابنا، ولا نعتبرك الزعيم الملهم والقائد الإلهي الذي لا يأتيك الباطل (يا بطل..) من بين يديك ولا من خلفك.. فهل نحن كافحنا من أجل أن يكون حاكمنا مقتديًا بعمرو ويكون شعبنا مقتديًا بالرجل الذي صرخ فيه من غير ما يخاف من المباحث أو الرفض من الشغل: نقومك ولو بحد سيوفنا؟

لقد انتهيت من كتاب جديد رائع صدر مؤخرًا لكاتب لم أُنشرف بمعرفته وهو نبيل هلال، الكتاب الصادر على نفقته (وهي بطولة مضاعفة) عنوانه: الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين، والكتاب كأنه إجابة عن سؤالي، يشرح الاستبداد السياسي بأنه هو الاستيلاء على السلطة والاستئثار بها ومنع تداولها سلميًا وإساءة استغلالها والتوصية بها لابن ولأخ أو من يختاره المستبد بنفسه.. والاستبداد هو مصادرة حق الأمة في أن تختار بنفسها من يحكمها وحرمانها من أن يتولى قيادتها أصلح أبنائها من الذي تجمع عليه إرادتها وفي ذلك مصادرة لحق كل مواطن، أي مواطن في أن يتولى قيادة الأمة إن أرادت ذلك وصلح هو.

وينكر المستبد حق الأمة في عزله أو مساءلته إذ يرى نفسه فوق النقد والمساءلة كما يصادر الحريات ويقمعها وينكر الرأي الآخر وينفرد برأيه ضارباً عرض الحائط بضرورة الشورى والديمقراطية، وتتسم أعماله بالسفه المالي فلا يرى فرقاً بين ماله الخاص وبين أموال بيت مال المسلمين، فكلها أموال الله يستيحبها كيف يشاء ويعطي نفسه حق التصرف في أموال المسلمين دون مساءلة سواء أنفقها في سبيل الله أم أعطها هبة لمادحيه من الشعراء أو اشترى بها المحظيات والغلمان.. ويضيف نبيل هلال في ناصية أخرى حزينة في الكتاب أن أحد العلماء الألمان قال إنه كان ينبغي لنا أن نضع لمعاوية بن أبي سفيان تمثالاً من ذهب في عواصمنا لأنه لو لم يحول سلطة الخلافة عما وضعها عليها الشرع وجرى عليه الراشدون لامتك العرب بلادنا كلها وسيروها إسلامية عربية. ومن يوم حولها معاوية (وحسابه عند ربنا..) فقد انفرد في تاريخنا العربي بالسلطة الفرعون والسلطان والملك والخليفة واستأثروا بها من دون الأمة فانحرفوا واستبدوا وتسلطوا ونهبوا وأفسدوا وانفرد السلطان بالرأي، رأيه أو رأي فقهاءه المأجورين أو رأي مجموعات

المصالح والمنتفعين من المستشارين من رجال المال
والتجارة.

وعندما يرى المستبد خلو الساحة أمامه من المعارضين
أو المنتقدين لسياسته يغلو في استبداده ويشطط في سلوكه
وعندما تلوح أمامه مغنم السلطة والنفوذ تتحول شخصيته
إلى النقيض فهو العابد الناسك قبل تولى السلطة ثم الفاجر
الظالم بعد جلوسه على العرش، لقد كان عبد الملك بن
مروان عابداً زاهداً ناسكاً في المدينة قبل الخلافة فلما جاء
أمر الحاكم إليه كان المصحف في حجره فأطبقه وقال هذا
آخر العهد بك! لقد قفل المصحف ومن ساعتها لم يفتحه
حاكم أو رئيس!!

ومشكلتنا على ساحتنا العربية من بطانة السوء وكلاب
السلطة ووعاظ السلاطين ورؤساء تحرير الطغاة يفسرها
كتاب نبيل هلال حين يذكر أن البعض يبرر للمستبد ما يفعله
بأن له إنجازات فهو قد يبني الجسور والمصانع ويستصلح
الأراضي ويفتح الأمصار ويبني المساجد ولكنه في النهاية
في جوهر الأمر يسحق روح المواطن ويحول المجتمع
إلى قطيع من البهائم يسوسها كيف يشاء والحق إن إنجازات

المستبد هي بعض ما كان يمكن تحقيقه لو كان زمام الأمر بيد غيره ممن يتولى الحكم بطريقة شرعية فالمستبد يحرص على أن تكون له بعض الإنجازات ويسخرها في التمكين لنفسه وترسيخ سلطته وجمع الجند والحراس حوله وشراء ذمم الأعوان والأنصار..

ولما كانت وسائل الإعلام من أمضى الأسلحة وأنجع الوسائل التي يستخدمها المستبد للتمكين لنظامه عن طريق بث الأضاليل وخداع الناس فقد أجزل المستبدون في كل زمان للشعراء والمداحين واحتكروا وسائل الإعلام المرئية والمسموعة التي تمجد القائد وتسلط الأضواء عليه بل تكاد ترفعه إلى مصاف الآلهة، فاسمع إلى القصيدة التي نظمها الشاعر ابن هانئ الأندلسي إلى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله والتي يقول في أبيات منها:

ما شئتَ لا ما شأعتَ الأقدار فاحكم فأنت الواحدُ القهار
وكأنما أنتَ النبي محمد ﷺ وكأنما أنصارك الأنصار

بعد أن أنهيت قراءة كتاب الاستبداد للمؤلف نبيل هلال وتوقفت عند هذه القصيدة الأخيرة.. فاحكم فأنت الواحد القهار... وكأنما أنصارك الأنصار"، قعدت أسأل نفسي سمعتها فين اليومين دول يا واد يا إبراهيم، قربتها الأسبوع

اللي فات في أي جرنال الأهرام وللأخبار اليوم
والجمهورية.. فين يا إبراهيم؟

جيش محمد سوف يعود!

وقف عبد الله خلف تلك الصخرة يتقدم رفاقه، يرقب النار التي بدأت تلتهم من المشاعل المعلقة على الأسوار التي تحيط ببيوت هؤلاء اليهود، بدت مثل الحصن الهائل، لم يكن أحد يعرف منذ جاء هؤلاء إلى هذه الأرض ما الذي يجعلهم جميعاً سكنى مكان واحد بيوتاً متلاصقة كأنها تعتزل أهل المدينة أو كأنها تتحصن أو تتمنع أو تترفع أو تتحفز، شيوا البيوت متراسة ومتلاصقة وممراتها ضيقة وأسوارها منيعة في علوها ورهبتها على نحو لم يكن أحد في المدينة يعرفه إلا الذين سافروا للشام أو أدركوا يوماً أرض العراق، كأن أهل المدينة صحوا في بكرة أحد الأيام لتفاجئهم تلك الأسوار العالية التي بناها اليهود حول بيوتهم، لفت ودارت وصعدت وهبطت واستقامت وانحنت حتى صارت قلعة وحصناً مما يتحدث عنه أهل المدينة المنورة الذين زاروا بلاد الروم أو الفرس، كان قلب عبد الله يرتج بالعزيمة رجاً كاد أن يسمعه حراس قلعة اليهود وسكان الحصن الرهيب وازدحمت ردهات عقله بتفاصيل الخطة التي وضعها أمام رفاقه الذين صحبوه حتى ذلك المكان، ترميه رياح الصحراء بعاصفة

الليل القادم، فطروا عند آذان المغرب بعدة حبات من التمر
وجاعوا حيث العملية الكبرى..

التفت عبد الله إلى مسعود وأنيس والحارث وابن الأسود
وقال لهم همساً:

- سأذهب أنا وحدي.

تذمر الحارث وصرخ فيه إلى الحد الذي جعل مسعود
يندفع ويكتم فمه هامساً:
- هل جننت سيكشفنا صوتك.

رد الحارث بصوت بذل مجهوداً كي يظل خافئاً:

- الوقت ليل ولهب المشاعل يذوي مع الريح والحراس
يقطى وعبد الله رجل واهن النظر لا يدرك وجوه الناس
عن بعد الذراع فكيف يقوم بمهمة مثل تلك ينتظرها النبي
بنفسه.

أجابه أنيس:

- لكن النبي جعله أمير المهمة.

حاول الحارث أن يخفف من حماس صوته:

- نعم هو القائد والأمير.. يأمرنا أن نفعل فنفعل لا أن
يقوم هو بالأمر بنفسه.

ربت مسعود على كتف الحارث وهو يشير إلى عبد الله الذي اندفع نحو الحصن قائلاً: لقد أنهى عبد الله الجدل ولندعوا الله أن يوفقه.

وصل عبد الله سور الحصن حيث كانت البوابة مفتوحة لدخول آخر رجال اليهود عائدين من عمل متأخر، رفع عبد الله طرف ثوبه إلى أسنانه وغطى به وجهه وقد أعطى ظهره للحراس الذين لمحوه فلاموه وقد ظنوا أنه يهودي فظ تأخر عن بيته وبولته فزعقوا فيه:

- إيه يا أخينا ألن تدخل؟

عبد الله كان ينتظر هذه الجملة فاندفع يدخل من البوابة إلى حيث أمر الله ورسوله.

وجد نفسه حيث أراد تمامًا، حاول بنظره الضعيف أن يعثر على منزل رافع زعيم يهود خبير، وصل إلى مسمعه صخب بعيد أدرك أنه قادم من جلسة المباحثات والسمر الذي يجمع اليهود في بيت زعيمهم، يكمن في قلب الليل والريح والصمت ينتظر، بعد قليل بدأت الأصوات تخفف والحركة تهمد والمشاعل تتطفئ؛ في خارج الحصن كان مسعود والحارث ورفاق عبد الله قد نهش فيهم القلق ولم

يدرك أحد من الذي همس وهو يمسح عنه تراب الصحراء
الراكب فوق الريح الليلي وقال لعل اليهود ألقوا القبض عليه
وانكشف الأمر.. وتعثرت الأفكار بينهم من يرى أن القبض
على عبد الله كان كفيلاً بضجة هائلة في المكان ثم أنه لن
يدلهم علينا ثم لقد زار كثيراً رافع وليس غريباً عليه ولا على
المكان وقطع مسعود المواجهة: هيا لصلاة العشاء.

وبينما كانوا يصلون على الرمل وفي جوف الليل وكنف
الصحراء ودوي الريح كان عبد الله يقترب من بيت رافع
وهو يستكشف الردهات والممرات بيديه وقد أحكم السيف
في خصره ولما أحس أنه قد دنا من هدفه لم يستطع التأكد
من الغرفة العالية التي ينام فيها رافع أين هي تحديداً، من أي
سلم، على اليمين أم اليسار، يقف وراءها حارس أم أنها
خالية من الحرس، أنهض قامته وفرد طوله وفي ثقة بالغة
نادى بصوت مسموع وعال: رافع.. أين أنت يا رجل؟

جاءه الصوت من الداخل واضحاً وساخطاً: أنا رافع هنا

من ينادي في هذا الليل؟

خالت عليه الخدعة، نطقها عبد الله سريعة لاهثة
وهو يندفع إلى باب الغرفة: ومن يتوكل على الله فهو حسبه

اقتحم الباب ليجد رافع ملتقاً بثياب وغطاء وقبل أن ينطق رافع في العتمة والظلمة بالسؤال البديهي: من أنت كان سيف عبد الله يضرب ناحيته بمجرد ما اكتشف اتجاه الصوت، هوى السيف على جسد الرجل الذي صرخ صراخاً عاليًا مليئاً بالعنف والغضب وكأن السيف لم يلمس جلده، سمع عبد الله صيحات تستيقظ من النوم على الصراخ وهمهمات تستجيب فأسرع خارجاً من باب الغرفة وغاب خلفه ثواني ثم عاد إلى رافع ملهوفاً ولاهتاً قائلاً بصوت مختلف كأنه أهد أقاربه يغيثه: رافع لماذا تصرخ.. ماذا حدث؟ رد رافع إلحقتي هناك شخص يحاول قتلي، اقترب وأمسك به عبد الله وتمكنت قبضته من كتفه ثم غرس سيفه تحت صرته وضغط بحد السيف في بطنه وحين خرج السيف من ظهر رافع زعيم خبير كان عبد الله يقترب من أذنه: هذا جزاء الحرب على رسول الله يا رافع! انطلق عبد الله خارج الغرفة في الوقت الذي اندلع فيه المكان ضجة وحركة ففز عبد الله من على درجات سلم أخطأت عيونه الأحجار والصخور فسقط وقد انكسرت ساقه كتم ألمه وتكسر عظامه وألقى بنفسه على البوابة يفتحها من الداخل ويفر من مطارديه، حين رأى

الحارث ومسعود وصحبة الرفاق عبد الله يندفع تجاه مخبئهم
وخلفه تعود النار في المشاعل ويهتز الحصن بالصخب
والغضب وترتفع الصيحات مع الصرخات: قتلوا رافع..
قتلوا زعيم خيبر، ساعتها لم يتبين الرفاق صوت الحارث
وهو يهمس في ليل المدينة كأنه يعد العالم كله: خيبر خيبر
يا يهود، جيش.

* *

عندما كان هذا الهتاف يخرج حارًا وصادقًا في مظاهرات
طلاب الجماعات الإسلامية (خيبر خيبر يا يهود جيش محمد
سوف يعود) كان فريق من اليساريين والليبراليين يستتكر
الهتاف ويستكفه، لقد كان ولا يزال رهان اليسار والقوميين
العرب والليبراليين كذلك على إخراج الدين من معادلة
الصراع العربي الإسرائيلي والأسانيد التي يعلنها هؤلاء على
لسان مفكرينا الذين علمونا أسانيد وجبهة بل لعلها وجبهة
للغاية، أساسها أننا أبدا لسنا عنصريين بحيث نكره اليهود
لكونهم يهودًا فقد عاش اليهود بيننا سالمين مسالمين مواطنين
لا رعايا، ولم تكن ضدهم ولم نعادهم ولا يجب للمواطن
الصالح أن يفصل بين الناس بالدين أو الجنس، نحن إذن ضد

أن يجرنا الصراع مع الصهيونية العنصرية إلى أن نتحول
عنصريين مثلهم نضطهد اليهود بينما المطلوب والمفروض
أن نحارب ونواجه الصهيونية (العريب أن جناحًا من
اليساريين تخلوا حتى عن مواجهة الصهيونية ومحاكمة
إسرائيل إلى الصلح معها أو التعايش مع وجودها).

وأحسب أن هذا الرأي القائم على إخراج الدين من
المعادلة هو المسئول عن تهرؤ العامود الفقري للمواجهة
القومية واليسارية لإسرائيل فالواضح أن الدين الإسلامي لم
يكن سلاحًا عنصريًا طول مرحلة الصراع مع الصهيونية
ويمكن أن يضيف المرء لهذا الرأي أدلة أخرى أهمها أن
الجماعة الإسلامية الأهم وهي "الإخوان المسلمون" ورغم أن
ذيوها الأكبر توازي مع بوادر ثم نذر ثم وقائع المواجهة
العربية الصهيونية فإن الخطاب الديني والسياسي للإخوان
(وقد شاركوا في حرب ١٩٤٨) يخلو من أي نظرة عنصرية
لليهود، ولم يمس أي فصيل إسلامي أي مؤسسة يهودية
إرهابيًا أو انتقامًا على مدى سنوات الوجود اليهودي البارز
في القاهرة أو العواصم العربية، وهو ما يؤكد غياب الروح
العنصرية تمامًا وكلية عن الظاهرة الإسلامية السياسية وقتها،

بل والحاصل أن الوطن العربي لم يكن من الأطراف التي انتقلت من أقلية داخلها ضحية دخولها في حرب مع طرف على نفس دين وعرق الأقلية، فالمؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية حاربت واضطهدت أقليتها ذات الأصل والجنس الياباني أثناء محاربة أمريكا لليابان في الحرب العالمية الثانية، وهو ما تكرر في بقاع وحروب كثيرة إلا في الوطن العربي، وهو ما يدل من اللحظة الأولى للصراع أن العرب لم يخوضوا حربًا عنصرية ودينية، لكن هذا لا يعني أبدًا أن التاريخ الوجداني للمسلمين والعرب لا يحتفظ بمشاعر غير طيبة أو فيها مسحة عدائية لليهود وأن التاريخ والتراث الشعبي لا ينفي ذلك بل المراجع والأمهات الإسلامية تحفل بغمز ولمز ضد مؤامرات متكاثرة منسوبة لليهود تربصًا وترصدًا وعداء للإسلام والدولة الإسلامية، لكن المؤكد هنا أن التاريخ الإنساني كله والمسيحي تحديدًا لا ينسى لليهود تورطهم في صلب المسيح عليه السلام طبقًا للاعتقاد المسيحي، ثم إن التاريخ الحديث يحفل بكرهية لا محدودة من قبل مسيحي أوروبا لليهود بل والظاهر الطاهر في هذا الموضوع برمته أن الناصر في هذا الموضوع برمته

أن الناصر صلاح الدين عامل اليهود، معاملة راقية خلال الحروب الصليبية كذلك كان طرد المسلمين من الأندلس بعد سقوطها هو نفس اللحظة التاريخية طردًا لليهود وانتقل المسلمون مع اليهود هروبًا في سفن واحدة إلى البر المغربي فرارًا من جيوش المسيحيين المنتصرة..

لكن هذا كله يعني عندي خطأ ولعله جريمة إخراج أو استبعاد الدين من أسباب وحسبة الصراع مع إسرائيل كأننا نخشى دخول الدين المعركة حتى لا نوصم بالأصولية رغم أن المعركة كلها تقف على أعمدة الدين الذي أراها هكذا وأسئها كذلك هم اليهود مثلما يملكون تمامًا الأسلحة النووية والذرية ويهددون بها العرب ثم يرفضون ويحاربون من أجل ألا يمتلك العرب سلاحًا نوويًا، إنهم يحاربون باليهودية ثم يصرخون لو حاربتهم بالإسلام، والمؤسف أن بعضنا يصرخ معهم دون أن يدرك الفاصل الهائل بين الدين كسلاح احتلال وعنصرية عند اليهود والدين كسلاح مقاومة وعدل عند المسلمين، فالحقيقة أننا لا نحارب اليهود في إسرائيل أنهم يهود ولكن لأنهم محتلون، المشكلة إنهم محتلون لأنهم يهود! أليست إسرائيل مبنية ومؤسسة على أنها

أرض الميعاد لليهود وأن الله وعدهم بفلسطين، أليست إسرائيل مفتوحة حتى الآن بلذا لأي يهودي في العالم، أليست إسرائيل دولة يهودية لليهود الذين يعتقدون ويؤمنون أنهم شعب الله المختار الذي فضله على العالمين، إذن كيف نتجاهل هذا كله وننسى أن أعداء الأمة ومحتلي الأرض يهود؟!!

حسناً الإسلام يطلب من المسلم أن يحترم حرية عقيدة الآخرين واختيارهم الديني وهو أيضاً يجبر المسلم الحق على إعلان أن لكم دينكم ولي دين وأن تؤمن بعيسى وموسى ومحمد لا تفرق بين أحد من رسله.. كل تلك الحقائق نذكرها للإعادة والإفادة لكن عندما يأتي أصحاب دين اليهود ليقولوا لنا أن الأرض التي نحن عليها ونعيش نحن فوقها قد وعدهم الله بها وأن أرض فلسطين والعرب هي أرضهم الموعودة وأن دينهم يقول لهم اطرّدوا الفلسطينيين منها.. اذبحوهم وأخرجوهم وشرّدوهم، ودينهم يقول لهم إن المسجد الذي نقده ونحج إليه وكان نبينا محمد ﷺ قد وقف إماماً للأنبياء والرسل في ساحته وأوقف في سوره براقه المقدس، إنما هو معبدهم وحائطهم المقدس ونروح نحن جرياً إلى

الجحيم، ما المنتظر مني ساعتها أن أحضن أصحاب تلك العقيدة، أن أترك لهم أرضي وعرضي؛ يقولون ديننا يأمرنا باحتلالكم فنقول لهم نحن، لكن قرار ٢٤٢ لا يقول؟ أم نقول لهم وديننا يأمرنا أن نموت من أجل كل شبر في تلك الأرض. الدين الإسلامي هنا لا يضطهد ولا يتعصب إنه يقاتل من أجل الحق ومن الطبيعي أن نسمع هنا البعض يقول ولكن الصراع لن ينتهي أبدًا على هذا النحو؟ والمفجع أن الذي يريد أن ينتهي الصراع يطلب منك التنازل عن عقيدتك ولا يطلب منه هو أن يتخلى عن عنصريته.

هي حرب لن تنتهي أبدًا.. ليكن فإذا كان ثمن نهايتها أن أتخلى عن الحق وألا يتخلى هو عن الباطل الذي يظنه حقًا، فليس هناك أي ضرورة لنهاية الحرب.. نحن هنا لا نتصارع على ملكية قطعة أرض بل نتصارع على الحق.. على أننا لن نقبل أبدًا بأنه شعب الله المختار، ما أريد أن أقوله إن إسرائيل إذا بقيت تحتل فلسطين فهي تحتل أيضًا إلى جانب أرضنا تحتل العقيدة وتتصر على الحق الإسلامي.

الثابت لدى المسلمين أن سيدنا إبراهيم رأى في المنام أمرًا من الله سبحانه وتعالى أن يذبح ابنه إسماعيل وقد فدا الله إسماعيل بكبش عظيم ولكن اليهود في عقيدتهم يؤمنون أن إبراهيم رأى في المنام أمرًا بذبح ابنه إسحق وأن الله افتدى إسحق بالكبش العظيم. وهم ونحن أحرار نرى ونؤمن بما نشاء لكن عندما يحاربوننا لنوافقهم أن إسحق وليس إسماعيل هو المفتدى هل نسكت أو نقبل أو نغير من ديننا، الأمر نفسه في فلسطين يحتلون فلسطين ليقولوا لنا اعترفوا ولو بالصمت والسكوت أننا اليهود محتلو أرض فلسطين شعب الله المختار وافرض أن قرارات الأمم المتحدة تؤيدهم، هل توافق، هل تصالح ولو منحوك الذهب.. هل ترى هي أشياء كما قال لنا الشاعر الراحل أمل دنقل لا تشتري؟

المؤكد أن الدين هو الذي يجعل هناك سلاحًا خالدًا للنصر لقد مات العرب صمًا تقريبًا حتى دخل شارون المسجد الأقصى.. ولقد أنقذ الدين فلسطين من الضياع في كامب ديفيد حين لم يقدر كائن من كان أن يفرط في القدس والأقصى، الحقيقة الكاملة الرائعة أن الرغبة في الشهادة والإيمان الراسخ الثابت لدى الفدائي العربي أن شهادته تعني

الجنة وأن شهداءنا في الجنة وقتلاهم في النار هو الشيء
المذهل الذي جعل للفلسطيني قوة وللعربي سلاحًا وإسرائيل
الفرع والرهبة ونزعنا عنها أي أساطير للقوة فإذا كان
متخيلاً أن قتل العربي يرعبه فما هو الإسرائيلي يعلم جهاراً
نهاراً أن الفلسطيني ينتصر حين يموت وهو مهزوم حين
يحيا. هل هناك غير الدين وقوة الإيمان أعطى للعرب
والفلسطينيين قوة ونصراً، فكيف يطلب مني اليساري الحكيم
والليبرالي المتين أن أتخلى عن قوتي وذاتي وسلاحي
وذخيرتي... وجنتي أيضاً؟!

هل هذا يعني أنني أطالب العرب بالحرب على اليهود
لكونهم يهوداً ويصبح ذلك مبرراً دينياً لقتل اليهود في أي
حذب وصبوب؟.. الإجابة على ذلك أنني أدعو العرب
والمسلمين إلى عدم إهمال دور العقيدة والدين ثم إن الدين
الإسلامي ليس عنصرياً ولن يكون ولن يدع أحداً يستخدمه
للعنصرية أبداً.

لكن هل حارب الإسلام اليهود لأنهم يهود؟ وهل لليهود
الآن علاقة بيهود خبير؟

* *

ما الذين نفهمه مما جرى في تلك الليلة الرمضانية من
السنة السادسة من الهجرة حيث اغتال عبد الله بن عتيك
المواطن المسلم من أبناء قبيلة الخزرج زعيم خيبر أبو رافع
سلام بن أبي الحقيق؟

نفهم أن النبي حين يحارب المشركين والكفار وهو يؤسس
دولة الدين الجديد بين أهله وأول من توجه لهم بالدعوة
الإسلامية فإذا بطابور خامس من قبائل وجواسيس وأثرياء
اليهود يخوضون حرب التقويض للدولة الإسلامية الناشئة..
الأمر لم يكن خطرًا على الإسلام بل على الدولة وكان نقصًا
للحلف واتفاقيات المعاملة والمهادنة والمسالمة فالرسول بقى
سنوات بين اليهود في المدينة في أجواء من السلام القائم
على العدل لكن اليهود خرقوا الاتفاقية ومزقوا أصول
المعايشة والمواطنة في المدينة ووصل الأمر إلى محاولة قتل
النبي ﷺ والتحالف مع الكفار لضرب النبوة والدولة والدين!

لقد تحرك الأمر النبوي ضد اليهود ليس أبدًا لأنهم يهود
(فقد كانوا هم أنفسهم سنين وأيامًا في أرض النبي ودولته لم
يمس أحدهم قرح ولا جرح من المسلمين) بل لأنهم العدو
وحليف العدو ضد دولة النبي والإسلام، هنا الحرب بكل

فنونها ودروبها وضروبها ومنها اغتيال زعيم خيبر الذي تحالف بالمال والسلاح على قتل المسلمين ورعايا الدولة ومواطنيها وحين تذهب المجموعة الفدائية بقيادة عبد الله بن عتيك ليستأذنوا رسول الله في قتل رافع بن الحقيق زعيم خيبر فيأذن لهم النبي ﷺ، فهذا يعني تمامًا أن لو فرقة فدائية إسلامية ذهبت للنبي تستأذنه في اغتيال أرييل شارون لأذن لها النبي ﷺ: اذهبوا فاقتلوا عدو الله وعدوكم!

وڪمان عايزين يورثوها!!

لا يوجد أي باحث أو مراقب أو خبير أو سياسي في أوروبا أو أمريكا يقول أو يرى أو يتصور أن مصر دولة ديمقراطية أو أن فيها نظامًا أو حكومة ديمقراطية، بل إن المنظمات الدولية تنتع كل سنة والثانية تقارير تقضح وتكشف عوار الديمقراطية في مصر وقد اختارت إحدى منظمات حقوق الإنسان النظام المصري واحد من أسوأ عشرة أنظمة تحارب حرية الصحافة والتعبير في العالم وذلك على مدى أعوام متتالية والأمثلة كالمهم على القلب لا يوجد أكثر (وأدق منها)، بل حتى الصحافة الأمريكية التي يتمسح بها حكمانا العرب ويتلمسون طراطيف رجليها ورضاها تعابير مصر في الراحة والجاية بطغيان نظامها وتزوير انتخاباتها وقوانين طوارئها ومحاكمها العسكرية وخنقها لحرية الإعلام والصحافة (سلم لي على عيد الإعلاميين) وقد وضعت مجلة نيوزويك الأمريكية منذ شهور مصر في المرتبة السابعة من الدول العربية المنفتحة نسبيًا، تخيلوا درجة سابعة، ورغم أن حضرات الحكام في مصر من الممكن جدًا أن يهجسوا ويقولوا إن هذه الاتهامات مؤامرة كبرى ضد مصر، فالرد الوحيد شبه البليغ عليهم هو والنبى تتلهوا وتكتتموا، فليس

هناك من يخدم مصالح الغرب وأمريكا تحديدًا أكثر من فعالكم ورجالكم، بل إن الحكومة الأمريكية راضية عن أدائكم أكثر من رضاها على جورج تينيت، فلماذا يخترعون ضدكم تهمةً ويصنعون لكم مؤامرات وخصوصًا أن أمريكا في هذا التوقيت الغبي أغبى من ثور في حلبة يكفيه قطعة قماش حمراء كي ينطح!!

والحقيقة أن الواحد منا يندهش ويذبل حين يرى حفاوة الإعلام الرسمي الميموني (نسبة إلى ميمون!!) بأي إشادة ولو عبيطة تأتي من الغرب وأمريكا على الأداء الاقتصادي للحكومة أو على درجة الأمان في البلاد أو نجاح الأمن في قمع حركات الإرهاب الديني، تسمع الحكومة هذا الكلام فتمشي في أسواق الصحف ونشرات الأخبار كالهبله التي تمسك الطبله تغني وتزعق: شفتم إحنا حلوين إزاي ويا سلام على حكمي وحكمك وعد ومكتوب لي أحبك!! بينما تعطي لنا الأذن الطرشاء الصماء لو كان هناك نقد وهجوم وتقنييد للاستبداد السياسي في مصر والغياب الديمقراطي والنبوغ الديكتاتوري.

الخطر الحقيقي هنا أن غياب الديمقراطية في مصر يجعلها أكثر سهولة وأقل مناعة في مواجهة الأوامر والتعليمات الأمريكية والضغط الإسرائيلي والمعايير الدولية من ثم يتخذ الحكم في مصر مواقف تنازل له بتفادي الضغط أو تخفيف ثقل الحمل.

الكارثة هنا (رغم أن محدث عارف الخير فين!!) أن سيناريو الابتزاز الأمريكي للسلطة الفلسطينية بمطالبتها بالإصلاح السياسي (وقد طالب به شرفاء العرب وفلسطين قبل إسرائيل وأمريكا كما نطالب به الآن في مصر وغيرها ولا يهتم بنا وبما نطالبه أحد!) سوف يتكرر مع أول ناصية بعد الانتهاء من الإلهاء الفلسطيني، ومشكلة حكامنا العرب أن أحدًا في طفولتهم لم يحك لهم أبدًا حذوة الثور الأبيض وأصحابه الثيران السوداء عندما تركوا أصحابهم الثور الأبيض يؤكل ولم يعرفوا إلا بعد الأوان أنهم أكلوا حين أكل الثور الأبيض، ورغم أن الواحد فينا يظن أن المسألة واضحة وضوح الشمس إلا إن منافقي حكام مصر المحروسة يعملون الآن بكل إفساد ممكن ويعزم ما فيهم من فساد على توريث مصر وتكرار التجربة السوداء في تحويل جمهوريات العرب

إلى ممالك وملكيات، وهم يخربون البلاد فعلاً وسوف تنهد
فوق دماغهم لأنهم فسدة جهلة فالأذكىاء وحدهم حتى لو كانوا
فاسدين هم من يعرفون أن الوقت إصلاح وديمقراطية قبل ما
يجد النظام نفسه مدفوعاً بالعصا والخيزرانة من أعدائه
وحلفائه لتنفيذ الإصلاحات السياسية، وقد يحدث هذا في
أي وقت حتى ولو في ٤ فبراير مثلاً!!!

من الخوف إلى الكهف!

عندما اندلعت الفتنة الكبرى في الإسلام وسالت دماء الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - على أرض بيته أدرك الجميع ساعتها أن باب الفتنة انفتح وأنهار الدم بدأت دفقها الهائل وأنه أن أوان اتخاذ المواقف الصعبة في اللحظات الحرجة ودفع الدم والعنق ثمنًا لقولة حق في موضع شبهة؛ فقرر كثير من المسلمين أن يبيعوا ضمائرهم لحساب مصالحهم وأكل عيشهم ورزق عيالهم ورغم علمهم البين أن علي بن أبي طالب الأتقى والأنتقى والأحق إلا أنهم قرروا مناصرة ومعاودة ومخالفة معاوية في حربه ضد علي، فمعاوية رجل الدنيا والملك (والمملكة) أما علي - رضي الله عنه - فهو الحاسم الحازم رافع راية التقوى في توقيت يبحث عن نعيم القوت وليس فضل التقوى؛ عن السرير ونعومة الحرير وليس عن شطف العيش وحصر الصلاة؛ من هنا كان بعض المسلمين يصلون وراء علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في المسجد ويذهبون للمطعم والمغرم في معسكر معاوية تحت شعار الصلاة وراء علي أنتقى والطعام عند معاوية أشهى؛ ورغم الانتهازية المذهلة التي تتضح (وتتبح) من هذا الموقف إلا أنه عندي أفضل

من الذين رأوا الحق يصارع الباطل فتفرجوا وجروا
واعتزلوا الفتنة وقد اعتزل رجال من أهل بدر (الذين شهدوا
موقعة بدر الكبرى) فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم
يخرجوا إلا إلى قبورهم! ويبدو الأمر في نظري تهربًا أكثر
من كونه ترفعًا؛ انسحابًا أكثر من كونه اعتزالًا؛ رغم أن
البعض في لحظة احتدام الصراع (والصداع) بين الحق
والباطل فإنه فورًا يحاول أن يلعب دور أهل الكهف ويقرر
اعتزال الصراع والفرار من المعركة من الخوف
إلى الكهف!

فهل كان أهل الكهف على حق؟

هذا السؤال يسكن في عقلي سنوات حيث يرى الواحد منا
ما يراه فيشعر أن الحل في البحث عن جبل وكهف النوم
في صحبة كلب أفضل من المناهدة والمناكدة التي نحيهاها؛
وأسأل نفسي هل لو كنت مكان أهل الكهف (وغرورنا في
الحق وبالحق يسمح لنا بهذا الاعتقاد) هل كنا سنفعل ما
فعلوا؛ في الحقيقة وكلما تنهدت فأعدت السؤال كانت الإجابة،
لا، لم أكن لأفعل ما فعلوه فلا جبل ولا كهف ولا كلب ولا
عزلة ولا اعتزال!

صحيح أن أهل الكهف مجموعة من الشباب (بعض التفسيرات تقول إنهم في سن الـ ١٧ سنة) كانوا يعيشون في مجتمع ظالم غاشم (تفسيرات تقول إنه كان عصرًا وثنيًا وتفسيرات أخرى ترى أن الأحداث في عصر ما بعد المسيح) كان مجتمعًا يسوده الفساد المالي والسياسي يرتع فيه الكبراء والأمراء والتجار ورجال المال ويصطلي فيه الغلبة والفقراء النار والعذاب، كان مجتمعًا غريبًا موحشًا في ظلمه وفساد كباره إذا سرق فيهم الكبير والأمير من قوت الناس ومال الشعب أقرضوه وتركوه؛ وإذا سرق الضعيف جرسوه وحاكموه وأقاموا عليه الحد وإذا نطق الحر يغضب وينقد ويعارض أغلقوا فمه وكمموا لسانه وسجنوه في منفى أو مشفى، كان مجتمعًا يملأه المداحون والمنافقون ووعاظ السلاطين الذين يسرون بالذف والطبل وراء الحاكم يرددون اسمه وكلامه ويمجدون سلطانه ويهتفون بالروح بالدم نفيك يا حاكمنا وسلطاننا وأميرنا وسر حياتنا ومليكننا ومالكنا وإله حياتنا؛ وكان لهؤلاء العسس والكهان مكانة عالية ومقام رفيع في هذا المجتمع الذي تعود على الخنوع والخضوع والركوع وكان أهل الكهف شبابًا في مقتبل العمر فتيانًا مثل الورد

والفل يمثلون حماساً للحق وحباً لله وللحرية والحقيقة التفتوا
إلى بلدهم فرأوا الوضع منيلاً بنيلة والظلم سائداً والفساد
مارداً والناس خاضعة والرجالات خائفة والحقيقة ضائعة
والرديلة شائعة والرشوة ذائعة فماذا يفعلون!

الآن نحن أمام الخيار التاريخي فماذا فعل أهل الكهف؟

فعلوا ما تقوله الآية الكريمة (١٠ من سورة الكهف اقرأها
معني وتخيل أننا نسمعها بصوت الشيخ محمد رفعت) بسم الله
الرحمن الرحيم: ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا
آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾
صدق الله العظيم، والرواية هنا أن الملك أمهلهم قائلاً: إنكم
شبان أغمار لا عقول لكم وأنا لا أعجل بكم فاذهبوا إلى
منازلكم ودبروا رأيكم وارجعوا إلى أمري؛ تدارس الشبان
تحذير الحاكم ولم يكن هناك بد من الذهاب إلى الكهف
واللجوء إلى الجبل!

أهل الكهف قرروا الاعتزال وتركوا المجتمع على حاله
وحياته ظلمه وظلامه وكفره وقرفه، صلوا وعبدوا وناموا..
وماتوا هكذا شاعت المشيئة! وفي تفسير الجامع لأحكام
القرآن للقرطبي يقول هذه الآية صريحة في الفرار بالدين

وهجرة الأهل والبنين والأقارب والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة، فسكنى الجبال ودخول الغيران والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء صلوات الله عليهم والأولياء، وقال العلماء الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة في السواحل والرباط ومرة في البيوت وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك إن كنت بين أظهرهم "وقد روي من روى عن النبي ﷺ (يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر).

ولكنني لا أجد في العزلة والاعتزال ومنهج أهل الكهف أمراً دينياً ولا واجباً إسلامياً ولن يكون! نعم لقد ذهب الفتية إلى الكهف لكن هروباً ربما من وضع مؤقت وفراراً من سجن أو إعدام نازل عليهم من حاكم ظالم وقد دعوا الله أن يجعل لهم مخرجاً أي أنهم كانوا يريدون المخرج للعودة والدعوة بل كان البلاد كله قد عرف وأدرك هروبهم ولجوءهم لكهف بديل أن قصتهم باتت تتناقل جيلاً بعد جيل وسنوات

وراء أخرى في جو من الغموض والتساؤل والاندھاش،
والمؤكد أن الله أرادهم مثلاً لحكمة يعلمها هو جل شأنه لكن
ليس مثلاً يحتذى بالضرورة ويقتضي الاقتداء؛ وإن كان مثلاً
فهو عن التمسك بالإيمان والحق والعدل، مثلاً في الصلابة
ومقاومة التهديد وليس في الاعتزال وهجرة النزال!! عموماً
لقد نام أهل الكهف وماتوا مئات السنين حتى أحياهم الله
وأعادهم وعادوا ونزلوا إلى بلادهم مرة أخرى فإذا بهم بلد
مؤمن عادل وقد تغيرت الحال تماماً، والسؤال: كيف تغير
البلد إذن وأهم وأنقى وأعظم شبابها ينامون في كهف؟

إذا كان الشباب الأكثر إيماناً بالحق وبالحرية في كهف
معتزلين ومبتعدين ومختلفين عن ساحة الوغى والمواجهة مع
الكم والحكومة والأمراء والكبراء فمن إذن غير هذا المجتمع
الفاسق الظالم حكامه وأمرأؤه.. من الذي نقل الوطن من
الظلمات إلى النور؟

هنا لا أملك إلا أن أنحاز لموقف الفتية الآخرين "أكيد فيه
ساعتها فتية آخرون!" الذين فضلوا أن يظلوا في بلادهم
يقاومون الفساد ويواجهون الظلم والتعسف ويرفضون الواقع
ويعارضون النظام الفاشي والحاكم الطاغية ويغيرون المجتمع

بنضالهم وكفاحهم وحلوله من الظلم إلى العدل، من الظلام إلى النور، من الكفر إلى الإيمان.

لو كنت مكان أهل الكهف الأبرار الأتقياء لما صعدت إلى الكهف أبداً بل ظللت واقفاً في مجتمعي أناضل وأكافح نحو الحق والحرية؛ عموماً من الواضح أن موقف ومنهج أهل الكهف بالغ التقدير والاحترام بدليل أن الله يحبهم ويجعلهم مثلاً للتقوى والإيمان فضلاً عن آخرين يرون أن خطأ أهل الكهف ليس في أنهم صعدوا للكهف بل إنهم نزلوا منه!.

جهاد من منازلكم!

من يقوم بالعمليات الاستشهادية مضحياً بنفسه في سبيل
وطنه وأمته ودينه؟ من الذي يخرج بالملايين في مظاهرات
تملاً العالم والوطن العربي؟ من الذي يجاهد بالإنترنت
ويواجه العدوان الإعلامي التدميري الذي تقوده إسرائيل؟
الإجابة إنهم جيل الشباب العربي الذي تسلم من أجيال
الحكام والمثقفين أمة مهزومة وأرضاً محتلة ومقدسات
مغتصبة واستبداداً سياسياً وتخلفاً اقتصادياً وجموداً إعلامياً،
لكنه وحده جيل يملك الأمل والروح رغم كل ما فعلته به
حكوماته، ووحده يجمع بين الهوية والعقيدة العربية والمسلمة
وبين القدرة على فهم مقتضيات عصره وتكنولوجيا زمنه
ولغة عالمه.

لقد شاهدت في ليلة قاهرة قبيل آذان الفجر بقليل شباب
الجامعة الأمريكية يقودون عربات ضخمة مخصصة
كشاحنات لنقل الأثاث وقد اصطحبوها عبر ميدان التحرير
وشوارعه يرشدون حركتها وهم مرتدون الشال الفلسطيني
ورافعين العلم الفلسطيني بملابس صيفية وبنطلونات قصيرة
وقبعات شواطئ، وأمام مقر الجامعة تحول الليل كأنه نهار
ظهيرة من الحركة والزحمة لمئات الشبان يحملون بأنفسهم

كراتين وأشولة وعلب الغذاء والأودية والكسوة للشعب الفلسطيني في تلك الشاحنات الضخمة التي صعدت إليها بعض الفتيات لوضع علم كبير لفلسطين عليها مرفرفاً، ولافتة من القماش تشير أن حمولة السيارات هذه مهداة من شباب الجامعة الأمريكية بالقاهرة وقد سافروا بأنفسهم معها إلى رفح، في الوقت نفسه ها هو شباب تجاوز عدده في بعض التقديرات الخمسمائة يذهبون إلى الحدود المصرية الفلسطينية للمشاركة في الانتفاضة وبعضهم استشهد بالفعل وآخرون مقبوض عليهم، وفي الأيام الماضية تلقيت على بريدي الإلكتروني دعوات للجهاد ضد مواقع الأعداء على الإنترنت، فقد قام شباب العرب بوحدة من أعظم حروب العرب انتصاراً في مواجهة أعداء الأمة، على ساحة الإنترنت دون حاجة لاجتماعات فاشلة من وزراء أعلام العرب ودون انتظار توجيهات من السادة والقادة، ووسط جهل مطبق بالتكنولوجيا والإنترنت من مسئولينا العرب الذين يتدارسون إقامة محطة تليفزيون فاشلة قطعاً لمواجهة دعاوى الصهاينة في الغرب وأمريكا، ينطلق شبابنا على ساحة شهودها

بالملايين في معركة مع خصومه وأعدائه في عقر دارهم
وفي غرف نومهم.. وقرأ معي السطور التالية:
الهدف إسقاط الموقع العربي لصحيفة "يديعوت أحرنوت"
يجب أن يكون الهجوم على الهدف بشكل مركز وسريع..
خطة الهجوم "أ" استخدام الأوامر المرجعية المربكة لخوادم
الموقع المراد مهاجمته.. المكلفون بالمهمة ٥٠ مجاهدًا
إلكترونيًا على الأقل.. بداية سيتسلل المجاهدون لساحة القتال،
ثم سيبدأ كل منهم في أخذ وضع الاستعداد وفتح قواعد
إطلاق الصواريخ الموجهة..

كانت تلك السطور كما يقول موقع "إسلام أون لاين" أحد
مخططات الاختراق التي تضمنتها حملات شباب العرب
لجعل الشبكة الإلكترونية ساحة جهاد مشتعلة ضد المواقع
الإسرائيلية بهدف الإضرار بالاقتصاد الصهيوني الذي
يستثمر أرباحه في القتل والتدمير؛ فقد قام بعض الطلاب
في الجامعات الأردنية بشن حملة أطلقوا عليها "الضربة
الواحدة"، أرسلوا خلالها رسائل بريد إلكتروني للشباب
العربي والمسلم في جميع أنحاء العالم يشرحون فيها كيفية
الاشتراك في تدمير مواقع العدو.

وكان من أوائل حروب الجهاد الإلكتروني برنامج "الدرة" الذي ألحق خسائر مروعة بالمواقع الإسرائيلية قبل أن يتم حجب المواقع الداعمة له عن العمل، وكان البرنامج يعمل عن طريق إرسال كم هائل من الطلبات حسب بروتوكول HTTP إلى الموقع المستهدف، وهو ما يؤدي إلى زيادة الأحمال على مشغل الموقع وتوقف الخدمة به. غير أن مثل هذا النوع من الهجوم لا يكتسب فاعلية حقيقية إلا إذا تم حشد المئات أو الآلاف من المجاهدين للقيام بالهجوم على موقع معين في وقت محدد بدقة. ولتحقيق هذا يتم استغلال المجموعات البريدية لتنسيق الصفوف، ومهاجمة المواقع الإسرائيلية في توقيتات يتفق عليها، وهذا بالقطع يؤدي لضربات فعالة.

وجدير بالذكر أن التضامن لنصرة الحق الفلسطيني - كما تصيف تقارير إسلام أون لاين - قد امتد ليشمل مجموعات من قراصنة الكمبيوتر من مختلف جنسيات العالم يشتركون في حملات قرصنة أو اختراق ضد المواقع الإسرائيلية والأمريكية، مخلفين وراءهم رسالة واضحة "أن هذا يأتي ردًا على البربرية الإسرائيلية ممثلة في آلة الحرب". ومن أبرز

هذه المجموعات مجموعة تسمى WFD، وقد شنت هجمات ناجحة على موقع الجامعة العبرية بالقدس وموقع السفارة الإسرائيلية في نيوزيلندا، وموقع يسمى ADL مناصر للكيان الصهيوني، وموقع وحدة (رفائيل) التابعة للجيش الإسرائيلي، ولم يكن هجوم مجموعة WFD على المواقع الإسرائيلية مجرد نصوص بسيطة، بل كان فيضاً من الملفات محملة بأفلام تبين انتهاكات العدو الصهيوني في الأراضي المحتلة. وقد شمل الهجوم تعديلاً في محتويات بعض المواقع دون المساس بشكل أو تصميم الموقع مثلما حدث مع موقع "مساعدة إسرائيل"، وهو موقع خدمي يقوم بجمع آلاف الدولارات يومياً على هيئة مساعدات من معدات وسترات واقية للرصاص، وقد قام المهاجمون بتغيير محتوى الموقع باستبدال بعض العبارات التي تسيء للعرب فاستبدلوا بـ "الإرهابيون العرب" "الضحايا العرب"، وبـ "المستوطنون الأبرياء" "المستوطنون المعتدون"، وعادة ما تخلف مجموعة WFD وراءها رسالة اعتذار واضحة عن اختراق الموقع فحواها "أرجوكم ساعدونا لإيقاف نزيف الدم".

وقد انتشرت رسائل البريد الإلكتروني كما يقول تقرير آخر على موقع إسلام أون لاين التي تدعم الانتفاضة بأشكال مختلفة؛ فتارة ترى رسالة بها نصائح عدة بإمكانك أتباعها لدعم الانتفاضة بشكل عملي من نشر الوعي وتربية الأطفال من الصغر على فهم القضية والدعاء والتبرع. وتارة تجد رسالة توضح لك العناوين البريدية لمجموعة كبيرة من المسؤولين العرب والغرب، بالإضافة إلى المؤسسات السياسية والصحفية من أجل الضغط على تلك المؤسسات وهؤلاء المسؤولين للقيام بعمل إيجابي ضد الوحشية الإسرائيلية الحالية. وتارة تجد رسالة تطالب منك مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية، مثل تلك التي ظهرت على هيئة إعلان لأحد المطاعم الأمريكية وبه "ساندويتش" ترقد داخله الطفلة الفلسطينية "إيمان حجو" التي استشهدت منذ فترة، أو الرسائل التي تحتوي صوراً لأهوال الغزو الإسرائيلي أو لبسالة المقاومة الفلسطينية، أو رسومات الكاريكاتير التي تتناول بسخرية الموقف العربي الشائن. ثم هناك أيضاً الرسائل التي تنظم مواعيد محددة للصيام وقيام الليل والدعاء

الجماعي، والعروض التي تظهر الوحشية الإسرائيلية وقصة
الكفاح الفلسطيني بأسلوب شيق ومتميز.
هذا بعض من كل.. فقط اتركوا جيل الشباب يقود
واتأخروا شوية بشأن النفس!

فين أيام القلة المنحرفة المندسة؟

لو افترضنا أن عشرة مواطنين جالسين على مقهى قرروا القيام بمظاهرة ضد سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في حي جاردن سيتي بالقاهرة احتجاجًا على الدعم الأمريكي للسافر والسافل لإسرائيل؛ وأخذوا بعضهم وتوكلوا على الله وصلوا على الذي سيسفح فيهم وانطلقوا إلى جاردن سيتي حيث السفارة الأمريكية فمن المؤكد أنهم سوف يفشلون في التظاهر والاحتجاج؛ وأغلب الظن أن المتظاهرين من الأول حتى الخامس لن يقضوا عيد الفطر القادم في بيوتهم وبين عائلاتهم حيث سيتم القبض عليهم ووضعهم في السجن تمهيدًا لإلحاقهم بأول تنظيم إرهابي سوف يتم تأليفه وإخراجه!!؛ أما المتظاهرون من الخامس حتى الثامن فأغلب الظن أنهم لن يقضوا العيد أيضًا في بيوتهم ومع عائلاتهم حيث يرقدون في المستشفى من أثر الضرب واعتداء الأمن المركزي (والمراكز!) عليهم أثناء المظاهرة المزعومة؛ أما المتهمان التاسع والعاشر فهما سيقضيان العيد من عائلتهما حيث تبين أنهما ضابطا أمن دولة!!

ثم يسألونك أين الشارع العربي مما يحدث في فلسطين؟ طيب وهو الشعب العربي قادر ينطق أساسًا أو يتظاهر أو

يصرخ أو يغضب أو يقول تلت الثلاثة كام! الإعلام الأمريكي منذ ضرب أفغانستان وهو يلح كل صباح في الصحف والمحطات التلفزيونية على أن الشارع العربي الذي كانوا يخافون هبته وثورته لم يتحرك ولم يتظاهر وحتى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقتل فيه الفلسطينيين والأفغان لم تجد أمريكا معارضا أو متظاهرا واحداً يمشي في الشارع احتجاجاً أو انفعال؛ وقد خرجت الدوائر الأمريكية والإسرائيلية بنتيجة مفادها أن الشارع العربي ليس ثائراً ولا غاضباً ولا مخيفاً على الإطلاق بدليل أنهم عملوا ما عملوه ولم يحرك ساكناً ولم يهز ثابتاً!! خذ عندك ما كتبته مجلة النيوزويك الأمريكية عدد ٢٧ نوفمبر ٢٠٠١ قالت (نسمع يومياً أن أمريكا في الوقت الذي تهزم فيه العدو تخسر حرب الدعاية وتتأجج التوترات في الوقت الذي ندخل فيه شهر رمضان، الشارع العربي غاضب ولكن هل هو غاضب حقاً؟ مارتن انديك المساعد السابق لوزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى قام بمتابعة عدد المظاهرات في العالم العربي منذ بداية الحرب وفي الرقعة الممتدة على اتساع ٢١ بلداً من المغرب وتونس في شمال أفريقيا إلى اليمن ودبي في الخليج

الفارسي كان عدد المظاهرات كما يلي: الأسبوع الأول ٩ والثاني ٣ والأسبوع الثالث ١ والأسبوع الرابع ٢ والأسبوع الرابع ٢ والأسبوع الخامس وهذا هو الأسبوع الذي ضربت فيه الطائرات الأمريكية إحدى المستشفيات وعبرت فيه الدبابات الإسرائيلية للضفة الغربية كان عدد المظاهرات (صفر نعم صفر) انتهت الفقرة والواضح منها أن الأمريكيان والإسرائيليين يتعاملون مع الشارع العربي كما يتعاملون مع شوارعهم أو شوارع سويسرا ولا يدركون أن شارعنا العربي شارع سد ومسدود بعون الله وأننا لا نستطيع التظاهر ولا القيام بالاعتصامات والتجمعات الاحتجاجية حيث إن الحكومة متفقة مع قلة منحرفة ومندسة وعاملة معها عقداً من خمسين سنة أنها تتحرف وتندس بين الجماهير كي تلحق الحكومة وتمنع المظاهرات أحسن القلة المنحرفة المندسة تتحرف وتندس فعلاً والعياذ بالله! وهكذا تمكنت الحكومة بعد طول بال وانشغال من القضاء علينا وعلى اللي خلفونا بمظاهراتنا بينما كانت تدعي أنها تقضي على القلة المنحرفة المندسة! وأصبحنا ندعو الله أن يرزقنا بمظاهرة ولو حتى للقلة المنحرفة أهو نشوف مظاهرة وخلص! خصوصاً أنك

عندما تقرأ التحليلات التي ينشرها الخوارج في تفسير عدم احتجاج وغياب مظاهرات الشعوب العربية تدرك فعلاً أن الحكام العرب قد قتلوا شعوبهم بعدما ضيعوا أوطانهم سواء بالاحتلال أو التبعية، فالصمت العربي الشعبي أمام مجازر إسرائيل وأمريكا لا يتم تفسيره باعتباره قمعاً هائلاً واستبداداً مطلقاً من حكام هذه الشعوب بل يتم تفسيره على الهوى الأمريكي والإسرائيلي بأنه رضا واستسلام وقناعة وانهزام أمام القوة والطغيان العسكري الإسرائيلي والأمريكي!! ومن ثم اضرب أكثر وأقتل أكثر ومفيش كلب في أي حارة عربية سوف ينبح حين يرى الشعوب تذبج! ثم تصادفك تعبيرات ينشرها بعض مفكرينا قنوطاً وبأساً مثل أن الشارع العربي مات وكان المطلوب منا أن نصدق ذلك ونقرأ الفاتحة على روح المرحوم الرأي العام العربي أسكنه الله فسيح جناته؛ لكن الحقيقة أن الرأي العام والشارع العربي لم يموتا بل الحاصل أن القمع الذي تمارسه الحكومات العربية ضد حرية الرأي والتعبير والأجواء والأنواء البوليسية والأمنية التي تنتشرها وتقرضها حكوماتنا العربية هي التي تجعل الناس أسرى أحزانهم وإحباطاتهم ومنازلهم!

فضلاً على النخبة من المفكرين والسياسيين أسرى الخوف
والمصالح والتعاون مع العدو (..).

لقد وقف كولن باول وزير الخارجية الأمريكية على
منصة مؤتمر دولي الأسبوع الماضي يدافع عن مجازر
إسرائيل ويقول بالفم المليان أو شارون رئيس وزراء منتخب
(خلي بالك وحياة والدك.. رئيس إيه.. منتخب..!) من
مواطني بلده في دولة ديمقراطية من مين.. مواطني بلده
مفيش تزوير يعني ولا أموات بلده بيصوتوا وبيصحوا يوم
التصويت مخصوص.. وفي دولة مالها.. ديمقراطية حقيقية
عندهم اختراع فظيع يا جدعان تصوروا إن الواحد يضع
بطاقة التصويت في انتخابات الرئيس "مفيش هناك استفتاءات
وجلال الله" تقوم البطاقة شوف المعجزة تطلع كما وضعها
المواطن بالضبط آه والله العظيم) وأضاف كولن بول أن
شارون الرئيس المنتخب بإرادة الجماهير يفعل ما يراه
مناسباً لمصلحة شعبه!! ونخرس نحن العرب لما يطلع لنا
رئيس وزراء منتخب نبقى نتكلم ونرد على شارون وباول!
خصوصاً أن الحكام العرب لم يردوا على ضرب حاكم
عربي زميل يجلس معهم في مؤتمرات القمة العربية ويمشوا

سوا سوا على السجادة الحمراء في المطارات وتفتح له صالة كبار الزوار من غير ما يكون مدير مباحث المطار ابن خالته! هذا الحاكم السيد ياسر عرفات اندك مقر حكمه بالصواريخ كما اندك من قبل مقر حكم القذافي ومن بعده صدام حسين ومع ذلك لم نسمع من زملائه ودفعته من حكام مؤتمرات القمة ولا كلمة توحده الله!! حيث لم يكن ضرب مقار ومطار عرفات رسالة له وحده بل لجميع الحكام أن أمريكا وإسرائيل ليس عندها كبير وكما ضربت أفغانستان فسوف تضرب العراق واليمن والصومال وسوريا ولبنان والراجل فيكم يتكلم!! وكما ضربت عرفات فسوف تضرب أي حاكم وأي إمارة واضرب المربوط في غزة يخاف السايب في أي حطة! المطلوب أمريكا الآن من الحكام ليس التعاون الموجود والمتوفر فعلاً مع المخابرات والحكومة الأمريكية فقط بل إعلان هذا التعاون والفخر به والطاعة المطلقة لأمريكا بل وإسرائيل!

ولكن بعد ضرب حاكم زميل ماذا سيفعل الآخرون من حكام العرب المهمين والحكماء؟ أبداً سوف يفعلون ما قد تفعله أنت شخصياً حين لا مؤاخذه يهزأك (يهزأ بك)

ويمرطك رئيسك في العمل أمام زملائك أو يضربك ضابط أمن مركزي إذا طلبت منه أن يبعد سيارته عن مكان ركن سيارتك! ما تفعله ساعتها هو ما سيفعله الحكام؛ أنت قطعاً سوف تذهب إلى منزلك العامر وبمجرد ما تفتح زوجتك الباب سوف ترزعها قلمًا وتكيل لها الصفعات (وكمان بتقولي مساء الخير) وهات يا تعويض عن كرامتك المهذورة وكبريائك الضائع ومذلتك أمام الناس وهذا بالضبط ما سوف يحدث لنا وللشعوب العربية سوف يلتفت الحكام لنا ولا داعي أن أقول لك عما سيحدث فقط سنرى أيام طين وعجين!!

خايب الصيف.. خايب الشتا، خايب
السلام.. خايب الحرب!

وزير ضخم التواجد ضخم الجثة يثرثر كل يوم في مجلس الشعب عن الديمقراطية وأزهى عصور الحرية ونزاهة الانتخابات نجح في دائرته في وسط الدلتا في انتخابات مجلس الشعب الماضية بالحصول على ١٧ ألف صوت (سبعة عشر ألف صوت فقط لا غير) وكان نجاحه وأصواته محل شك.. ولا شك، المهمة دخل نجله انتخابات المحليات في نفس الدائرة ونجح بطبيعة الحال ولكن بعد حصوله على ١٣٩ ألف صوت (مائة وتسعة وثلاثون ألف صوت فقط لا غير)، أليس هذا رقماً فاجراً ووقاحة سياسية في تزور إرادة الأمة وانتخابات ممثلي المحليات!!

كأن هؤلاء المجانين الذين زوروا انتخابات (هذه الدائرة كما كل الدوائر الأخرى في الحقيقة) يريدون أن يقنعونا أن انتخابات المحليات (وهي أقرب إلى نكتة تافهة وسخيفة!!) شهدت إقبالاً في التصويت لم تشهده انتخابات مجلس الشعب، يريدون إقناعنا مثلاً أن جماهير الأمة تكالبت على الإدلاء بأصواتهم في الكوميديا الهزلية المسماة المحليات أكثر من البرلمان بكل سخونة انتخابه وصراع أحزابه وتدافع قبائله واحتدام مصالحه، فهل هناك أهبل واحد في هذا الوطن يقتنع

أن مائة وتسعة وثلاثين ألف مواطن خرجوا من بيوتهم يوم الانتخابات في تلك الدائرة لينتخبوا ابن هذا الوزير؟؟ بينما والده مد الله في عمر وزارته وعضويته لم يحصل إلا على سبعة عشر ألف قط.. وجملة الأصوات كلها التي ظهرت في انتخابات دائرته في مجلس الشعب سواء له أو لغيره لم تصل لربع عدد الأصوات التي حصل عليها ولده المعجزة في المحليات ولوحده!!

إنها عملية تزوير فاضحة وغير عاقلة وارتكبتها مسئولون متواضعون الذكاء الذين نسوا أصول اللعبة وفنون السرقة فبدت مكشوفة ولا تخيل على الأطفال، والمفاجأة التي تعري غباء ونفاق أصحاب المصالح والفسدة والمستفيدين من هذه المهازل أن هناك من نشر إعلانات بالآلاف بل وربما بملايين الجنيهات لتهنئة الفائز ووالده مع نشر هذه الأرقام المفضوحة وذلك الإجماع المزور سوف يجعل الصغير والكبير يعرف أنها انتخابات مزيفة ومزورة زورها معاتيه وزيفها بلهاء واحتقى بها فسدة ونشر إعلانات تهنتها منافقون!! (ثم تسألني لماذا تهزمننا وتهزأنا إسرائيل ونطأطأ رأساً وظهرًا للأمريكان!!).

وعلى الرصيف الآخر من الشارع السياسي وتزوير إرادة الأمة وجدنا روثًا ملوثًا بالحبر نشره أحد كتبة ومسئولي الصحافة المصرية الحكومية هجومًا وتهجمًا على مظاهرات أبناء مصر وكذلك على كفاح الشعب الفلسطيني الذي لا يساوي منصبه ونفوذه ونتاج قلمه نعل شهيد فلسطيني في جنين!! وقد كشف هذا الصحفي (ويا سعده وهناه) عن ولاء لمنصبه أكثر من الولاء لضميره في تلك المرحلة التي يعاني فيها من شيخوخة السن والعقل وشيخوخة الضمير كذلك، والمثير للأسى والأسف أن شباب مصر الذين تظاهروا في شوارعها ومدنها وجامعاتها ولدتهم أمهاتهم وجدوا الصحفي هذا على عرشه ولم يروا على مقعده وفي منصبه أحدًا غيره منذ ولادتهم وحتى تظاهروا وليس هناك أي دليل أقوى من ذلك على عفونة الاستقرار والجمود الذي تعيشه الصحافة والسياسة المصرية!!

أسفق هذا الرجل على واجهة زجاجية لمحل أطعمة أمريكية ولم تتحرك خالجه من ضميره (هو وغيره من نباحي ونواحي هذا المحل في الصحافة المصرية) على الشباب البريء الذي قتله الفئة الباغية في الإسكندرية حين كان

يتظاهر تضامنا مع الشعب الفلسطيني، والذي لا يعرفه هذا الصحفي الذي لا يرى كل يوم سوى السادة الذين يسمع تعليماتهم أو المرؤوسين الذين تصطك ركبهم فزعًا منه أو تتدلى ألسنتهم نفاقًا له، لا يعرف أن المظاهرات حتى لو ضد سادته حق دستوري وأنه لا هو ولا من يشدد له أو يأتمر منهم يملكون تزوير إرادة الأمة ومشيتها في التظاهر وسبق للاستعمار والخونة من عملائه أثناء مظاهرات الطلبة قبل جلاء الإنجليز من مصر أن تحدثوا عن شغب المظاهرات وعنفها والقلة المنحرفة المندسة والتي لا يملك هو ولا غيره أن يقول لنا من هم؟ ومن يقصدهم؟ فضلاً عن أن أعظم مظاهرات في أمريكا نفسها وفي عواصم أوروبا والعالم والتي كانت ضد العولمة شهدت تحطيمًا عفويًا لواجهات محلات الأطعمة الأمريكية وكل ما هو رمز لأمريكا وعولمتها ولم يخرج ضابط صحفي هناك متهمًا قلة منحرفة ولا عناصر مندسة!! فضلاً عن أن مظاهرات الاحتجاج ضد الصهاينة في العالم كله تشهد خروجًا من الشوارع والبيادين وحرقًا لأعلام إسرائيل وأمريكا ولم يمنعها أحد من حكومات أو أجهزة أمن بينما عندنا في مصر

والوطن العربي فالخروج إلى الشارع جريمة وعلى الناس أن
تتظاهر في بيوتها أو في مكاتبها فقط لأن الحكومة مذعورة
ومدحورة!! والأمن يدخل ببذباته إلى محارم الحرم الجامعي
ويطلق مئات القنابل المسيلة للدموع في وجه العجائز
والمثقفين والطلبة؛ ثم افرض أن أحدًا يا أخي حطم واجهة
زجاج محل فهل نقتله بالرصاص المطاطي جزاء لزجاج
المحل، أو نحطم عظامه وندغدغ جسده لأنه أحرق علمًا أو
ضج بالغضب والصراخ ضد شارون أو حتى ضد أكبر
رأس عربية أو مصرية، من قال في أي دين وأي شرع أو
سياسة أن مواجهة الهتاف تصبح بالرصاص ومواجهة
المظاهرات بالقنابل ومواجهة الخروج من بوابة جامعة
إسكندرية يكون بالقتل؟؟

وهل يكون نصيب المتمسك بحقه في الاعتراض
والاحتجاج هو الاعتداء الخسيس السافل من الباطنية
المدفوعين أو المدفوع لهم من سادة معروفين كي يعتدوا
بالضرب والتكيل على كل معترض أو معارض كما حدث
لواحد من أنبل رموز الحركة الوطنية وهو كمال أبو عطية
رمز عظمة المظاهرات المصرية!!

أخيراً من ضمن حملات تزوير وتزييف إرادة الناس
ووعيدهم يخرج علينا هذا الصحفي بكلام معاد ويصيب قارئه
بالغثيان وصاحبه بالعار حين يرفض دخول مصر حرباً من
أجل فلسطين بدعوى أن جيشنا لا يحارب إلا على أرضنا
ونسأله ونسأل اللي مشغلينه ولماذا ذهبتم لتحاربوا خارج
أرضنا ضد العراق أيام غزو الكويت وشاركتم التحالف
الصهيوني الأمريكي لتدمير العراق وليس لتحرير الكويت؛
لماذا ذهبتم يا خويا لحفر الباطن إذا كنتم رجال قوى
ولا تحاربون إلا على أرض مصر؟ أم هي الأوامر
والتعليمات!! وهل معنى ذلك أننا لو حاربنا خارج أرضنا
لن ننتصر وسنهزم وهل كوبري ٦ أكتوبر أعز عندنا من
المسجد الأقصى، وأتينا نحارب من أجل مارينا ولا يجب
أن نحارب من أجل القدس، ولو جاء غداً محلل لمكة والكعبة
سنرفض أن نحاربه وننتظره في سفاجة!! المصيبة أنه سيأتي
ذلك العدو كما جرى قبلاً وزمناً بعدما يفرغ من الجيران!!
ثم يرى صحفي السعد والهنا وشكراه وأسياده أن حرب
فلسطين ١٩٤٨ كانت مغامرة من ملك مضغوط بينما يعاير
في الوقت نفسه الفلسطينيين أن مصر حاربت من أجلهم؟

وينسى أننا الذين ضيعنا ٢٨% منها في حرب النكبة و٢٢% في النكسة وأعدنا عشرين كيلو متراً من سيناء في نصر أكتوبر ثم دخلنا في نفق المفاوضات، فأين التضحيات وأين البطولة دفاعاً عن فلسطين والفلسطينيين؟! ويدعي الأخ أن مصر تعلمت من درس نكسة ٦٧ وأنها لن تخوض حرباً وسوف تتفرغ لبناء اقتصادها.. ويا ضلالية بقالكم ثلاثين عاماً لم تطلقوا رصاصة على إسرائيلي واحد بل تأخذونهم بالحضن في شرم الشيخ وطابا وفي كل حنة وتقولون عن رؤسائهم بأنهم أصدقاؤكم (داهية فيكم وفي أصدقاؤكم!) ومع ذلك لم تبنوا اقتصاداً بل هو يتداعى أمامنا الآن في عصر السلام ولم نجد أنفسنا نعيش في رخاء ورفاهية بل في كساد وبطالة وفساد وواردات سفيهة ومتضخمة وانهيار تصنيع وتراجع صادرات وحرق قطارات وعملة محلية مضروبة بالصرمة أمام الدولار.. لا نافعين في حرب وكرامة.. ولا نافعين في سلام واقتصاد. وخايب الصيف خايب الشتاء، ممكن أعرف بعد هذا كله حضرتك قاعد وراكب ليه على كرسيك.. ما تهويننا شوية!!

دعوا الوطن يصرخ، دعوا العلم الأمريكي
يحترق علناً!

من هو الذكي ابن الذكي الذي منع مصورًا تليفزيونيًا من تصوير مظاهرات الطلبة في جامعة الإسكندرية التي اندلعت غضبًا ورفضًا لما يجري من مذابح ضد الشعب الفلسطيني، من هو الذي يمنع وصول صور الغضب والرفض والاحتجاج العربي والمصري ضد العدو الإسرائيلي وحرق العلم الأمريكي المتغطرس والمتآمر والمتواطئ والذي ترفرف تحته كل المجازر ضد العرب وفلسطين، من هو هذا المسئول الذي اتخذ هذا القرار بل واحتجز المصورين قيد الاعتقال لفترة، ثم من هو المسئول الذي حرم شعب مصر من مشاهدة أكبر وأشرف مظاهرات جامعة القاهرة ومظاهرات جامعات المنصورة والمنوفية والزقازيق بآلاف الطلبة من نواة وزهرة وعطر وضمير مصر الذين غضبوا لشرف العرب ومصر وفلسطين ولدماء النبلاء الشهداء أعظم عرب في الوجود مواطنوا فلسطين المحتلة (فلسطين كلها محتلة وليس الضفة والقطاع) من هو هذا الذكي ابن الذكي الذي منع التليفزيون من عرض تلك المشاهد المذهلة الرائعة التي تحررنا من عار الصمت والفرجة على العروبة والإسلام مذبحين بيد الصهاينة النازيين والأمريكان

الصليبين الجدد، ثم تخرج صحف مصر الحكومية (بإمارة
إيه قومية وتعليماتها من أجهزة الحكومة ومسئولي استتباب
الأمن السياسي واستقرار كراسي الحكم!!) تخرج بدون
تغطية واسعة ولا صفحات أولى ولا صور عريضة تحمل
أخبار تلك المظاهرات، ولا يعرض التلفزيون في صدر
نشراته ولا تقاريره مظاهرات الكرامة والشرف في مصر،
لماذا؟، هل هو الخوف الرعديد المحموم والجبان من
المظاهرات وتعبير الناس عن آرائها وأفكارها ومشاعرها
وغضبها ونقمتها وثورتها بالمظاهرات، هل هو الخوف
الكاسر من تحول المظاهرات إلى مبدأ ومنهج للجماهير
فالיום ضد إسرائيل وغداً ضد الحكومة!!

ليس مفاجأة أبداً أن تخرج الأجهزة الغربية تعلن أن كل
الخوف من اضطرابات في الشارع العربي إذا دمرت أمريكا
العراق، وكل التخوف من المظاهرات والغضب الجماهيري
العارم من أفعال شارون، كل هذه التخوفات والمخاوف لا
أصل لها لأن الشارع العربي مات تحت أحذية حكامه، وقد
كانت أمريكا تخشى ثورة هائلة من هذا الشارع وغضب تلك
الجماهير قبل أن تضرب أفغانستان وتقتل آلافاً من أبرياء

هذا الشعب، لكنها بمجرد ما فعلت لم تشهد غضباً ولم تر مظاهرات ولم تلاحظ إضرابات واضطرابات فتأكد أنها تحترم الشعب العربي المسلم أكثر مما يحترمه حكامه وأدركت أن الشارع العربي والمسلم قد تفتت وتمزق تحت سوط وكرباج ودبابة وقضبان حكامه ومن هنا استحلحت ضرب العرب وقررت العدوان على العراق والسماح المطلق والكامل لشارون بضرب الشعب الفلسطيني بكل ما يملك من وحشية وبكل ما يقدر من نازية!! ومع ذلك لا يزال الحكام يمنعون الشعوب من حق الاعتراض على مذابح إسرائيل أو الاحتجاج على خطط أمريكا في العراق، الحكام يسجنون الوطن ويعتقلون شرفه ويقمعون غضبه ويجلدون كرامته، فإذا لم نكن نستطيع حماية كرامتنا من عدوان حكامنا فماذا ننتظر من عدوان الصهاينة والأمريكان.. وكيف نقاوم عدوان حكام إسرائيل ونحن مقهورون من حكام العرب، إن هذا الموقف المهين يؤكد ما أريد دائماً أن أؤكدده، فأنا أعرف حل القضية الفلسطينية وكيفية إنزال هزيمة ساحقة بإسرائيل والعدو الصهيوني، أعرف الحل الوحيد فاسمعوا كلامي فلن تعود فلسطين بالدبلوماسية أبداً وطول ما فيه مفاوضات عربي

مربوط بكرسي عرش حاكم عربي فلا أمل، فلسطين لن تعود ونحن لن نهزم اليهود الصهاينة إلا بالديمقراطية، بحصول الشعب العربي على حريته من حكامه هو الحل الوحيد لإنقاذ فلسطين وهو الطريق الوحيد للقدس! تحرير فلسطين يبدأ بتحرير الشعوب العربية من سجانها، يبدأ عندما يكون لدينا رئيس منتخب ورئيس سابق.. ووطن بلا توريث ولا وراثة! أمريكا تفهم جيدًا الحكام العرب، تعرف أن الحاكم من هؤلاء لو شعر أن عرشه يهتز أو أنه لن يستطيع ترك منصبه لولده من بعده فإنه يسارع بتقديم تنازلات فادحة ويوقع على أي اتفاقية ويقوم بأي مبادرة ويوفق أي راسين في الحلال، الحاكم العربي لا يرى إلا عرشه أو وراثة أبنائه لعرشه ومن ثم فكل ما يفعله على كرسي الحكام هو للبقاء أبد الدهر على هذا الكرسي، لا شعبه يساوي عنده مثقال حبة من خردل، فقط مجموعة المنافقين وبطانة النعاج التي تحيط به هم كل ما يعرفه من شعبه، بلاط مملكته ووزراء عرشه أقنعوه أنه إله أو على أقل تقدير نبي خسارة في شعبه، ولو أن شعبه يعرف النعمة التي تتركب على عرشه لسجد للحاكم وركع وصلى له وعليه كما يصلي للآلهة والأنبياء، فالحاكم

العربي لا يخطئ أبدًا وإذا قرأت أي صحيفة في العالم
العربي من بغداد حتى الرباط تجدها تتحدث عن حكمة القائد
وعظمة الحاكم وانبهار العالم برؤيته وانتظار أمريكا وأوروبا
لكلمته وأن كل خطاب له خطاب تاريخي تتناقله وكالات
العالم وكل زيارة له زيارة تاريخية وكل تصريح صحفي
نبوءة وكل حوار تليفزيوني وحي، وكلما حدث شيء في
العالم فقد كان الحاكم يعرف ويحذر ويا سلام لو كانوا سمعوا
الكلام،!!

تحالف يا مؤمن ولو بمعلومة!

تصدر المخابرات المركزية الأمريكية صحيفة يومية تطبع وتوزع في تمام الساعة التاسعة بتوقيت واشنطن وطبقاً لرواية وليم كولبي مدير الوكالة الأسبق فتلك الصحيفة هي أكثر صحيفة في العالم من حيث عدد محرريها البالغ عددهم ستة آلاف محرر (يعملون لحساب الوكالة في مشارق الأرض ومغاربها) المدهش أن قراء تلك الصحيفة هي أقل قراء صحف العالم بل غير مسموح حتى لمحرريها بقراءتها ويبلغ عدد قرائها ستين قارئاً فقط من بينهم أهم قارئ في العالم رئيس الولايات المتحدة (حتى لو كان يعاني من صعوبات في القراءة والنطق والتعبير وربما التفكير مثلما الحال في الرئيس بوش) لكن يا ترى يا هل ترى ماذا كتبت صحيفة الـ "سي. آي. إيه" عقب ضرب أمريكا الإرهابي والمرعب والمنتقن والمبهر يوم ١١ سبتمبر (الأسود في نظر البعض والأحمر أو البمبي في نظر آخرين) أغلب الظن أن كل ما يرمي عليه المتقاتلون من أحمال ثقال أن الولايات المتحدة سوف تنتبه وتستيقظ وتدرك (وربما توقن) أن سياستها تجاه العالم العربي والإسلامي خاطئة (هي سياسة مجرمة وإرهابية في الحقيقة) (أغلب الظن أنه سوف يشعر

قريبًا بإحباط شديد: المخابرات الأمريكية لم تعترف بأنها زرعت مع مسئولى وطنهم الشر والظلم والفساد في بقاع كثيرة من العالم؛ إن أول ما طالب به رجال السياسة والمخابرات في أمريكا هو عودة استخدام سلاح الاغتيال لشخصيات وسياسيين في أي بقعة من العالم (تذكر محاولات اغتيال عبد الناصر وربما السادات وكاسترو والليندي ولومبا وغيرهم عشرات ومئات نجحوا في قتلهم أو فشلوا) اللجوء للاغتيال بدون محاكمة والقتل لأسباب سياسية هو الحل الأول الذي طرحته الإدارة الأمريكية ثم تلا ذلك فتح باب التنصت والتجسس على أي بني أم في أمريكا بدون لا قوانين ولا محاكم وكلام فاضى من هذا كله مع ملاحظة مهمة أن أمريكا من غير قوانين وبيلاطجة كاملة لا تنقصها الوقاحة تتجسس على العالم كله (تتذكر معي على سبيل المثال لا الحصر أو الحسرة التجسس على مكالمات الرئيس المصري أثناء أزمة القبض على قيادي فلسطيني) وبعد حق الاغتيال وحرية التجسس: هناك ضرب حرية الصحافة وإعلان إعلام حرب على طريقة "لا صوت يعلو فوق صوت المعركة" ومنع نشر مقالات أو موضوعات ضد الحرب أو

ترفض اليقين الأمريكي السائد بالغ التوحش حول حق أمريكا في قتل العالم كله في سبيل الانتقام؛ حتى أن الإدارة الأمريكية منعت وسائل الإعلام من نشر رأي أو صوت عدوها بن لادن (يدهشني أن كتابًا محترمين في مصر غاضبون أن محطة الجزيرة تذيع رأي بن لادن وتصريحات طالبان وواضح جدًا أن الإعلام عندهم هو ما يعرض الرأي الذي نوافقه ومن العيب المجرم أن نذيع أو ننشر شيئًا يحرك مشاعر الناس لأن الناس حمارة عندها مشاعر ولأن مشاعر الرأي العام ليست مهمة ما دمنا لا نرضى عنها ولازم نمنع عن الناس المعلومات والآراء التي تضر بصحتهم وتسوس أسنانهم!) إنها الحرب السافرة على الأبرياء بحجة الرد على قتل الأبرياء وخرق القانون بدعوى الدفاع عنه؛ إن ما يسود أمريكا الآن هي حالة الإنكار والمكابرة: الرئيس بوش يقول إن أسامة بن لادن ضرب أمريكا لأن أمريكا طيبة وأسامة شرير.. إنها قصة تصلح للأطفال في فيلم رسوم تحركه والمؤسف أنها تصلح للشعب الأمريكي مع الفشار والبطاطس أمام التلفزيون ولكن لا يمكن أن نشترى تلك البضاعة لدينا؛ الرئيس الأمريكي مذهول من أن العرب يكرهون أمريكا

ونحن العرب بدورنا مذهبولون من أنه مذهبول (..) أولاً
العرب لا يكرهون أمريكا بل يكرهون حكومات أمريكا
وسياسات أمريكا؛ واستكمالاً لقصص الرسوم المتحركة التي
يرردها بوش فإن سبب هذه الكراهية يا أولاد أن أمريكا تدعم
وتؤيد وتقوي وتسليح إسرائيل (مفاجأة يا سيد بوش أليس
كذلك؟) وأن إسرائيل احتلت أرض العرب ومقدسات العرب؛
أمريكا تعرف تلك الحقيقة منذ زمن لكن الرئيس بوش بطيء
شوية وكان غايب في حصة التاريخ في المدرسة؛ التفتت
أمريكا للأمر أكثر بعد حوادث ضرب البنتاجون ونيويورك
ليس فقط لأن عربًا مسلمين فعلوها ولكن لأن عربًا مسلمين
(أو العرب المسلمين) فرحوا وشمتموا في أمريكا (السياسة لا
الشعب)؛ طبعًا السؤال بصيغته الأمريكية (لماذا يكرهوننا؟)
معناه أن الإدارة والمجتمع الأمريكي وراءها أو معها لم يعير
اهتمامها لكلام مسئولينا العرب ووزراء الخارجية وكتابات
الإخوة الأصدقاء العملاء (..) عن تطابق وجهات النظر
وتفهم الدوافع الأمريكية والمشاركة باليد أو باللسان أو بالقلب
في التحالف (كان شعار التحالف الأمريكي تحالف يا مؤمن

ولو بمعلومة!) بل سمعوا نبض الشعوب (تك تك تك)
وأدركوا الحقيقة:

الأولى: أن الشعوب؛ قلوبها وعقولها في مكان وحكامها
في مكان آخر تماماً؛

الثانية: أنه إذا أرادت أمريكا كسب الشعوب فلا بد أن
تخسر الحكام؛ المفاجأة للسادة الذين يعتزمون المراهنة على
أن الإدارة الأمريكية سوف تفعل مع الأوطان العربية
والمسلمة ما فعلته إنجلترا في حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ حين
أجبرت الملك فاروق على تكليف حزب الوفد بزعامة
مصطفى النحاس الحكم لأنه حزب الأغلبية وال جماهيرية
والشعب يريده ويلتف حوله ومن ثم تظمن إنجلترا لمصر
وأحوال مصر في وقت تحارب الإمبراطورية فيه هتلر في
حرب ضروس؛ هذا الحدث التاريخي الاستثنائي (رغم
الخلاف على مشروعيتها) لن يتكرر أبداً في حال أمريكا
الجديد السبب أو السر هو أن ضمان أمريكا في دول العالم
الثالث هو الحكام الديكتاتوريون؛ وهم الذين يديرون السياسة
حسب البوصلة الأمريكية؛ تخيل مثلاً لو حكومة نواز شريف
الشرعية هي التي تحكم باكستان في مثل تلك الأحداث هل

حصول أمريكا على تلك العمالة السياسية السريعة والرخيصة كانت ستكون على هذا النحو الغارق في الولاء والتبعية (يضحكني جدًا كلام برويز مشرف أن تأييده أمريكا كان خوفاً على القنبلة النووية لباكستان ونحن كنا حميراً نظن أن القنبلة النووية تجعل الناس أقوى وأمتن فإذا بها تذلتنا وضعفنا؛ كنا فاكريتها تخيف الآخرين فإذا بها تفك ركبتنا نحن: طيب وعلى إيه بقي ما نخلص منها إذا كانت سوف تذلتنا ولا تقويننا) لن تتكرر أبداً ٤ فبراير خصوصاً أن الملك فاروق وقتها كان هواه مع ألمانيا فضلاً على أن إنجلترا نفسها تخلت وباعت حزب الوفد والديمقراطية بمجرد ما انتهت الحرب وطأطأ الملك لها أكثر: الديمقراطية تصنعها الشعوب ولا تأتي نتيجة موازين دولية أو طلبات أو أوامر أمريكية بل إن التاريخ الأمريكي كله في العالم يؤكد أنه يركض وراء التنفيذ التابع السريع لأوامرها: (تأمل الرضا على النظام السوداني الآن واديني عقلك.. انتبه إلى المدح في عرفات بمجرد ما قتل مواطنيه ثم هناك بروزي مشرف وحتى القذافي وأكمل أنت بقية القائمة) المؤكد أن الدولة الوحيدة التي حصلت في الدائرة الإسلامية والعربية على

حرية مدهشة وديمقراطية واسعة نسبياً هي الدولة ذات
العداوة السياسية المباشرة والملتهبة مع السياسة الأمريكية
وهي إيران؛ وهذا ما يؤكد على أن الديمقراطية تذهب
لمستحقيها والمناضلين لأجلها ولا يمكن أن تصل تيك آواي
من وشنطن! مع الوضوح الشديد على أي ديمقراطية ممكنة
على تلك البقعة من العالم سوف تضع بإرادة الشعوب التيار
الديني في مقاعد الحكم وهو أمر يفرغ حتى دعاة الليبرالية
والتسول الديمقراطي من البيت الأبيض والإدارة الأمريكية
وهو ما لا تريده أمريكا أيضاً؛ دعك من أوهام التحرك
الأمريكي من أجل دولة فلسطينية فكلام بوش كله يصيب
تماماً في تسوية رديئة وعاجزة عن تحقيق أي شيء لفلسطين
ومراهم الحريق التي يدهنها بوش الآن تريح الحكام ولكن لن
تريح حائط البراق ولا جثث الشهداء! أما الديمقراطية
المزعومة فهي لن تأتي في عبوات السياسة الأمريكية بل
ستستمر تلك السياسة إمعاناً في التصل والتراجع والإمعان
في الخطيئة وفصل بعض القتلة غير المهرة في السياسة
الأمريكية واستبدالهم بقناصة وقتلة أكثر مهارة؛ تأمل معي
المقال الذي كتبه مدير المخابرات السعودية السابق والذي

استبعد من فترة قصيرة جدًا عن منصبه وهو الذي أوحى وأوماً البعض إلى علاقة وثيقة له مع بن لادن أدت إلى منحه جواز سفر للاستخدام مرة واحدة للخروج من السعودية بعد إقامة جبرية قصيرة في مقبّل التسعينيات ومن الواضح أن الرجل ومخبراته لعبا الدور الأكبر في تصنيع الجهاد الأفغاني ضد الروس وفي مصب ومجرى السياسة الأمريكية في السبعينيات؛ تركي الفيصل وهذا اسمه نشر مقالاً مليئاً بالتكبر والتصل من مسؤوليته أن تكنى باسم أبيك رحمه الله وكشف في تلقائية عجيبة عن مدى التورط المخبراتي في مجال السياسة من كابول إلى لانجلي مقر المخابرات المركزية الأمريكية كتب تركي الفيصل في جريدة الشرق الأوسط السعودية (كانت تغطية الجريدة ولا تزال لضرب أمريكا والحرب على كابول نموذجاً خالصاً في الولاء المطلق والدعاية المفرطة للسياسة الأمريكية فيما قد يكون إحساساً بذنب أو تكفيراً عن جرم أو مبالغة في التماس (والتمسح) من ملاك الصحيفة إلى ملاك القرار في واشنطن الرياض) كتب بتاريخ ٩ أكتوبر تحت عنوان (ادعاءات بن لادن).

"خسئت يا بن لادن.. فإنك لا تستطيع أن تقنع باسم أبيك
رحمه الله... أذكر أنك عندما كنت تدعى أنك تحارب مع
المجاهدين الأفغان ضد السوفيت فكنت ممن يعرفون
بأصحاب الكهوف فقد كنت تختبئ مع من يختبئ في الكهوف
كلما دارت رحى المعارك واليوم ما زلت تختبئ في كهفك!!!
والآن بعد أن سفكت دماء الأبرياء في نيروبي ودار السلام
وتبعث ذلك بسفك دماء الأبرياء في نيويورك وواشنطن
ومنهم مئات المسلمين فكيف تسمح لنفسك بادعاء الإسلام،
وأما عن تعهدك أمريكا بالويل والثبور حتى تأمن فلسطين
فأين أنت من فلسطين؟؟ هل قتلت إسرائيليا واحدا؟ هل
تبرعت بدولار واحد لتجهز مجاهدا من الذين يستشهدون كل
يوم في فلسطين لا والله لأن ذلك بعيد عنك وعن تفكيرك!!
وأما عن العراق وأطفال العراق فأين أنت منهم وماذا فعلت
لهم وبالله ماذا فعلت لشعب أفغانستان لقد جلبت له الدمار
وكان أشرف لك بعد أن باركت الانتحار أن تنتحر وتضحى
بنفسك في سبيل تخليص أفغانستان من نتائج أفعالك إنك
تتمسح بمآسي المسلمين لتبرر إجرامك وتغرر بصغار العقول
وكل ما أقوله لك هو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأنت

بذرة فاسدة مثل ابن سيدنا نوح عليه السلام وسيغمرك
الطوفان كما غمره".

المدهش أن رئيس المخابرات السعودية وعلى الطريقة
الأمريكية البحتة في هجومه الذي يتنفس بالعلاقة الشخصية
القديمة وما أفرزته من إحن؛ ينكر أي مسئولية شخصية
لمخابراته عن مأساة الشعب الأفغاني وعمما يحيق من كوارث
بالشعب العراقي؛ فجأة طلع المسئول هو بن لادن!! حين
يستنكر على بن لادن تبنيه قضية فلسطين فأين أنت من
فلسطين يجعلنا نسأل وأين الحكومات العربية كلها من
فلسطين؟ الحاصل أن المثقفين العرب المحسوبين على
الليبرالية يبدأون موسم التسول للديمقراطية من أمريكا
والحكام العرب بدأوا التسول لحل وتسوية عاجلة (مش مهم
عادلة المهم عاجلة!) لقضية فلسطين! وهو ما لن يحدث لأن
الإخلاص والتحالف العميق المؤكد بين أمريكا وإسرائيل لن
يتفتت أمام الاستجداءات العربية؛ كما أن التحالف العميق بين
مصالح الديكتاتوريات في العالم الإسلامي ومستهدفات أمريكا
لا فكاك منه! وها هو رئيس المخابرات السعودية السابق
يطلب من أسامة بن لادن أن ينتحر ويخلصنا! وكأن غيابه

وموته (إذا لم يتحقق بالأمريكان فإن الفشل الكلوي المصاب
به بن لادن كفيل بتحقيقه) هو الحل تمامًا مثل السعي
الأمريكي إلى مطاردة الإرهاب في كل مكان وكأنه الحل!!
إن الأمر الأمريكي كله يذكرك بمشهد في فيلم سينمائي
هوليوودي حيث يسأل ضابط مكافحة الإرهاب زميله: ماذا
نفعل لو تمكن إرهابي من الوصول إلى سلم الطائرة ومعه
رهينة وقد يهرب بها؟ فرد عليه زميله: سوف نقتل الرهينة!
وها هم الأمريكان يقتلون الرهينة!

لماذا تصر الحكومات أننا شعب ما يتمرر
فله يأكل وندر؟

ليست مشكلة إطلاقاً أن تكذب الحكومة، المشكلة الحقيقية أنها تغضب إذا لم تصدق أنت كذبتها، القاعدة المعمول بها مصرياً منذ سنين أن الحكومة حرة تكذب زي ما هي عايزة والناس حرة ألا تصدق كذبتها، لكنها هذه الأيام تأخذ على خاطرها قوي فقد أصبح الناس يعلنون عدم تصديقهم للحكومة هكذا بكل وقاحة أذهلت المسؤولين الذين يرفعون شعاراً يوجهونه لنا ليل نهار "أنتم شعب ما يتمرّش فيه. خسارة فيه الإنجازات. شعب يأكل وينكر. وأخيراً تتهم الحكومة شعبها أنه يركب قطارات لكي يحرقها...!!".

كي تفهم ما حدث في أزمة قطار الصعيد الفاجعة اقرأ معي تلك القصة النكتة وأنت تضع أمام عينيك الطريق المعبد السريع والمختصر الذي شقته الحكومة لسكان ومريدي قرية مارينا على الساحل الشمالي حتى توفر عليهم وقت وكلفة الطريق الصحراوي فضلاً عن البنية الأساسية التي تكفلت بها الحكومة لمليونييرات مارينا وقارن تلك المليارات المارينية بحال خط الصعيد.. نرجع مرجعونا إلى القصة أو النكتة التي تحكي أن ولداً سأل والده: بابا يعني إيه السياسة الحكيمة؟ فقال له والده: شوف أنا سأشرح لك

التعريفات بطريقة تفهمها.. افرض أنني أنا الرأسمالية، معي
الفلوس وثروة البيت والذي أريده يتنفذ، يبقى أمك هي
الحكومة التي تنفذ ما أريده ويبقى أخوك الصغير هو
المستقبل اللي إحنا عايزينه يكبر وبنشقى من أجله والبنات
الشغالة اللي عندنا تبقى هي ساعتها الطبقة العاملة. ويبدو أن
الولد اقتنع بالتعريفات لكنه قلق بالليل في نومه نتيجة صراخ
أخيه الصغير الذي تبول أو تبرز على نفسه فانطلق يبحث
عنه أمه فوجدها نائمة في سابع نومة وبحث عن والده فوجده
في غرفة الشغالة بيغتصبها. فوقف مخاطبًا نفسه: أنا دلوقت
فهمت السياسة هي أن الرأسمالية تغتصب الطبقة العاملة
والحكومة نايمة والمستقبل غرقان في الخراء والوساخة!!

إن يبدو أن حالة رغبة الحكومة في إجبار الناس على
تصديق حالة طبيعية تلجأ لها كل الحكومات في كل أرجاء
الدنيا، وكلهم يقولون كلامًا يرتع في الكذب حول الإنجازات
أو العمل من أجل الجماهير الكادحة لكن مشكلتنا هنا في
بلادنا هي تحالف الحكومات مع السياسيين والكتبة المنافقين
الذين يجلسون تحت قواعد كراسي الحكومات والحكام
فيجعلون ما ينطق به هؤلاء دررًا من الحكمة وما تقعله تلك

الحكومات ضرباً من الإنجازات ومن مصلحتهم أن يكون الإهمال بل والمواطن نفسه هو المسئول وليست الحكومات عن أي كارثة أو مأساة تلحق بنا فإذا سقط أوتوبيس في النيل فهذه ليست مشكلة الحكومة بل مشكلة الراكب فمن قال له ألا يتعلم العوم والسباحة وهكذا يكون المواطن لكونه مواطناً غلباناً فقيراً هو الضحية وهو الجاني!..

وقديماً قالوا إن مرافق (أو منافق) السلطان رأى فيلسوفاً يجمع عشباً ليأكله بدلاً من الطعام فقال مرافق السلطان للفيلسوف: لو وضعت نفسك في خدمة الملوك لما اضطررت إلى أكل الأعشاب. فأجابه الفيلسوف: ولو أكلت أنت الأعشاب لاستغنيت عن خدمة الملوك، وفي رواية أخرى أن فلاحاً تقدم إلى فقيه رآه على باب السلطان فطرح على الفقيه سؤالاً فقال له الفقيه هل هذا المكان المناسب لطرح الأسئلة وهنا إجابة الفلاح وهل هذا المكان المناسب لوجود الفقيه!! ومن ثم نفهم أن منافق ومرافق السلطان والفقيه على باب الوالي أشد فتكاً بالناس من السلطان والوالي الذي وجد من يمجده ولم يجد من يرده!!

ويحكى أن ولياً من أولياء الله الصالحين قام بزيارة
خاطفة إلى الجنة فاندھش من رؤية ذئب يرتع فيها فهتف
متعجباً: ذئب في الجنة، إنني لا أصدق عيني، فأجابه الذئب
نعم فقد افترست ابن الأمير، فقال له الولي إذن لو افترست
الأمير نفسه لدخلت إلى السماء السابعة!!

ويحكى أن وفداً من الكوفة ذهب إلى الخليفة يلتمس منه
عزل وإلى مدينتهم وقالوا له في السنة الأولى لولايتيه
اضطررنا إلى بيع مقتنياتنا وأراضينا وتخلينا في السنة الثانية
عن أملاكنا وأموالنا وفي الثالثة هجرنا مدينتنا وجئنا إليك
يا أمير المؤمنين راجين رحمتك بأن تضع حداً لشقائنا بعزل
هذا الوالي، لكن أمير المؤمنين رفض احتجاجهم وأكد لهم
استقامة الوالي وتقواه وإخلاصه وعدله وأنه يعمل وفقاً
لتوجيهاته وطبقاً لإرشاداته وتحت رعايته، فأجابه الناطق
باسم الوفد: صدقت يا أمير المؤمنين وكذبنا نحن بحق الوالي
فما دام هذا الوالي على ما ذكرت من الاستقامة والتقوى
والإخلاص والعدل لماذا كافأنا به كل هذه السنين الطوال
دون سوانا وقد ولاك الله بلداناً أخرى لترعاها كما رعيتنا

فأرسله إليها أيضًا لينعم أهلها باستقامته وتقواه وإخلاصه
وعدله كما نعمنا بذلك قبلهم.

وعن الحاشية الذين يؤلهون ملكهم إلى حد أن يصدق
الملك إلهامه من السماء وينظر إلى ظله كأنما يشعر أنه حقًا
ظل الله على الأرض.. يحكى أن أمير المؤمنين افترق عن
صحابه وحاشيته أثناء الصيد في الصحراء وتاه من صحبته
حتى التقى ببديوي واقف عند ظل شجرة فسأله الأمير: هل
تعلم من أنا؟ فرد عليه البديوي: نعم أنا طاغية وابن طاغية
سلبت مال الله واعتديت على حرمة. فرد عليه الأمير: ما
هذه الجرأة أنا أستطيع أن أنفعلك وأن أضرك، أجاب البديوي:
اسأل الله أن لا ينعم عليّ بنفعلك ولا يرد عني ضررك،
ساعتها ظهر رجال الحاشية قادمين من بعيد فخاف البديوي
المسكين على نفسه فاقترب من الأمير وهمس في أذنه "يا
مولاي ربنا يدريك طولة العمر والنبي خلي كلامنا سر بينا
إحنا الاثنين".

وتروي عن الحجاج في السياق نفسه حادثة خروجه
للصيد كذلك فصادف أن مشى وحيدًا فالتقى رجلًا عجوزًا
فسأله الحجاج عن حكام هذه البلاد فقال: العجوز كلهم رجال

شر يظلمون الناس ويسلبونهم ممتلكاتهم، فرد الحجاج: وما رأيك بالحجاج؟ فأجابه العجوز: هو أخبثهم قبح الله وجهه ووجوه الذين جعلوه واليا علينا، فرد الحجاج: هل تعلم من أنا؟ فأجابه: كلا.. ومن أين لي أن أعلم! فرد الحجاج: أنا الحجاج بن يوسف، فصعق العجوز وارتيك ثم قال للحجاج: وهل تعلم من أنا، فأجاب الحجاج: لا، فرد الرجل: أنا مجنون هارب من المستشفى وراجع فوراً.

عندما يتأمل المرء هذه الحكايات من عجائب القهر العربي يكتشف أن الحال على ما هي عليه منذ مئات السنين إلى الدرجة التي جعلت الشعوب مغموسة ومنقوعة في النفاق والرياء ومن ثم التخلف ولا عجب أن يتقدم الجميع وتتأخر نحن.. ونترجع ونندهور وننهيار..

ويبقى الحديث كله في التاريخ (مصلحتك ومصلحتي) تلك الواقعة التي يرويها البعض عن تيمور لنك الحاكم المغولي عندما سيطر على الشرق فوجد كل حاكم عربي يسمي نفسه بلقب مثل المعتصم بالله، المتوكل على الله، المستنصر بالله، فطلب من الناس أن يقترحوا عليه لقباً مثل هذه الألقاب فقال له أحدهم: سمي نفسك "نعوذ بالله"!

الحكومة مسؤولة عن حرارة الجو!!

ما هذا الإصرار الغريب على الفشل، حكومتنا التقيدة (أخت رشيدة) خبيرة وأستاذة قسم الفشل في حياتنا، دعك من الناحية السياسية فقد عرفنا فشلها وخبيرتها، المشكلة الآن هي الخيبة بالويبة في الأمور المتعلقة بالحياة اليومية للمصريين، وليكن واضحًا تمامًا أنني أتهم الحكومة بمسئوليتها عن موجات الحرارة (موجات إيه، هذه بحور محيطات!!) التي اجتاحت مصر في هذا الصيف، وقد يتعجب متعجب أو يستغرب مستغرب ويقول كيف تكون حكومة مسؤولة عن ظاهرة طبيعية وحالة جغرافية مثل الحر؟ أقولك أنا:

هل تتذكر الأمطار حين تهطل يومًا أو ليلة في مصر المحروسة فإذا بالحياة تصاب بالشلل في البلد وتتحول الشوارع إلى بحور وتتعطل المصالح والمدارس؟ فهل فكرت الحكومة منذ الآن في كيفية مواجهة الشتاء القادم، أبدًا، ولا على بالها!! الحال نفسه يتكرر في الصيف فإذا كانت الحكومة لا تتذكر إصلاح البلاعات والشوارع من أجل الشتاء فهي لا تتصور أن عليها أي مهمة تجاه حرارة الجو وتملك من الوقاحة السياسية أن تقول إن الحرارة ليست

مسئوليتنا، والحقيقة أن موجات الحرارة جاءت لتكشف وتعري وتفضح العجز الحكومي وفقدان الخيال وعدم القدرة على إبداع الحلول أمام المشاكل المتفاقمة، زمان كانت الحكومة تطلق أثناء الصيف والذي لم يكن على هذه الدرجة من الحرارة الفظيعة سيارات رش ترش الشوارع بالمياه لتساهم في تلطيف الجوف وكسر الحر (لماذا لا يعود هذا الحل الآن وبكثافة وبحماسة؟) وهي العربات التي كنا أطفالاً نجري وراءها فرحاً وبللاً، وكان هذا الحل على تواضعه جزءاً من احترام الدولة للمواطن وتضامنا معه في أجواء حرارة محبطة ومعطلة، الآن هناك تناحية في مواجهة المواطن بمعنى أن الكهرباء تنقطع فيكاد الناس تتسلق من الحرارة فيكون الرد البجح أن نسبة تشغيل التكييف والمراوح تزيد الحمولة على مولدات الطاقة الكهربائية، دعك من اختفاء اللياقة في الكلام لكن انظر إلى عوار السياسة الحكومية التي تذلنا كل شوية بحكاية البنية الأساسية، طيب وأين ذهبت بنية الكهرباء الأساسية في الوقت الذي نحتاجها فيه، بل ولماذا لا تزيد فوراً طاقة المولدات ويجري إيداع في حل زيادة سعة الطاقة لمواجهة الحر والحرارة، لكن الكسل

الحكومي والفسل السياسي وعجز الخيال وعدم احترام المواطن تؤدي بهم إلى الحل السهل وهو انقطاع الكهرباء، خذ عندك أيضاً عدم تفكير الحكومة في استيراد حلول تكنولوجية للحر (في الوقت الذي تستورد فيه التفاهات والهيافات بأموال البلد المنهوبة والضائعة) فهناك تكنولوجيا روسية (وبالمناسبة قديمة وليست حديثة) تقوم على عمل سحب صناعية (آه سحب!) ومن ثم تمطر من السماء (زملانونا الذين زاروا موسكو عام ١٩٨٥ شهدوا هذه التكنولوجيا وهي تعمل بنجاح ساحق!)، ومن المؤكد أن هناك في الدول المتقدمة حلولاً واختراعات في هذا الصدد فقط نفكر فيها أو نسال أو نبحث عنها، ثم هناك فتح الخيال لشباب المصريين من المخترعين والعلميين في التحايل والتعامل مع هذه الحرارة الغليظة التي تقل غلظة عن فظاظة حكومة فاشلة!

ثم مع كل ما يحدث من تحول الصيف المصري إلى جحيم، فلا زالت الحكومة على كل عاداتها السقيمة فالمرور هو نفسه المكسد المعذب دون أي إجراءات مبدعة (كم مرة ذكرت كلمة إيداع في هذا المقال؟) تساهم في حل الاختناقات

المروية الليلية (تذكر فشل المرور في شهر رمضان سنويًا!).

لكن المشكلة الجذرية هنا أن المواطن (في الحقيقة!) لا يشعر بتضامن ودعم الحكومة له في مواجهة الحر بل يشعر أن الوزراء والمسؤولين (وهذا مذهل في صحته!) قد لا يعرفون أن البلد حر فعلاً إلا من خلال السمع وقراءة درجات الحرارة بأرقامها المخففة والكاذبة، فالمسؤولون لا يجلسون إلا في الغرف والقصور المكيفة التي لا تنقطع عنها الكهرباء أبداً، ويركبون سيارات مكيفة لا تقف في إشارات المرور أبداً! فمن أين لهم أن يعرفوا ويفهموا!!

إن الحكومة التي تنسى عمل وصيانة بلاعات للشوارع في الشتاء وتقطع الكهرباء والماء في الصيف (خايب الصيف خايب الشتاء) يجب أن تخشى وتحس على دماها ولا تفتح فمها بحكاية البنية الأساسية مرة أخرى.. وسلم لي على الكباري والمجاري!!

إنه طفی!

الصحفي الأمريكي اليهودي "توماس فريدمان" محرر الشئون الخارجية في صحيفة نيويورك تايمز (معقول يا رجل مش عارف توماس فريدمان!) عندما زار مصر منذ فترة استقبلته جهات وهيئات رسمية بالزغاريد السياسية "ووسع يا جدع يا سعدنا توماس عندنا"، نظموا له الاستقبالات والاحتفالات ودعوا لأجله الكبراء واستقبله الوزراء واحتقوا به فشر ولي عهد إنجلترا، كل هذا الترحيب كان لهدف واحد أن يرضى توماس أفندي كعب الغزال عن سياسة حكومتنا ويكف عن نقدها ويعترف بحكمة حكام سياستنا الرشيدة!!

المفاجأة أن لا هذا التكريم ولا تلك السراقات الحكومية ولا الكرم الرسمي الحاتمي أقنع توماس بمدح حكومة وحكام مصر بل العكس تمامًا.

نفس الأمر ويا سبحان الله تكرر مؤخرًا مع السعودية التي دعت الأخ توماس إلى الرياض وفتحت له القصور وأجلسته مع الأمراء وتعشى وتغدى مع الكبراء ودخل مؤسساتهم الصحفية وطاح فيهم تعليمًا وإصلاحًا وتهذيبًا ثم عاد إلى نيويورك وعينك ما تشوف إلا النور، نقد وتقييم للسياسة والساسة السعوديين، والغريب العجيب المريب أن الحكام

العرب يتزقون كلمات الصحفي الأمريكي ويخشونه ويتوددون إليه بل ويحدد سياستهم ويملي خطتهم ويعظ كبراءهم ويتمتع هو بحرية كاملة وتامة ومتممة معهم بينما الصحفي العربي الغلبان إما يكون منافقاً أو صامتاً أو ممنوعاً أو مسجوناً، وأحلم أنا شخصياً بأن أملك ربع بل سدس بل ثمن بل تسع وموافق على عشر (بضم العين) الحرية التي يتمتع بها توماس فريدمان في مواجهة ومغالبة ونقد وتقويم وتقويم الحكام العرب!

كلما قرأت حواراً بين صحفي أمريكي وزعيم عربي تذكرت الحوار الذي أجراه ذات مرة صحفي كبير مع رئيس دولته وقال له قبل سؤال ظن أنه محرّج "سيادة الرئيس اغفر لي إساءة الأدب" كأنما مواجهة الرئيس بسؤال حار أو حتى حاد، قلة أدب تستلزم الاعتذار، بينما عندما تقرأ أو تشاهد حواراً أجراه صحفي أمريكي أو تليفزيون أجنبي مع أي زعيم عربي فإن صدر الزعيم ساعتها يكون مفتوحاً وصبره واسعاً أمام أسئلة تصل إلى حد الاستفسار عن حقيقة وراثته الأبناء أحياناً واتهامات الفساد أحياناً أخرى وهذا يعني ضمن ما يعنيه إلى جانب خوف وضعف رجالنا ومثقفينا عن

مواجهة حكامنا بالصراحة الواجبة والشجاعة الكافية فإن
حكامنا لا يجدون أي فرصة للفرار من مواجهة الإعلام
الغربي والجهات والهيئات الغربية والأمريكية تحديداً، فيشعر
الواحد وهو يتابع ذلك كله إلى جانب أن الوطن العربي خلا
من الرجال، أن الحاكم العربي بات يحصل على مصداقية
وجوده على عرشه وصك صلاحية بقائه في منصبه من
المجتمع والإدارات الأمريكية والغربية وليست مجتمعاته
المحلية العربية ومن ثم هو مطالب بكشف حساب أمام
الأجانب وليس أمام شعبه بل أحياناً كثيرة فإن الحوارات التي
يجريها في الخارج تشهد رقابة وحذفاً من بطانة الحاكم في
بلده لأن هناك ما لا يصبح أن يعرفه شعبه عنه أو عما يفعله
أو عما يخرجه من أسئلة وما يتم مواجهته به من انتقادات!!
وقد عرف مواطنو جمهورية عربية متحدة خطط حاكمهم
بخصوص ابنه من سؤال لصحيفة أسبانية وعرفوا كذلك أنه
يفكر في أسماء خمسة لاختيار خليفة له من حوار مع
صحيفة أمريكية وعرفوا مشاركة أجهزة بلادهم مع واشنطن
في الحرب ضد أفغانستان من حوار مع مجلة أمريكية!!

من ناحية أخرى وبينما يعلن البعض إعجابهم بالحوار الذي أجراه زعيم عربي مع تليفزيون إسرائيلي حيث انتقد وهاجم سياسة قادتهم فإن الأمر الذي يثير الاهتمام حقاً هو سماح حكومة إسرائيل لمن ينتقدها ويهاجم سياستها بالظهور والكلام في تليفزيون حكومتها بينما في الوطن العربي طويلاً وعرضاً لا يمكن أن تجد تليفزيون دولة يستطيع إذاعة حوار مع زعيم معارض ينتقد ويهاجم سياسة حكومته ودولته!! بل إن العرب جميعاً يركبهم ستون عفريناً لو أذاعت قناة الجزيرة كلمة كده ولا كده عن رئيس أو زعيم دولة عربية!! إنه ازدواج شخصية مطلق وكامل أن الصحفي الأجنبي يناقش أفكار حكامنا ونحن لا نملك إلا الانبهار بها، إن التليفزيون الأجنبي يعارض وينتقد حكمة حكامنا بينما نحن لا نملك إلا الشغف بها، كما أنه من حق حكامنا أن يعارض سياسة وساسة الزعماء الأجانب في تليفزيونات بلادهم بينما لا نملك نحن نقد سياسة حكامنا في تليفزيونات بلدنا! ولو نطق كاتب أو صحفي معارض في محطة عربية أو جريدة أو ندوة أجنبية فانتقد أو هاجم أو عارض سياسة حاكمه لجرسوه وحبسوه وأهانوه ومنعوه! كان الرئيس

السادات رحمه الله يغضب ويزعق إذا ما وصل إلى مسامعه ذلك الكلام الخشن الذي كانت المعارضة تردده ضده، وأيامها كان هناك معارضة حقيقية وكان هناك معارضون شجعان يقولون حقاً حتى لو كان خشناً ويتحملون خشونة الثمن الواجب دفعه، عموماً قال الرئيس السادات للمفكر الكبير دكتور سعد الدين إبراهيم (كما حكى لي د. سعد) إن المعارضة دي قليلة الأدب ولا تعرف تخاطب رئيس الجمهورية حيث يجب أن يلزموا حدودهم.. ثم ضرب السادات مثلاً بالقرآن الكريم في سورة طه، حين خاطب المولى عز وجل النبي موسى وأخاه أمرا ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿ (آية ٤٣ و ٤٤) شايف يا سعد حتى ربنا قال لهم كلموا فرعون بلين وبأدب.. ده فرعون برضه!! والغريب أن الرئيس السادات بينما كان يطلب الرفق واللين في مخاطبته طبقاً للآية القرآنية فإنه اعترف طبقاً للآية نفسها أنه فرعون وأنه طغى.. ولعل الرئيس السادات كما روي عنه الراحل العظيم أحمد بهاء الدين (في كتابه محاوراتي مع السادات)، كان واضحاً مع نفسه تماماً حين قال له: أنا (أي السادات)

وجمال (عبد الناصر) آخر الفراعنة، وأغلب الظن عندي
أن السادات هو آخر فرعون لا يرى بأساً من إعلان
فرعنته.. لكن شجرة عائلة الفراعنة لا تتوقف عن النمو
والولادة!!

هذه الأفكار ذهبت بي إلى تفسير القرآن الكريم ولسورة
طه حيث الآية الكريمة التي استشهد بها السادات لنفهم فعلاً
هل يأمر الله موسى ومن ثم عباده أجمعين بالقول اللين
للفرعون الطاغي!! خصوصاً أن الأرض المصرية تعلم
أبناءها معاملة الحكام وخاصة الطغاة منهم على أنهم آلهة
وفراعنة يجب أن نكون مهذبين مؤدبين أمامهم نركع لهم
بالكلمات إن لم يكن الرأس والقامة، نسجد لهم نفاقاً بالمدح
والتقديس إن لم يكن بانحناء الرأس وغمسها في التراب،
نتلمس عند حكامنا وخاصة الطغاة الحكمة والوحي!

يقول الإمام القرطبي في تفسيره أن القول اللين يوجه "المن
معه القوة وضمنت له العصمة" أو "إذا كان الكافر وجيهاً
ذا شرف وطمع بإسلامه وقد يجوز ذلك وإن لم يطمع
بإسلامه" وقيل "إن القول اللين قول موسى يا فرعون أنا
رسول ربك فأسماه بهذا الاسم (فرعون) لأنه أحب إليه مما

سواه) وفي ظني (أنا) أن القول اللين لفرعون مرده أن وراء فرعون شعبًا هم المصريون ينقادون إليه ويطيعون أمره ويعبدون اسمه فإن أسلم فرعون أسلموا جميعًا ومن ثم كسب موسى بقوله اللين شعبًا وأمة (وهو ما لم يحدث) ومع ذلك فإن موسى وهارون أجابا أمر الله تعالى بقولهما: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ معنى هذا الرد أنهما كانا يعلمان أن فرعون لا ينفذ معه قول لين ولا خشن بل ربما يفرط أن يعجل ويعتدي ويبادر بعقوبتهم وقد ثبت بآيات الله المعجزات أنه لا ينفذ مع فرعون إلا الغرق!!

هل نكره أمريكا وإسرائيل!

انتشر هذه الأيام بين المثقفين فن احتقار الجماهير وأغلب الظن أنها ظاهرة ممتدة في جذور السادة الكتاب (بمن فيهم وربما أولهم اليساريون الذين يحتكرون من زمن طويل التعبير عن الجماهير) فكلما فتحت جريدة تقرأ لواحد من عتاة إجرام الكتابة في الوطن كلامًا من نوع أن المظاهرات التي تخرج احتجاجًا على ضرب أفغانستان متخلفة أو تصدر عن جماهير مضحوك عليها؛ وفي كتابات أخرى ترى بعضهم يؤكدون على بيانات بن لادن تلعب على عواطف الجماهير أو أنها تستهوي البسطاء؛ ولا يتورع آخرون عن وصف مظاهرات التعاطف أو الاحتجاج أنها مظاهرات دهماء؛ وتأمل معي تلك المنظومة التي تخرج لتعلن أن الناس مضحوك عليها وأن الرأي العام أهبل والمتظاهرون والمحتجون تحركهم العواطف! إن السائد هو التعالي على مشاعر (لا أقول حتى أنها أفكار الناس) والبرود الخالص حين يصف كل من له وجهة نظر مغايرة لكلام سعادة البية أنه دهماء وكذلك ملاصقة تعبير عواطف لكلمة بسطاء؛ أي أن البسطاء لا يملكون أفكارًا لأن الأفكار عند البكوات المثقفين قوى الذين يجلسون على المكاتب: أما البسطاء

فيملكون عواطف فقط توديعهم وتجيبيهم؛ ثم أن الذي لا يمشي على هوى البكوات المعقدين (عكس بسطاء معقد أو مركب) فهو دهماء طبعًا وأنت تروح فين يا صلوك جنب الملوك (رغم أن كثيرًا من الكتاب الممتعضين من الجماهير هم أساسًا صعاليك ولاد بوابين ودهماء) وعندما تمعن في منطوق وكتابات هؤلاء تدرك تمامًا لماذا تراجع دور المثقف في بلادنا؛ لماذا لم يعد قادرًا على التأثير في الناس في السياسة أو الصحافة أو الجامعة أو الأحزاب أو المصانع وتهمش وانكمش وترك مساحة التأثير للوعاظ ودعاة التطرف؟ لماذا صارت قصيدة النثر هي السائدة فهي مفصولة ومنقطعة تمامًا عن القارئ حيث شعار كتاب قصيدة النثر طُظ في القارئ؛ لماذا انهار وتضاعل اليسار والليبراليون الذين يدافعون عن حرية إهانة مشاعر الناس في الروايات أو القصائد، وكيف انحدر توزيع الكتب وفرغت الندوات والأمسيات من جمهورها؛ وتوقعت المؤتمرات في عدد حضور محدود تافه؛ وهجر الناس المثقفين وكلامهم وأفكارهم؛ وانسحب أي تأثير على الشارع وانعدم أي تنوير واغتراب المثقف وزهد القارئ وألقت الجماهير نفسها

في حضن الحكومة أو التيار الديني أو حتى الجماعات المتطرفة.

لم يقل أحد أن الجماهير أو الأغلبية على حق دائماً ولا يتصور أحد أن الناس متساوون في الثقافة السياسية كأسنان المشط؛ لكن ذلك لا يعني أبداً الترفع والتعالي والانفصال عن الناس إذا اختلفت وجهة نظر المثقف ما مع الجماهير، ولا يمكن أن تكون مشاعر ورؤية المثقف تجاه شعبه ووطنه على هذا النحو الغارق نفي السفالة النفسية وإذا كان المثقف رأيته أن هؤلاء أغبياء أو معتوهون لمجرد اختلافهم مع هواه ورأيه ومصالحته فلمن يتوجه إذن هذا المثقف أغلب الظن أنه يتوجه لحكومته (قرأنا وسمعنا البعض يحرض الحكومة على الناس بمبدأ "وكمنا ساكنه ليهم" ثم هناك عشرات ممن يأخذون على الدولة سكوتها على بعض التيارات السياسية) أو أن ذلك المثقف يتوجه إلى خارج محيطه النفسي والجماهيري مثلاً في أزمة أفغانستان الأخيرة الكلام منصب على أن يسمعه أو يقرأه الملحق الثقافي أو الإعلامي للسفارة الأمريكية؛ وربما لا أجد بأساً من نفور البعض من الرأي العام أو الجماهير (وهو امتداد واضح

للفور من الدين والعروبة معاً) إلا أن أنفاس الاحتقار التي تفوح من كتاباتهم هي التي تؤرق المرء وتجعله حزيناً على طلاب كلية الطالب أو الهندسة والحقوق مثلاً حين يتظاهرون في الجماعات فيقولون عنهم غوغاء ودهماء ومضحوك عليهم؛ طبعاً إذا تظاهرا هؤلاء دفاعاً عن أمريكا أو رواية مسيئة للإسلام كانوا سيصبحون ضمير الوطن عند هؤلاء المتثاقفين (على وزن المتأسلمين)!

ولم تتوقف المهازل الفكرية عند احتقار الرأي العام فقط بل زاد الطين وحلاً أن فئة من المثقفين إياهم أعطت لنفسها الحق في الغضب من محطة تليفزيونية (الجزيرة) لأنها (شوف السبب!) تعرض وجهة نظر عدو أمريكا بن لادن! ويرون أن الجزيرة تسلم الشارع لأسامه بن لادن (شارع إيه ده اللي تسلمه قناة تليفزيونية لشخص أو فكرة) ويطالبون ببجاجة مذهلة منع الرأي الآخر المناقض لرأيهم وأفكارهم وحلفائهم من الظهور ومن إطلاع الناس عليه؛ ها هم يحددون للناس ما يجب أن يقرأوه ويعرفوه ويشاهدوه؛ هؤلاء الذين كذبوا علينا بكلامهم عن حرية الرأي والتعبير طلوعوا في الآخر يدافعون عن حرية رأيهم لا الرأي وعن تعبيرهم

لا التعبير، الديمقراطية مقبولة لو أتاحت لهم التعبير ومرفوضة لو أباحت لغيرهم نفس الحق لذلك هم لا يريدون لجريدة تعبر عن التيار الديني أن تظهر وتصدر (أو بالأحرى تعود) ولا يقبلون أن يظهر مفكر إخواني في تليفزيون ولا يتحملون أن يسمع الناس واعظاً في خيمة رمضانة ولا يريدون أن تفتح قناة الجزيرة بابا الإذاعة لآراء وبيان بن لادن! ولا يطيقون أن ينجح تيار سلفي في البرلمان: وهو نفس الأمر الذي جرى في الجزائر بمجرد ما اختار الناس التيار الديني في انتخابات حرة نزيهة دمروا الديمقراطية لأن الناس اختارت ما لا يريد هؤلاء وأصبح شرط الديمقراطية أن تأتي بتيار على هوانا؛ ويتكرر الفعل ذاته في تركيا إذا صعد للحكم عبر اقتراع حر نزيه التيار الإسلامي هناك يتم إلغاء الأحزاب المنتسحة بالإسلام لأن اللي أوله شرط آخر نور؛ ديمقراطية لنا إنما للأعادي لأ؛ ونفس الأحكام المقيتة تظهر عندما يختار أعضاء نقابة مهنية ممثلين لهم من تيار يخالف جموع المثقفين (على وزن المتأسلمين!) نتكلم فوراً عن الغوغاء الذين اختاروا هؤلاء ونشجع الحكومة على قفل النقابة من بابها أحسن من أن يستولي

عليها أناس ليسوا على هوانا الفكري والنفسي؛ ويرحب
المنتاقون للغاية بحرية إبداع ونشر رواية فيها ما فيها مما قد
يسيء ويهين مشاعر الناس لكنهم يرفضون بإباء وشمم نشر
الكتب التي تدعو لأفكار متطرفة من وجهة نظرهم ولقد
سمعنا كثيراً تعبير أين الأزهر من الفريقين البعض يطلب من
الأزهر التدخل لمنع تلك الأفكار والكتب المتطرفة من النزول
إلى الأسواق والبعض يصرخ الصرخة نفسها على الأزهر
كي يتصدى لكتب المجون والكارهة للإسلام!

بطبيعة الحال لا يجب أن يدعي أحدا أنه يمثل الجماهير
لكن أيضاً من المستحيل منع الجماهير من التعبير عن نفسها
أو الاستهانة والاستهتار بأفكار وآراء ومشاعر الناس كما لا
يمكن الوقوف أمام حق الناس في المعرفة والإطلاع على كل
الأفكار بعلانية كاملة:

لقد كنا نعلن دائماً تخوفنا من أن التيار الديني ينظر إلى
الديمقراطية بروح الشك والريبة وأن رأيه أن الشريعة هي
(لا الأمة) مصدر السلطات وأنه بمجرد ما يصلوا إلى الحكم
فإنهم سوف يحرمون الجميع من حق التعبير والرأي وأن
الديمقراطية عندهم دار ممر إلى دار مقر حيث لن يدعوا

الديمقراطية تستمر وإنما سيقطعون شجرة الديمقراطية بمجرد قطفهم ثمارها لكن ما يجري الآن من الإخوة مدعي يسار على ليبرالية (فخفينا!) من احتقارهم للأغلبية وللناس وللجماهير ورغبتهم في حرمانهم من حق المعرفة والتعددية والاختلاف يجعلني أتصور أنه أنيل وأمر سبيل من التيار الديني فعلى الأقل كنا نأخذ حذرنا من المتأسلمين فإذا بالمتأقفين غير مؤمنين حقاً بالديمقراطية بل هم غير مؤمنين بمجتمعهم وبجمهورهم.

المسألة أسهل من أن نعدها، إما أن يكون هؤلاء المثقفون على قدر من الاحترام للرأي العام وجماهير وطنهم برغبة عميقة في تنوير الناس أو تغيير أفكار المجتمع من خلال تقدير واحترام مشاعر الناس وآرائهم؛ الأنبياء أنفسهم وليس بضعة كُتاب نصفهم معقدون أو مخمورون خاطبوا شعوبهم دون اتهام بالتخلف أو القصور ودون تريقة عليهم أو استهزاء بعواطفهم؛ لا أفهم كيف لمثقف يحترم نفسه يكره أمته وشعبه وهويته بهذا الشكل المقيت وما هذا التعالي المريض (والإحساس الذي يستوجب جلسات علاج نفسي فوراً) بأنهم مرسلون من لدن خبير عليم كي يهدوا المتخلفين

والغوغاء من أبناء شعوبهم؛ ورغم أن هؤلاء من أساتذة كراهية التطرف الديني إلا أنهم يمارسون نفس المرض الذي يتلبس المتطرفين بالادعاء أن المجتمع كافر (وفي حالتهم جاهل ومتخلف ورضيع) ورغم أن بعضهم يكرهون الكاتب علي سالم داعية التطبيع مع العدو الإسرائيلي في مصر إلا أنهم يتشابهون تمامًا معه حين يعتقد أنه داعية ومرسل وأنه يلقي من المتخلفين ما لقيه السابقون الأولون من الحواريين والصحابة! من حق أي كاتب في الدنيا أن يختلف مع شعبه وجمهوره ويرفض ما يعتقد مجتمعه جملة وتفصيلاً (وربما يكون ذلك من واجبه أحياناً) لكن الجريمة الأكيدة التي يرتكبها الكاتب والمنقف هي كراهية مجتمعه وناسه والتعالي عليهم واتهامهم بالتخلف وإهانتهم بالقول تجريحهم بالفعل وهي تلك الجريمة التي أقرأها وأسمعها من كتاب الآن بعضهم يستحق الاحترام والمناقشة والبعض الآخر يستحق المستنقع الذي نراه منغمساً فيه تماماً!

حين خرج آلاف التلاميذ من مدارس في قرى ومدن مصر رفضاً لإسرائيل وتضامناً مع الشعب الفلسطيني العظيم؛ لم يكن هؤلاء الأطفال يقرأون مقالات ناس في

الجرائد ولا حتى يشاهدون نشرات القناة الأولى بتاعة السيد محمد الوكيل (وكيله ربنا يمشي ويريحنا!) وبطبيعة الحال لم يكن أحد من هؤلاء الأطفال يشاهد قناة الجزيرة (من المؤكد أن المذيع جميل عازر ديناصور من وجهة نظر الأطفال!) يعني ذلك بوضوح أن فطرة الناس وبراعتهم وصدقهم أكبر مما نقول ونكتب؛ الناس ضد الظلم والاستعمار والاستبداد؛ كراهية السياسة الأمريكية والتعاطف مع بن لادن في كهفه ليست في حاجة لقراءة صحف إسلامية أو مشاهدة قناة الجزيرة؛ مما يجعلني أتمنى كثيراً أن يحتفظ الناس بصدقهم وبفطرتهم ويتوقفون عن قراءة الصحف ومشاهدة نشررة
تسعة!

جواز عتريس من فؤادة باطل!

لو كان كل الطغاة في الحياة العربية مثل عتريس لكانت الحياة أجمل كثيرًا مما نعتقد؟ وعتريس هو أشهر طغاة السينما العربية إنه بطل فيلم "شيء من الخوف" الذي عاث في الأرض فسادًا ساعتين إلا ربعًا كرهه فيها الناس وفرحوا شتموا به قطعًا حين رأوا أبناء وطنه (قريته الدهاشنة) يثورون عليه ويحرقونه بالنار تحت شعار يرج الفيلم رجًا "جواز عتريس من فؤاده باطل" وقد غفر شعب الدهاشنة لعتريس القتل وسفك الدماء والفساد والسرقة ونهب الثروات ولم يغفروا له "جوازه"!! لكن الطاغية عتريس كان من وجهة نظري طول الأحداث ضعيفًا هشًا وعلى رغم كل ما بذله حسين كمال مخرج الفيلم وعبد الرحمن الأبنودي وبلإغ حمدي من مجازر موسيقية ومذابح غنائية فالرجل لا يمثل عشرة في المائة من الطغيان الحق الذين نراه في واقعنا العربي فبالله عليك هل هناك طاغية (إلا إذا كان طاغية عرة خائبًا يتصل منه زملاؤه الطغاة) لا يستطيع أن يلمس امرأة يحبها ويعشقها ويهيم بها حبًا لمجرد أنها قالت له أنا رفضت أن أتزوجك ولا أريد ولن تتألني بخاطري؟ يا سلام من هو ذلك الطاغية الرقيق القلب حتى الهشاشة الذي لا يريد امرأة

إلا برغبتها وحبها (هناك شك أن عتريس كان عنيفاً) فلا يوجد طاغية أبداً تهز شعرة من رأسه مشاعر حريمه (الرجال العرب الطبيعيون لا يهزم هذا أساساً فما بالك بالطغاة) بل عتريس الطاغية في فيلم "شيء من الخوف" تسبل عيونه وترتعش ساقاه حين تزغر له شادية إذا فكر أن يقبلها وهي رقة ورفعة نفس وشفافية روح من المستحيل أن تتوفر في قاتل وسفاح إلا إذا كان طاغية سينمائياً يتحرك بأمر المؤلف وليس بمقتضى الواقع الحقيقي! وإذا تأملنا تاريخ الطغيان العربي السياسي فمن المعجزة أن تحصل على طاغية عمولة كما نراه في "شيء من الخوف" فمن هو الطاغية الذي يعكر صفو حياته مجرد شيخ صمت زماً أمام طغيانه وجرائمه ثم أخذ يردد أن زواج عتريس من فؤاده باطل وإيه يعني! لو كان عتريس (محمود مرسى العملاق) طاغية حقيقياً لا طاغية سينمائية لقال ببساطة إيه يعني باطل.. باطل يا سلام وهل كل ما يفعله حلال وجاءت على الزيجة لتصبح يا حرام باطلاً! ثم هذا الشيخ المعارض البليغ الذي عاش عمره تحت حكم وطغيان عتريس لكنه لم يتمرد أو يرفض أو يلقي الخطب والمقالات ضد سياسة عتريس

التي تقتل وتتهب وتسفك وتذل وعاش رأسه في الطين مثل غيره ولم يفق يا أخواتي عليه إلا على حكاية الجوازة كأن كل الطغيان السابق شرعي وحلال، كأن ما يمس قوت وروح وكرامة المواطن ليس حراماً! لكن عتريس كان طاغية سينمائية تهزه مثل هذه الخطب التي يلقيها خطيب أو يرددها مواطنون على مصاطب!

فتوجس وتربص وابتز في قريته الدهاشنة؛ كما تراه طاغية بلا حبيب أو صاحب أو حليف واحد في البلد وهذا ينم تماماً عن أنه طاغية جاهل بالطغيان ويستحق أن يكون طاغية سينمائية فقط؛ فالطاغية كما نراه ونعرفه في أوطاننا يحرص على الأصدقاء والطفاء فمثلاً كان على عتريس أن يدفع أموالاً يشارك بها تجار القرية قروضاً على البحري حتى يكسب ودهم ومصالحتهم وكانوا ساعتها يعلقون صوره في المحال والدكاكين يدافعون عنه ضد الفقراء التافهين وكان يمكن أن يغرق عتريس شيخين أو ثلاثة من أساتذة القرية وشيوخها بالمال أو الهدايا أو الحماية أو المناصب حتى يهتقوا بحياته في المدارس ويلهجوا بالدعاء له في المساجد، ولو كان يفهم في الطغيان حقاً لمنح عمالاً زراعيين أجوراً

عالية في مقابل حرب حقوله حتى يشكروا نعمته ويسكتوا على طغيانه بل ويدعوا الله أن يزيدهم طغياناً من خيره قادر يا كريم؛ لو كان طاغية حقاً لاتفق مع زعماء البندر المجاور على معاهدة صداقة أو تحالف مشترك أوترك لهم كذا قاعدة في حدود البلد يضعون فيها جنود المركز وعساكره ووفر لهم من قوت الغلابة المال والطعام فيضمن لو ارتفعت ضده المشاعر أن يجري أصدقاؤه وحلفاؤه لحمايته والدفاع عن عرشه وحكمه!! لكن الطاغية السينمائي يتبرأ (ويستبرئ) منه الطغاة حقاً، وإذا كان المؤلفون (ثروت أباظة ومحفوظ عبد الرحمن وعبد الرحمن الأبنودي) حرصوا على تقديم قلب عتريس الرهيف من أول الأحداث حيث لا يستجيب لجده الطاغية الكبير حين يأمره بقتل حمامة ويبيكي ألماً وفراقاً على ذبحها لم يقولوا لنا ماذا يفعل قلب عتريس الرهيف حين كان يذبح أمامه عجل بالنبل والحجر صاروا طغاة وقتلة؟ إن هذا يشبه تماماً محاولة إظهار الطاغية شخصاً طيباً وظاهراً في داخله وطفولته وأن المشكلة فقط في المحيطين به والملتقين حوله! لا علاقة للحمام ولا للحمامة بالطغيان والاستعداد له، الطغيان ظروف موضوعية وذاتية، شخص

الحاكم زائد كوب شعب نائم مع معلقتين من المثقفين الجبناء
والتافهين تنتهي هذه المقادير بطاغية.

عتريس وشعبه التعيس! أما أنه كان يحب فؤاده. فمن
الصعب طبعًا ألا يحب أحد شادية إذا وجدها مصادفة فماذا
لو كانت بظلة أمامه لكن الحب لم يكن أبدًا دليلاً على طيبة
الولد أو رهافة الرجال بل إن طغاة العالم كلهم كانت لهم
معشوقات وعشيقات هاموا حبًا وغرامًا بهن ولم يهز هذا
حجرًا في طغيانهم؛ فمن هو المجنون الذي أوهم المشاهدين
في مشارق الأرض ومغاربها أن الحب نقيض الطغيان؛ إن
صور الطغاة يداعبون الأطفال أو مع أحفادهم أو تلاميذ
المدارس لا تتجح في إقناع أحد بحب الطاغية أو التعاطف
معه؛ وأغلب الظن أن عتريس لو كان أقنع فؤاده بأنها
ستكون جلالة الملكة أو سيدة القصر لكانت قد اقتنعت
أو وأراحت واستراحت! عمومًا يتمنى الجميع في كل قرية
أن تخرج فؤاده لتفتح الهاويس بينما نتفرج نحن الشعب عليها
دون أن نفكر أن فؤاده تظهر في الأفلام فقط وأن الواقع
اليومي الذي نعيشه في العالم العربي يؤكد أن فؤاده لو فكرت
وحدها في فتح الهاويس فلن تجد عتريس الذي يريد أن

يتزوجها بل سيتزوجها بعون الله عزرائيل بنفسه! لكن
الغريب أن يجلس شعب الدهاشنة في انتظار فؤاده ويجلس
الشيخ المثقف إبراهيم في انتظار زواج عتريس الباطل دون
أن يفعلوا شيئاً أو يحسوا على دمهم.. طيب افرض مثلاً يعني
أن فؤاده كان جاء لها دور برد ونزلة شعبية حادة أو أن
عتريس لم يفكر في الزواج من فؤاده وربنا أكرمه بناهد
شريف كان الفيلم استمر حتى الآن... يا بلد "الدهاشنة" تخاف
متختشيش!!

لو كنت مكان عتريس في فيلم شيء من الخوف لكنت
طاغية أقوى كثيراً وأخذ أياماً وأسعد حالاً خصوصاً أن الله
رزقني بقرية مدهوشة متفرجة ساكنة صامتة فهؤلاء وحدهم
الذين يصنعون الطغاة؛ ويا ليت عتريس كان يحكم الوطن
العربي فهو يوم المنى الذي يحكمنا فيه طاغية سينمائي لا
يهتم بخلوده على العرش بقدر ما هو مهموم بالتصعيد
الدرامي ونهاية الفيلم السعيدة.

وطن في قطار

لم يكن آلاف الصعايدة وحدهم هم الذين يركبون قطار النار رقم ٣٨٢ المتجه إلى الصعيد قبيل عيد الأضحى ولم يكن ٤٠٠ من الموتى حرقاً هم فقط موتى هذا القطار بل كنا جميعاً فيه مواطني الصعيد الصامت والبحري الساكت، مواطني الجنوب الخانع والشمال الخاضع، كنا نحن جميعاً نجلس في هذا القطار ومنتظر الحرق..

نجلس مزدحمين تماماً نلتصق ببعض مثل ققط مبلولة ومذعورة، نتكسد على المقاعد والبرد يأكلنا والفقر يحشرنا في بعض، نتصارع على جزء من الكرسي على مسافة من الهواء نقف فيها أو نتنفس منها، الأحذية تتدلى من الجالسين فوق رقابنا والنوافذ تحتشد بقضبان كأننا في سجن ولا مكان للدفع والكمساري يضربنا والبلطجية بيتزورنا والزحام يخنقنا والروائح الكريهة تمتص رئتنا والظلام حالك والأبواب مغلقة ومبرشمة وبلا مقابض فلا مكان للهرب أو الفرار أو النزول والطلوع، ونحن مستسلمون تماماً، أهانتنا الدولة وأذللتنا الحكمة وأخافتنا الشرطة وخرقت القطارات الفاخرة للأغنياء والسياح آذاننا تعبر قطارنا وتتجاهل وقوفنا وانتظارنا للأغنياء كي يعبروا قبلنا أو فوقنا.

نحن كلنا مواطنو الدرجة الثالثة، نحن الشعب المصري في قطار، نجلس ونقف وننام ونتكدر ونتزاحم في منتهى الإهانة والمهانة ويأكل الآخرون خيرنا، نجلس مستسلمين ومسالمين وكل من يعبر يضر بنا على قفانا ويغتصب ثروتنا وحقوقنا وحریتنا ويمضي حاکماً متحكماً وقائداً وقامعاً، ننام في غفوة أو غفلة والحكومة تتحول إلى أداة في يد الأغنياء يبنون لهم الشاليهات والفيلات في الساحل الشمالي بالمليارات ويشقون لهم الطرق المختصرة السريعة ويفتحون لهم البنية الأساسية من فيلات وقرى سياحية في شرم الشيخ والغردقة ويبنون لهم المحاور والجسور والمطارات وعربات النوم في القطارات ويخلون علينا بقطارات لها نوافذ وأبواب ومقاعد، يقترضون لنسدد نحن الديون، يسرقون لنُدفع نحن ثمن نهبهم لمصر، يفسدون الاقتصاد لنسمع نحن دروسهم في الإصلاح الاقتصادي، يشهرون في وجوهنا أسلحة الأمن المركزي وقانون الطوارئ والأحكام العسكرية ومنع الأحزاب والمظاهرات والصحف ويقولون لنا إنه لم تغلق جريدة ولم يقصف قلم ولم يتعطل قطار! ونحن نجلس على مقاعد القطار نتخاق على خازوق لنجلس عليه ننتظر خرقة بطانية

لنستدقئ بها نرتجف من قسوة المخبرين ومن ترويع البلطجية
ونحتضن أولادنا حتى تمر الساعات والأيام ونروح ونعود
إلى قرانا وبيوتنا في أمان لا لنا ولا علينا نتسلم المرتب أو
الرشوة الصغيرة ونتخاطف الرزق أو نتصارع عليه وننظر
في استسلام وانكسار لقطارات الأغنياء وقوانين الأغنياء
وبرلمان الأغنياء وسطوة الحكومة ويطش الشرطة ونهب
اللصوص وأخذية الساسة التي تدوس على رؤوسنا وتحني
ظهرنا ونقول لأنفسنا يا سيدي أيام وتعددي وهو أحنا قد هم
ولا دي بلدنا أساسًا، خلينا كافيين خيرنا شرنا ماشيين جنب
الحيط واللي يركب البلد يركبنا زي ما هو عايز، بس نلاقي
نصف متر نجلس أو نقف عليه في هذه الحياة ونعرف
نخطف لقمة ولا نرص كرسي دخان ولا نشرب كوبانية شاي
أو نلحق نربي العيال ونرجع بلدنا وننام في بيتنا نحمد ربنا
على السلامة، كله قطر وإحنا ح نعمل إيه قاعدين أو واقفين
لغاية ما القطر يصل المحطة بس نوصل.. نحن لا نقدر نغير
القطار ولا نستطيع طرد سائق القطار ولا رفض وتغيير
الكمسارية ولا نقوى على تجديد القطار ولا نملك المطالبة
بتغيير النواقد ولم نتعلم أن نحتج أو أن نصرخ من الاختناق

ومن الزحمة ولا نقدر على فتح الأبواب المغلقة أو الإصرار على حقنا في فتح ما هو مغلق في وجوهنا سواء نوافذ مكاتب السادة المسؤولين أو نوافذ سيارات السادة الكبراء ذات الزجاج البني ولا نوافذ عربات السجن التي تحمل شباب المظاهرات والسياسة، ولا نعرف ولا نفهم أننا مواطنون لنا أصلاً حقوق ولنا أن نطالب بها ولنا أن نلعن ونزيع ونركل ونضرب بالشلوت الذي يمنعنا أن نفتح النوافذ أو من يغلقها أمام عيوننا أو وجوهنا ووجوه أولادنا ولا نقوى على ضرب من يصنع حذاه على رؤوسنا ولم نتمكن في يوم من الأيام أبداً من تعديل مسار القطار ولا تحديد محطاته، ولا ندرك أن من حقنا أن تكون عربات القطار مضاعة، نحن نجلس مطرح ما قالوا لنا ومنتظر في صبر وطيبة واستسلام ورضا وخنوع وخضوع أن نذهب إلى بيتنا وأن يصل القطار إلى محطته.. ولكن القطار لن يصل إلى محطته أبداً.. ونحن في جلستنا مشلولين ومهزومين لن يصل لنا إلا الحريق.. ننتظر أو نستحق الحرق.. النار سوف تشتعل في القطار وستحترق أجسادنا ونتفحم ونذوي ونتبخر ولن يعرف أحد معالم جثثنا ولا يوجد ما يدل على أسمائنا وهويتنا وسنموت أسوأ وأشنع

موته وسنرى نار جهنم أحياء وسنتلظى بشواء من نار الحريق لأننا لم نفعل شيئاً أبداً إلا الاستسلام والخضوع الخضوع للسارقين لنا والنهايين لثروة وطننا والخاطفين الرزق من أفواهنا.

ولم نفعل سوى الانغماس في الضعة والمهانة والفرجة على المستغلين لشعبنا والفاستدين المفسدين في أرضنا والعملاء الذين يبيعون مقدرات شعوبهم ومقادير أمتهم بالبخس الرخيص، لم نفعل سوى الإمعان في الذل أمام المستبدين والطغاة وممالك كل زمن، نبول على أنفسنا أمام سلطة مخبر ونموت في جلدنا فزعاً أمام سلطة حاكم أو ضابط وندفق جلادينا ونركع لهم ونبوس أحذية لصوص قوتنا. وكل هؤلاء يركبون قطارات الثروة والسلطة والنفوذ والحكم والملك ويعبرون أمامنا وفوقنا بأحذية الرفاهية والترف وحقائب المال وزكائب الدراهم وسبائك الذهب ونحن نتفرج ونستسلم ونسكت ونجلس في قطار الفقر والمهانة والذل ننتظر فقط حلم النزول من القطار.. لكننا ولهذا كله لا ننزل أبداً بل نجلس دوماً. ولفرط تجاهل واحتقار رجالات السلطة والساسة والمال والحكم لنا ينسون أننا نركب معهم

في هذا الطريق.. ينسون أننا نمشي وراء قطارهم الغني
الفاخر الحاكم السريع بقطار آخر صحيح أنه فقير مدقع في
الفقر، صحيح أنه بطيء ومعذب، صحيح أنه مهين ومذل،
صحيح أنه بارد ومعتم، صحيح جدًا أنه مجرد قفص
حيوانات، صحيح للغاية أنه سجن، صحيح ومؤكد أنه قبر
ومقبرة.. لكننا فيه وراءهم على نفس القضبان ومع ذلك
نسونا تمامًا لدرجة أن القطار ولع وإلى حد أننا احترقنا
ولدرجة أننا تقمنا ثم لا أحد تعرّف على جثة هذا الوطن في
القطار!

قطاع الأعمال... بالنيات!

سين سؤال: ليه وزير التعليم أصله طبيب أطفال؟

جيم جواب: علشان بيستعملوا الشعب.

وخذ عندك:

ليه وزير البحث العلمي أستاذ قانون؟

علشان رده بحث جنائي مش بحث علمي.

- ليه اختاروا رئيس الوزراء لما كان وزير قطاع

الأعمال؟

علشان كان وزير قطاع الأعمال.. بالنيات.

- ليه دكتور سرور رئيس مجلس الشعب مصمم على أن

المجلس سيد قراره؟

غريبة مع أنه نائب السيدة.

- ليه اختاروا مدير البنك المركزي اسمه محمود أبو

العيون؟

علشان يبقى عنده نظر.

- ليه بندور على إمام عادل.

علشان منعندناش غير عادل إمام.

- ليه عملوا في الحكومة وزارة للبيئة؟

علشان ريحة الحكومة وحشة.

- إيه الفرق بين المجلس الأعلى للشرطة والمجلس الأعلى للثقافة؟

إنه مجلس الشرطة فيه لواءات منهم كثير مش مثقفين، ومجلس الثقافة فيه مثقفين منهم كثير لواءات.

- إيه أحسن حكومة حكمتنا حكومة عاطف صدقي وللا كمال الجنزوري وللا عاطف عبيد؟
حكومة عاطف الجنزوري.

- طيب إيه الفرق بين لعب الطاولة ولعب الشطرنج في عالم السياسة؟

لا.. هذا سؤال كبير أحب أجيب عنه براحتي، فخذ عندك يا سيدي..

الشطرنج يعني دقة وخطة وهدوء وتفكير وتروي وعمق ووعي وإدراك ودراسة وخطوات مدروسة ومحسوبة، الطاولة فهلوة وشطارة وقرص زهر وتصييح وزعيق وخدوهم بالصوت واللعب على المشاريب واللي بيعلي صوته يكسب وأي حد معدي يفتي ويلعب، تفتكروا نحن الساسة في السياسة المصرية والعربية بنلعب طاولة وللا شطرنج، الإجابة ليست في حاجة إلى نبيه مثلك فاتركها لغيرك وتعال

نفتح شباكًا على رؤساء وزراء مصر المحروسة (أمال لو لم تكن محروسة كان حصل فيها إيه؟)!

عمومًا كان رئيس الوزراء الأسبق دكتور عاطف صدقي لعيب طاولة جامد جدًا وكان نقاده ومعارضوه دائمًا يقولون أنه اختار وزراءه من زملائه في لعب الطاولة، ومن ثم بعضهم كان شيش بيش..

أنا عن نفسي لا أعرف دكتور عاطف عبيد بيحب يلعب إيه لكن احتمال حكومته كلها بتلعب كوتشينة لأنهم قاعدين يقشوا، لكن من المؤكد أنه بيلعب دومينو علشان بيقلها أهوه!! (أظنك شايف بنفسك)!

عمومًا هذا يفكرني بوزير أمريكي قابل وزيرًا عربيًا فقال له الوزير الأمريكي: إن ابنتي الكبيرة تلعب تنس أما ابني الصغير فيلعب جولف.. غار منه المسئول العربي فرد عليه بفخر واعتزاز وكبرياء العربي (بالموسكي):

وأنا أيضًا ابنتي الكبيرة بتلعب في كذا مليار وابني الصغير بيلعب في السياسة..

أخيرًا أنا متصور أن رئيس الوزراء المصري القادم (هذا لو فيه رئيس وزراء قادم أو كنا لا زلنا نحيا في هذا الموات

السياسي الرابض النابض!) لازم يكون رئيس الوزراء للاعب
تجديف، عارفين طبعا رياضة التجديف، وعارفين ليه رئيس
الوزراء لازم يلعب تجديف.. طبعا عشان البلد بيغرق!

البلد يغرق لأنه كلما زاد الفساد كما نرى زاد النفاق تماما
كما نشهد، عندما تقرأ لكاتب حكومي وهو يرفع بعض
القائمين على الأمر في البلد لدرجة الأنبياء والملائكة يكتب
فيه كلاما لم يكتبه حسان بن ثابت شاعر الرسول في النبي
نفسه صلوات الله عليه وسلامه تعرف فوراً أن هذا الكائن
الكاتب يداري فساده ويحمي سرقة وبلاويه، لعلك تتذكر
المحافظ الذي يمضي الآن سنوات سجنه وكيف كان يتكلم
ويتنفس بكمية النفاق المريع اللي كان بيددقه قصاد كبار
القوم، كان فسادا وفسادا يداري الفساد بالنفاق وأول ما
الوزير يهرينا طبقا لتوجيهات وتعليمات تعرف أنه عامل
سبوبة وصفقة بداري عليها بالنفاق والمداهنة والتذلل.

والآن تلاقي الهجوم كثيفا على مديري البنوك الذين قدموا
قروضا من غير ضمانات... طيب وأين كنتم لما المديرون
كانوا يتلقون تليفونات عشان فلان وعلان وكنتموا فين في
المائة مليون الأولى والثانية والثالثة سكتوا ليه للعاشرة

والخمستاشر أم أنه من حضر القسمة فليقتسم، البعض يدعي
الآن أنه يحارب الفساد وهم أول من عملوه ودعموه وأنه نما
وترعرع وزعزع وبعبع في خيرهم وعزهم.
إنها نكتة تشبه النكتة بتاعة ثلاثة مجانيين سرقوا وقعدوا
يعدوا الفلوس اللي سرقوها وكل شوية يتلخبطوا فقال أعقلهم
طيب يا جماعة إحنا نستنى للصبح ونقرا الجرايد عشان
نعرف سرقنا كام!
حتى اللي سرقوا مش عارفين سرقوا كام!

قداسة الأميرة

هذه عادتنا ولنعرف أننا لم نشترئها من أحد بل ورثنا
عن جدودنا آبائنا، أن نلعن الحجاج وننسى عبد الملك بن
مروان، أن نكره الحجاج ونهاجمه وندعو عليه، ونغفل
ونتجاهل ونصهين على عبد الملك بن مروان، ولم لا فهي
عادتنا ولا نشترئها من أحد أن نترك الحمار ونمسك في
البردعة!!

لا أظن أن أحداً نال تشهيراً وتعريضاً وسباً ولعناً أكثر
منه في التاريخ العربي والإسلامي، كلنا نعرفه ونتعارف
على ضرره وشره وشره في الظلم وشرهته للعدوان
وشهوته في الطغيان وشهرته في القتل والتكيل.

ومن هو ومن يكون إلا الحجاج بن يوسف الثقفي الذي
نحتفظ بصورته فظة وغليلة في صفحات التاريخ ولم لا،
أليس هو الذي جرؤ (عفواً تجراً) وقذف الكعبة المشرفة
بالمجنيق وهدم بعضاً من أحجارها وشيئاً من أسوارها
(ما لم يقدر أبرهة ذو الجبروت والملكوت والطاغوت على
فعله).. وهو ما يدفعنا على الماشي للتساؤل: لماذا أنقذ الله
تعالى الكعبة من غزو أبرهة وفيله وأنعم الله على مكة بطير
من أبيبيل ترميهم بحجارة من سجيل فحمى الكعبة وخذل

العدوان والأعداء، بينما ترك الحجاج الثقفي لإنقاذ الكعبة بالمعجزات؟. ربما تكون الإجابة كامنة في أن عصر المعجزات انتهى ببعثة النبي العظيم محمد ﷺ فضلاً عن أبرهة الذي كان ينوي هدم الكعبة ونسفها كرهاً وكفراً وبناء كعبة ومعبداً آخر للناس، لكن الحجاج سرعان ما انتصر على الزبير بن العوام بقتله بعد هدم أسوار الكعبة ثم عاد هو نفسه ليصلح ما أفسده ويعيد بناءها فهو صراع بين مؤمنين.. لكن تظل جرأته في ضرب الكعبة المقدسة دون حرمة ولا خجل مضرب الأمثال في الطغيان.

ثم أليس الحجاج هو الذي عصف برؤوس معارضي الدولة الأموية ورمى بالكثيرين في غياهب الغيب وسرايب الموت والقهر. ومن ثم تركزت كل حمم الكراهية على الرجل..

رغم أن الحجاج لم يكن يفعل سوى تنفيذ التعليمات إلا أن أحدًا لم يرحمه من نيل حجم العقوبة وجرم الأمر كله، رغم أنه كان مجرد وزير أو محافظ أو قائد تحت إمارة أو قيادة أمير مؤمنين هو الذي يأمر وهو أيضاً الذي يعرف ما فعله - ويفعله - الحجاج.

ولكنها الرغبة الحارقة لدينا في عدم الوصول في كراهيتنا ونقدنا ورفضنا ومعارضتنا حتى الباب العالي أو الأعتاب السنية أو الرغبة العربية القديمة الذميمة في إضفاء القداسة على الأمير والوالي والسلطان والحاكم والتحجج الساذج بأنه لا يعرف سوءات ومظالم وزرائه وأنه لا يدري بمدى جرمهم في حق الرعية والجنان الأزلي باللجوء إلى السلطان كي يخلصنا من وزرائه كأنه لا يعرف أو كأنه لم يعينهم بنفسه وبمعرفة أو كأنه (وهو الأمر الأغلب) من يأمرهم بذلك، هذه الرغبة وتلك الطباع الرعديدة هي المسؤولة جملة وتفصيلاً عن لعن الحجاج يوسف الثقفي وعدم ذكر سيده وسلطانه عبد الملك بن مروان بسوء أو بكراهة أو بغضب!!

لكن الحجاج بكل ما يحملة من ظلم وعتو وافتراء كأسوأ وزير عربي في الطغيان في خدمة سلاطين القمع والقهر يكشف عن جانب آخر من شخصيته عن مأساة المثقف حين يضع نفسه بعلمه وذكائه وثقافته في خدمة الحاكم والأمير، فيكون أسوأ وألعن كرباج وأحد سيف في يد هذا الحاكم، فالمؤكد أن الجانب الآخر من حياة الحجاج وهو جانب - يا للغرابة - مشرق ومنير، يلقي في الوقت ذاته غمام الشك

(أو التشكيك) على أبعاد تصرفات الحجاج ولعله يجعلنا نعيد النظر إلى هذا الشخص المثقف العالم وتصرفاته الكريهة والكريمة باعتبارها انعكاساً لفصام شخصية أو صراع فكري أو جنون ذاتي لعله موجود في كل مثقف يصل أو وصل إلى السلطة!

لكن ما الجانب المشرق في حياة الحجاج بن يوسف النخعي؟

لقد كان الحجاج ابناً لعالم لغة ومن معلمي القرآن الكريم ومحفظيه وصار الحجاج طالب علم يتردد على حلقات الصحابة والتابعين وكان تلميذاً مبهرًا ثم مدرساً للغة العربية، أو بالدقة الواجبة عالماً لغويًا وأستاذًا وخبيرًا باللغة العربية ودروبها وضروبها كذلك، بل وحمل لقب أفصح العرب بل والثابت أن الحجاج بعلمه ورغبته الحارقة في خدمة دين الإسلام ساهم بدور فاعل وفعال في كتابة وتدوين وخط وتنقيط (وضع نقط) المصحف الشريف وهو عمل جليل وجليل، بل هو العمل الذي يتسع فضله حتى يوم الدين يوم نلقى الله جميعاً - ومعنا وفينا الحجاج - وأي قارئ لكتب التفسير للقرآن الكريم له أن يمعن قراءة المقدمات التمهيدية

لهذه الكتب التي عادة ما تقدم تعريفًا ملخصًا وخالصًا لتفسير القرآن الكريم من حيث نزوله على النبي المصطفى ﷺ وجمعه وحفظه وقراءاته وغير ذلك من علوم المصحف الشريف، وسوف نجد اسم الحجاج بن يوسف الثقفي لامعًا وحاضرًا بقوة في هذا الجهد الديني والعلمي الرائع، اقرأ معي في مقدمة تفسير القرآن "الجامع لأحكام القرآن" للإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي لتجد مثلاً: وأما شكل المصحف ونقطه فروي أن عبد الملك بن مروان أمر به وعمله فتجرد لذلك الحجاج (تصدى له واشتغل به) وجد فيه (اجتهد فيه) وزاد تحزيبه (اهتمامه وانشغاله وولائه لهذا الموضوع) وأمر وهو والي العراق الحسن ويحيى بن يعمر بذلك، وألف (نشر) أثر ذلك بواسطة (مدينة عراقية) كتابًا في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس على ذلك زمانًا طويلًا.

ثم في كتاب "المصاحف" لابن الأشعث السجستاني تجد اهتمام الحجاج الواسع بعلوم المصحف وتفصيلها في الكتابة والقراءة والتلاوة والإعراب والحروف، بل وتجد اسم

الحجاج أكثر من مرة في فهرس الكتاب نفسه عنواناً لباب أو لفصل.

بل إن الحجاج جمع - حيناً - القراء والحفاظ والكتاب للوقوف على عدد حروف القرآن (٣٤٠٧٤٠ حرفاً) وتحديد عدد أجزاء القرآن وأرباعها وأنصافها واستغرق العمل أربعة شهور تحت مشاركة واهتمام ورعاية ودعم وطبقاً لتوجيهات الحجاج بن يوسف الثقفي وسبحان الله.. هذا نفس الرجل الذي سفك الدماء وهدم الكعبة وقمع باسم سلطانه الرعية والمواطنين هو نفسه المثقف العالم بالقرآن والذي باع علمه وذكاءه للسلطة وللغنى والنفوذ ليصبح أشرف صور المثقف وعالم الدين حين يستبدل الذي هو أدنى (النفوذ والفلوس) بالذي هو خير (العلم والضمير)، ويشترى الضلالة بالهدى والدنيا بالآخرة وهو الطاغية الذي يرفع شعاره "إني أنذر ثم لا أنظر - ما باشفش قدامي ساعتها -، وأحذر ثم لا أعذر، - ما برحمش بعدها يا حلو - وأتوعد ثم لا أعفو - أفرم وأدوس بالجزمة" .. فهل تخيل (ويتخيل) الناس - الرعية - أنه يهدد ويتوعد ويعذب وينكل والسلطان لا يعرف أو لم يصل إليه خبر، ليه سلطان أعمى أو أطرش أو البعيد بيعملها

على روجه، قطعاً هو يعرف وهو راض وهو يوافق وهو
يأمر وهو يطاع.. والوزير الحجاج أو غيره هو الذي ينفذ
أوامر السلطان بكل إخلاص في القمع وبكل ولاء في القهر
وبكل حقد على المواطنين الذين يبلغ بهم الجبن أنهم يعلنون
الحجاج ويبلغ بهم الغباء أنهم يشكونه للسلطان.. يا دي
الخيبة!!

الله أكبر خربت خيبر

طلع النهار، نورت المدينة بهذا الضوء الصباحي البازغ،
لم تظهر الشمس بحرارتها وفحيح قيظها، لكن النهار جاء
مصحوبًا بأنفاس الريح تحرك فروع الشجر وجريد النخل
وثمرات البلح والتمرد وأعواد القمح النابتة في أرض وحقول
خيبر المحيطة بقلاعها وحصونها، خرج عدد مبكر من
اليهود جمع من أسرة حزقييل، كان الابن الصغير متذمرًا
وهو يجر بقرة وراءه، لمح أخوه ظلال التمرد.

فقال له: بدأنا قصة كل يوم من الغضب والعتب.. كف
عن هذا فالיום أبوك وسائر أهلنا في حيرة وتوتر.

رد عليه الصغير: أنا لا أفهم ما الذي جعلنا وحدنا في
خيبر نعمل في الزراعة وجر البهائم في فجر النهار لماذا
لم نكن مثل قريظة وقينقاع وفدك وغيرهم من أهلنا اليهود
في المدينة نتاجر في الخمور والذهب والصاغة والمعدن
والسيوف والدروع أو حتى نسج الأقمشة لنكن سادة المدينة
والجزيرة؟

كان الأخ الكبير قد أشار إلى أوسطهم أن يمسك معه
المحراث الخشبي بينما كان والدهم يجر المجرفة الحديدية

معه، التفت إلى أخوته وهو يسابق عددًا من أسر اليهود مرت بجوارهم مسرعة للوصول إلى البوابة الحديدية الهائلة، قال:
- اسمعوا من لا يريد العمل منكم ليبتعد عنا ويذهب إلى أحد الأحيار في المدرسة فإذا كنت تريد التجارة فالأحبار تجار دين وباعة جنة!
- كأنك تقول ما يقوله محمد يا أخي لقد كنت في بيت المدارس حين سمعنا صوته.

- صوت من؟

- محمد.. نظرنا من النوافذ.. فإذا به واقفاً على فرس وسط أصحابه وأنصاره ينادي: يا معشر يهود أسلموا تسلموا.. فانتفض أحبار المدرسة وقد تيقظوا فتملظوا وقال: قد بلغت يا أبا القاسم. كأنهم يدعونه للرحيل لكنه كررها وأكدها وأخذوا يردون عليه القول نفسه قد بلغت يا أبا القاسم، فرد صائحًا طليق الصوت حزمًا وحسمًا: اعلموا أن الأرض لله ورسوله؛ فصمت الطلاب وبهت الأحبار.

شعر الأخ الكبير وجعًا وقال هامسًا: لا أعرف كيف يفلت محمد من سم اليهود أو سيف رجال التوراة البتار، إن كل يهودي كأنه يصنع في كل سيف يصنعه سيفاً لقتل محمد.

- لكنه نجا.

- نحن الذين خبنا.

تجمعوا عند البوابة، لوحوا للحراس في أبراج المراقبة وقد أيقظهم صخب الزحام، فتحوا الأقفال ورفعوا الألواح الخشبية وفكوا جنازير الحديد وخرج العشرات من اليهود في هذا الصباح بأدواتهم وبهائمهم وأولادهم مبكرين للزراعة تستقبلهم الأرض الواسعة والربوات العالية وغابات النخيل ولون القمح الأصفر الزاهي وحين توغلوا في مزارعهم سمع الولد الصغير حوافر أحصنة كأنها قادمة من رجع بعيد التفت إلى أخيه فرعًا جزعًا همس له: أسمع كأنها الخيل، أمعن أخوه النظر واسترق السمع وأجاب مهزوزًا ومرتكبًا: كأن سهيل خيول العالم كله وحوافر الدنيا بأسرها تمرق نحو أرض خيبر.

بأن الغبار والتراب منثورًا وصدعت الأرض بحوافر الخيل زلزالًا يرج جذوع النخيل وانطلق سهيل عات آت من ثقب الأرض وأركان السماء، انزاح الغبار والضباب عن راية ترفرف، لوهلة لم يستين أحد من الذعر والرعب لونها ولا رسمها لكن صيحة كأنها علامة القيامة أفصحت عن

الهدير القادم كانت كأنها تخرج من قماش الراية نفسها، كأن
نقش الحروف المخيف ينطق ويصرخ: لا إله إلا الله.

صاح أحدهم رعبًا: جيش محمد، جيش محمد.

انطلقت الأقدام والسيقان تجاه بوابة القلعة، تتعثر الأقدام
وتتهاوى الأجساد وتتساقط خلف وفوق ووراء بعضهم بعضًا
يتركون الأرض ويتخلون عن الأدوات والحيوانات.

- افتحوا البوابة، احمونا أنقذونا لقد جاء محمد.

في وهلة أو لحظة من الرعب والخوف والضعف دخلوا
إلى الحصون ومرقوا من بوابات القلاع وانتصب حملة
الأسهم وظهرت السيف والرماح والدروع.

واندفع أحدهم ممسكًا بقوس سهامه يصرخ من برج عال.

- لن تنال منا يا محمد، لسنا مثل قومك، لو كنت نبيًا حقًا
اصعد أبراجنا لو استطعت، حطم بواباتنا لو تمكنت، اهدم
حصوننا لو قدرت.

وقف النبي محمد ﷺ على فرسه، تبسم ودار بفرسه ورفع
رأسه ورمى نظره على القلاع والحصون والأسوار
والبوابات والأبراج والسيوف والرماح ثم قال: اللهم رب
السموات وما أظللن، ورب الأراضين وما أقللن، ورب

الشياطين وما أضلن، ورب الرياح وما أذرين، نسألك خير
هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها
وشر أهلها وشر ما فيها.. ثم نظر إلى أصحابه وأنصاره
وجنوده وأمرهم: أقدموا باسم الله وردت السماوات
والأراضين جلال صوت النبي ﷺ وجلاله وهو يعلن:
- الله أكبر خربت خيبر..

السؤال الجوهرى هنا هل يهود خيبر يهود قريظة يهود
المدينة والجزيرة العربية الذي حاربهم النبي وواجهتهم
جيوشه وأنصاره وأصحابه هم أنفسهم يهود الكيان الصهيونى
الاستعماري يهود إسرائيل؟

الإجابة تستدعي الآن التوقف والتبين لنذكر ما يمكن أن
نتداركه!

نحن نعرف جميعاً أن اليهود تحاول طول الزمان
أن تصبح هوية وجنسية وليست ديانة ومن ثم فهم يبذلون
مجهوداً حقيقياً لحفظ النقاء والبقاء العرقى لليهود وأن التنازل
والتكاثر اليهودي محصور في أغلب الأمر داخل دائرة وحلقة
خائفة من العنصرية والتعالى ورغم أن اليهود يتهمون
الآخرين باضطهادهم فإن اليهود هم الذين يختارون من

اللحظة الأولى لوجودهم في أي مكان طابع الاعتزال والانفراد وهو ما يجعل وجودهم في المدينة المنورة داخل قرى وحصون وقلاع هي بمثابة البعد والابتعاد وقرار الاعتزال والعزلة الكاملة عن حولهم ورفض الاندماج والانصهار داخل المجتمع الذي ينظر له اليهود على أنه مكون من الأغيار، الآخرين، الأقل والأدنى، الأدنى بجهلهم أو فقرهم أو حقدهم.. إذن من الواضح أن يهود المدينة الذين رحلوا مطرودين إلى الشام وحواف العراق وغيرهما ربما بالضرورة أجداد وجنود اليهود العرب الذين هاجروا إلى إسرائيل في أكبر عملية خيانة منظمة للدول والأوطان التي عاشوا فيها وحملوا جنسيتها حيث نكتشف أن رحيلهم إلى الدولة الإسرائيلية لم يكن سوى حالة خيانة واضحة فاضحة للمجتمعات التي غشوها سنين وأيامًا وادعوا انتماءهم لها والثابت أنهم بلا وطنية (وليسوا كما ادعوا بلا وطن) هم الخونة الذين تركوا أوطانهم (حيث كانت أيضًا حالة الاعتزال والفصل النفسي والنسلي موجودة لديهم في كل مكان) ليحاربوا شراكة المواطنة وأبناء الشوارع والأحياء الذين تربوا فيها.

إذا كانت فلسطين أرض اليهود الموعودة فهي أيضاً أرض خيانة اليهود من بولندا ووارسو وباريس وحتى البصرة وطنجة للانتماء الوطني وهو علامة تشكيك منطقية وجائزة (مع حسابات الاستثناء بطبيعة الحال) في أن أي يهودي في أرجاء الأرض والكون الآن مهما بالغ في الادعاء فإن دينه وهويته ومهما قال لنا جواز سفره فإن انتماءه إلى إسرائيل وهويته هناك؛ حيث يلتصق الدين بالهوية ويصير الدين جواز سفر وبطاقة ووطناً وليس فقط إيماناً وشعائر وعلاقة تعاطف وتماسك وتعاون بر وتقوى كما بين أبناء الأديان الأخرى الإسلام والمسيحية، التاريخ الإنساني يحفل بالمعارك والحروب بين المسيحيين دولاً وأممًا فيما بينهم وكذلك بين المسلمين بين بعضهم البعض حيث تتقاطع الأجناس والهويات والأوطان مع الدين.. أما اليهود فالدين جنس وجنسية واليهودي مختار من ربه ومرفوع وموضوع فوق الآخرين، وبينما ترحب الدول والأوطان بانتماء اليهودي إليها يرفض اليهودي و يظل دينه هواه وهويته وإذا أمعنت النظر وقرأت الخبر تدرك دونما تعب أن الدين هو في ذاته يحمل عناصر عنصريته التي هي حق مكفول لليهودي لا

دخل لنا به (ولا يجب أن يكون لنا دخل فهو حر حرية كاملة ومطلقة وأمنة في عقيدته) لكن المشكلة عندما يدفعه دينه إلى احتلال الأرض وإلى الظلم وإلى طرد وقتل وتشريد واضطهاد وتصفية الآخرين الذين هم للمصادفة نحن العرب مسلمين ونصارى.

فماذا نعمل ساعتها إلا أن نحارب خبير!

يهود إسرائيل الآن من حيث النسل والدم فيهم من خبير..
من حيث الرضاعة الشبهه والشبه قائم..

ومن حيث القناعة والعقائد العرقية والعنصرية والعدوان واستحمار (ليس في الأمر خطأ مطبعي) واستعمار البشر لصالحهم ولعنصرهم اليهودي المنقى والمصفى فيهم الكثير والكثير بل هم هم أنفسهم!!

من مئات السنين يسعى يهود في العالم لدى الفاتيكان (الكنيسة الكاثوليكية الأكبر والأهم والأم) لإصدار وثيقة دينية وشهادة مسيحية من الفاتيكان تبرئ اليهود من دم المسيح، إنهم لم يخونوا النبي عيسى عليه السلام وقدموه في خيانة هي الأشهر والأفدح في تاريخ الإنسانية إلى أعداء المسيح كي يصلبوه ويقتلوه (الإسلام والمسيحية يتفقان على أن السيد

المسيح صعد إلى السماء ورفعت روحه إليها لكن الفارق أن الإسلام يرى أن الرفع تم قبل الصلب وأنه ما صلبوه ولكن شبه لهم أما المسيحية فتري الرفع قد جرى بعد الصلب) على مدى التاريخ يلاحق اليهود هذا الاتهام المهم، أن اليهود (يهودا) خان المسيح وسلمه للصلب ومعنى تلكم السعي اليهودي اللاهث للبراءة اعتراف لا لبس فيه أن المسؤولية التاريخية والدينية تلاحق اليهود أجيالاً وراء أجيال عبر آلاف السنين وأن كل يهودي يحمل خلف ظهره عبء وعناء تلك الجريمة هل من الممكن أن يتحمل يهودي مولود سنة ١٩٤٢ مسؤولية ما فعله جده من ١٩٤٢ سنة؟

السؤال يتكفل به اليهود أنفسهم حين يطلبون ويحصلون على تعويضات مالية بمليارات الدولارات من ألمانيا مثلاً وحتى الآن ثمناً للمحرقة التي قام بها هتلر ونازيو ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، المعنى مفهوم تماماً اليهود يحملون مسيحيي ألمانيا المولودين بعد وفاة ونهاية هتلر ثمن ما فعله جدهم الألمانى!!

حتى على صعيد آخر فإن ضحايا الرق والعبودية من مئات السنين تيقظوا وتيقنوا من حقيقة واضحة وهي

مسئولية حالية لأحفاد تجار ومستثمري وملاك العبيد عن استعباد واستغلال هؤلاء البشر (ما جرى في مؤتمر مكافحة العنصرية - دربن - جنوب أفريقيا سبتمبر ٢٠٠١ دليل على اطمئنان الإنسانية لمسئولية الأحفاد عما فعله الأجداد).

من وحي ذلك كله بان واستبان لدينا أن اليهود من خير وقریظة ليس فقط خانوا النبي محمد ﷺ حين أخلوا بالاتفاقية المبرمة بينهم في المدينة المنورة والتي نصت بعض بنودها بعد التأكيد على حرية وحق الإقامة لليهود وحرية دينهم وشعائرهم، أقرت معاهدة مواطنة مدنية من طراز رفيع تقول مادة فيها (وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب هذه الصيغة - المعاهدة - وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين) لم ينقضوا معاهدة ودستور المواطنة فقط بل تجسسوا على النبي وجيوشه وجنوده وتحالفوا مع أعدائه وحاولوا اغتياله فما كان ممكناً إلا الحرب الضروس ضد خونة، ربما لا يكون هناك أي دخل لليهودي من أحفاد خير وقریظة في تلك الجريمة (رغم أنهم لا يرونها خيانة ولا

جرماً) ومن ثم فإن مسلماً واحداً لم يحمل يهودياً واحداً ذنب تلك الجريمة بدليل أنه منذ وقت الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب (آخر مواجهة إسلامية مع اليهود) وإلى بعد تلك السنين بأكثر من ١٢٥٠ سنة أي مدى أكثر من ١٢ قرناً لم تحارب أي دولة مسلمة أي قبيلة أو عائلة أو مدينة أو حياً يهودياً بل عاشوا مواطنين (أغلب الوقت) أو رعايا حتى جرى ما لم يكن سوى الخيانة العظمى من اليهود للإسلام والعروبة وللإنسانية وهو احتلال اليهود فلسطين العربية المسلمة.

كان الليل قد حل ولم يظهر القمر، ليالي سبعة مرت على حصار المسلمين لحصون خيبر الذي بدا ضخماً وهائلاً مع صمت الظلمة وقبضة الإنهاك التي غلفت الخيام والرايات والإبل والخيل، عند الربوة العالية جلس النبي في ذلك المسجد الذي بنوه بجذوع النخل وجلود الإبل وخيوط الصوف وفرشوا على الأرض حصيراً من عيدان الشجر وجريد التمر ليقموا الصلاة ويسبحوا الله بكرة وأصيلاً، وضعوا إلى جانب القبلة مشكاة ييزغ نور وجه النبي على

ضوئها يبدد الظلام والظلم، تباحث الصحابة والأنصار حول العمل وقد أوشك اليوم السابع على حصار خيبر أن يمضي.

- ما العمل إن اليهود يخرجون من بوابة قفزًا سرعًا بالخيول ومعدات حرب الحديد التي يملكونها، نعدو نحن لنصارعهم ونصرعهم وحين يحسون أن سيوفنا أراقت دماءهم تصارحوا بالخسارة وتصايحوا للعودة إلى الحصن فينفتح تحت ضرب السهام وشوك النبال خشب بوابتهم فيفرون كأنهم أشباح أرواح.

- أطلوا المعركة حتى نتعب وتفرغ قوانا وقواتنا وأقواتنا.

- نفذت المؤنة واليهودي ملأى خزائهم بالطعام والذخائر ينامون على فراشهم ووراء أسوارهم ونحن في البرد والحر، الريح والتراب.

- لدي حيلة يا رسول الله.

قالها أحد الأنصار وبعد هدأة ليل كانت أسوار اليهود تشقق من الرعب وتفرغ من تمام عزم المسلمين وتحدى الحصون والقلاع، أمسك عشرات المسلمين بالسيوف والفؤوس والأسلحة وطعنوا بها قطعًا وتكسيرًا وتحطيمًا

أشجار النخيل التي تملأ أرض وزراعات اليهود. انطلق أحد المسلمين بشعلة نار لهيبة ورمي نخلة بها؛ تتابع وراء آخرون ومع صياح الصباح كانت نيران الليل لا زالت مشتعلة والدخان والفروع المحترقة وجذوع نخل خاوية وعصف ريح عاتية ولهات إيل وصهيل خيل ولمعان سيوف وبرق رماح ودوي سهام.

كان اليهود يرقبون خلف الأسوار ووراء الأبراج ثورة المسلمين وحشد الجنود.

وقف النبي على فرسه ممسكاً برأيته رافعاً بيرقه مرفرفاً شعاره ورسمه وسمته ولألأة حروف لا إله إلا الله على قماشها.

وخاطب النبي الجميع فبلغ الصمت حد سكوت الريح وسكون الشجر.

قال النبي ﷺ: "لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله".

صمت مطبق مطلق كاسر أسر ران على الجميع مسلمين ويهوداً الكل يسأل نفسه أو صاحبه: من الرجل الذي سيسلم له الرسول رأيته فيفتح الله على يديه خبير ويقف على أطلال

اليهود ويهتف الله أكبر خربت خيبر، من الرجل قاهر الخونة
محرر المدينة من حلفاء الأعداء، من الرجل مبيد اليهود بعد
أيام من الإعياء والمعاناة والممانعة والمقاومة الشرسة،
من هو؟، وقفت الكائنات كلها الطيور والخيل والإبل والنخل
والشجر والصحابة والأنصار والصبح والريح والضوء
والظل ترقب وتترقب شفاه الرسول الكريم وهو ينطق باسم
الرجل، قال:

- أين علي بن أبي طالب؟

**

وبعد أكثر من ألف سنة نسأل نحن نفس السؤال:

- أين علي بن أبي طالب؟

صحيح أين علي؟

النخبة الرخوة والمعارضة البضة!

هل عندك فكرة لماذا توقف المعارضون الأشاوس لسياسات ومنهج وأفكار الرئيس السادات عن لعب دور المعارضة الآن بل ونرى الكثيرين منهم (بمن فيهم أعضاء في أحزاب المعارضة) قد تحولوا إلى مؤيدين للسياسة الحالية رغم أنها لا تختلف تمامًا ومطلقاً عن سياسة الرئيس السادات (الذي يرى أن تلك السياسة غيرت واختلقت ربما يحتاج إلى تغيير عدسات النظارة وقراءة تصريحات وحوارات قيادات الحزب الوطني التي لم تتغير بالمناسبة؛ وعليه إذا كان عنده وقت مراجعة أسماء رؤساء تحرير الصحف القومية قبل ١٩٨١ وحتى الآن ويبقى يكلمنا في التليفون وسعر الدقيقة خمسون قرشاً فقط!!

إن بالذمة لماذا توقف معارضو السادات (الله يرحمه ويحسن إليه) عن المعارضة؛ نسلم أولاً أن بعضهم كبر وشاخ وخلص بقى جبن (وليس حسن) الختام؛ لكن ما الذي يجعل كتلة هائلة من السياسيين اليساريين والكتاب والصحفيين وأساتذة الجامعة الذين عملوا فيها رجالاً وعارضوا السادات يأتي وقتنا هذا مع نفس السياسات التي عارضوها بشحمها ولحمها فإذا بهم من المؤيدين بل

والراكبين على مقاعد في وزارة أو مجالس وصحف
ومؤسسات حكومية إلخ؛ ليست هناك أي إجابة عندي سوى
أنهم للأسف (أو كثيرًا منهم) كانوا معارضة مأجورة!! نعم
الكلمة صحيحة ولكن فيها خطأ في المعنى أو اللفظ؛ مأجورة
طبعًا وقطعًا!

وقتها كانت معارضة السادات أمرًا مربحًا للغاية وهو ما
يبرر امتلاك هؤلاء ساعتها شجاعة المعارضة فالحاصل أن
صدام حسين كان يدفع ويمول الصحف والمطبوعات والكتب
ودور النشر بل وحتى يمول ترجمة كتب هؤلاء إلى اللغات
الأجنبية؛ وكان القذافي يمول بالملايين البلهاء أحزابًا سرية
وعننية وتنظيمات قشرية أو وهمية ومؤتمرات وندوات
ومراكز أبحاث وشخصيات نصابة!! وكان الخليج يتبرز
ملايين من أمواله على صحف في الخارج تفتح أبوابها
للمعارضين وجامعات تتلقف مناهضي السادات! وكانت لبنان
مرتعا خصبًا يروج لهؤلاء ويرفع بالشطارة اللبنانية الشهيرة
من أسعارهم عند الدول والحكومات!

وكانت منظمة التحرير بقيادة الأخ عرفات، الله يسامحه،
يمارس هوايته في إنفاق مال الثورة على معارضي السادات

ومناهضي كامب ديفيد قبل أن يصبح هو ومعارضو السادات في نفس المركب والموكب من التطبيع مع إسرائيل وأمريكا من أجل القضية الفلسطينية التي لو كانت رجالاً لضربهم وضربنا جميعاً بالبلغة القديمة! ومن ثم كانت معارضة السادات ربحاً لتجار وليست أبداً نضالاً لسياسيين مولتهم ودفعت لهم دول فاشية استبدادية في عواصم العالم التي ذهبوا إليها لبيع النفس والحصول على النفيس!

ليس مستغرباً إذن أن يمكث شاعر مثل أمل دنقل هنا في وطنه على مقاهي قاهرته يقاوم ويناضل بالشعر وبالثرثرة فيصاب بالسرطان ويموت بينما الشخص الذي هاجر وسافر وتعامل وتعاون مع ممولي وتجار المعارضة مدفوعة الأجر يعود بعد موت السادات ونهاية الممولين محملاً بالمال ومرمياً في حضان نفس السياسات (التي ادعى أنه سافر فراراً منها هو وغيره) من حيث الصلح (والنوم) مع العدو الإسرائيلي والعلاقات الخاصة شديدة الخصوصية مع أمريكا (لها أوصاف أخرى لا شجاعتني ولا حماقتني تسمح بذكرها ووصفها الوصف الحقيقي) كذلك السياسة هي نفسها ولعلها أشد في الانحياز للأغنياء من المليونيرات ورجال الأعمال

على حساب الفقراء ومحرومي (وليس محدودي) الدخل!!
وأيضاً في ظل القوانين الاستثنائية وقانون الطوارئ الممتد
حتى يرث الله الأرض ومن عليها! وسياسة الاستبداد بالقانون
والديمقراطية لها أنياب ومخالب على اعتبار أنها ديمقراطية
في غابة من حيوانات وليست ديمقراطية في بلد ومع شعب!
من الطبيعي للغاية أن يظل الموظف المصري العظيم
كمال أبو عيطة في مصر معارضاً للسادات دون أن يستثمر
المعارضة ولا يتنازل عنها فيستمر بعد السادات معارضاً
لذات السياسة ويظل هو نفسه الموظف والمناضل لا زاد (إلا
احتراماً) ولا نقص (إلا صحة ومالاً!) بينما الذي فتح حزباً
وأسس مؤسسة وصادق أنظمة واشتغل في إذاعات موجهة
لمصر العربية إذا به أغنى وأشهر ويملك الصحف أو يكتب
فيها ويظهر في البرامج يمتدح مواقف مصر العربية حالياً
بنجاح ساحق!

الذي يكشف أنها معارضة من يومها مأجورة فعلاً أنه
كانت تتحدث نفاقاً ورياء وتوسلاً وتسولاً عن أمجاد وفضائل
ومواقف ديكتاتورية يمولهم من بغداد أو طرابلس أو دمشق
أو غيرها بينما تهاجم استبداد السادات فأين هي الديمقراطية

والحرية التي كان يدافع عنها هؤلاء المعارضون؟ بينما يبدو
السادات بالمقارنة بهؤلاء الحكام أشبه بعمر بن عبد العزيز!
وكان بعض من هؤلاء المعارضين يكتب قصائد سرية في
سب الرئيس السادات بل كان بعضهم يقف في المؤتمرات
الخارجية والداخلية يلعن ويسب في شخص السادات ويتهمه
بالخيانة وهم الآن الذي يكتبون استعراضات عيد الشرطة
وفي مجلات الشرطة ويمتدحون العهد بالشعر والبرامج
والخطب ويجلون الحكم والحكومة كأنهم سيضيفون بلهفة
ورجفة صيغة "رضي الله عنه" أو ﷺ حين يذكرون اسم هذا
أو ذلك من رموز الحكم!

المؤكد أنه لا يوجد شعب يستطيع أن يتغير ويغير بدون
طليعة أو نخبة تعمل على تنوير أو تحريك أو تثوير الناس؛
يقودونهم من الظلمات إلى النور يطورون في مفاهيمهم
ويبدلون في سلوكهم ويرشدونهم ويحركونهم وينظمون
صفوفهم؛ وقبل هذا وبعده وأثناءه تقوم هذه النخبة أو الطليعة
بالتعبير عن مشاعر وأفكار وأحاسيس ومطالب المواطنين؛
من هنا تأتي مهمة المثقفين والسياسيين والكتاب وأساتذة
الجامعة والصحفيين؛ لكن الحقيقة أن النخبة المصرية

عن عجز أو عمد؛ باعت المواطن المصري بثمن ثمين
تقاظت دولاراته ودراهمه وديناراته من دول وأنظمة
في فترة السبعينيات ثم لما ندر المال النفطي وتصالحت
الأنظمة والحكومات فقدت المعارضة دورها وأجرها فلحقت
فورًا بصفوف الدولة وأعضاء الحكومة وباعت مرة أخرى
المواطن المصري بكرسي أو بمنصب أو بموقع أو بعضوية
أو برئاسة تحرير أو بمعقد في شورى أو شعب أو حتى
بدعوة لحضور معرض الكتاب أو بكتاب في مهرجان مكتبة
الأسرة!!

وهكذا تلتفت فترى نخبة لا تقوم بمعارضة إلا لو تقاظت
ثمنا كما أن نضالها لا بد أن يكون مدفوع الأجر!! (لاحظ
معي ورغم أن منظمات حقوق الإنسان ومناصرة المرأة وما
إلى ذلك لها أهداف نبيلة ومنيرة إلا أن ما يجمعها كلها إلى
جانب الإقبال الهائل من اليسار المصري عليها هو تمويلها
المغدق من الغرب ومؤسساته كذلك) ونعود إلى حقيقة أن
عددًا هائلًا من مثقفينا يعانون من الرخاوة وانعدام الشجاعة
يقودون كتائب من النفاق والرياء للسلطة والدولة في الوقت
الذي يسيطر فيه على الأحزاب السياسية في مصر زعامات

مثل جدك خالد محيي الدين وجد والدك إبراهيم شكري ودفعة
جدك ضياء الدين داود وعم والدك نعمان جمعة؛ وتمتلك
مقاليد دوائر الإعلام والصحافة شخصيات دخل أحفادها
الجامعة أو يعانون من خرف الشيخوخة!! لتبدو الساحة
السياسية في مصر ليست في حاجة إلى كاتب أو باحث بل
في حاجة إلى عالم حفريات أو على أحسن تقدير تحتاج إلى
خبير تحف وأنتيكات!! هذا التصلب في الشرايين وهذا التفكك
في أوساط النخبة الرخوة وتلك المعارضة البضة (..) أدت
إلى ما نحن فيه الآن.. لكن أين نحن بالصلاة على النبي؟
الإجابة على هذا السؤال تستدعي فقط أن نخرج أولاً من
بلاعة المجاري السياسية التي سقطنا فيها ثم سنعرف بعدها
أين قذفت بنا تلك الماسورة!!

شرف الحكومة مثل عود الكبريت!

لا يتصور أي مثقف أو كاتب في مصر أنه بعيد عن الزنزانة التي يقضي فيها دكتور سعد الدين إبراهيم لياليه الطويلة في مسيرة التكتيل به والرغبة التي تبدو رسمية وحريصة على تكسير عظامه أو شوي لحمه.. فهناك كنز من القوانين المتربصة بأي واحد فينا من الذل لا يزالون يحتفظون بما تبقى من مخ وضمير في هذا البلد (كلما هبطت ووصلت إلى مطار القاهرة تجد جزءاً من الآية الكريمة: **﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾** قاصدين من وراء هذه الآية الدلالة على رحابة مصر وأمانها.. والمفارقة المدهشة أن الآية في القرآن الكريم موجهة لليهود أن ادخلوا مصر آمينين.. بل وبحثاً عن الفول والبصل والثوم.. لذا لزم التنويه!! المهم أننا كل يومين ثلاثة نسمع حكاية سمعة مصر حجة حكومية للتكتيل بأي كاتب أو معارض أو باحث، ليس الأمر قاصراً على دكتور سعد بل يطول الجميع كأنه سيف من التهديد أو الابتزاز!! وسمعة مصر كلمة تخض، كلمة محترمة قطعاً.. ومهيبة وفخيمة وتكاد تقف وأنت تكتبها لكن المتأمل في تعبير سمعة مصر يجده يعاني من البهذلة على يد الذي يسوي والذي لا يسوي في هذا البلد وبطبيعة الحال فإن

الدستور في مصر لا يزال ينص على أن النظام اشتراكي ويلحق من يجرؤ على نقده وهدم الاشتراكية بالويل والثبور (نعرف الويل لكن ما معنى الثبور) ولا يوجد اثنان في البلد لم يشتما وينقدا ويهدما الاشتراكية ومن ثم فأشياء كثيرة في مصر تفقد معناها بل لم يصبح لها معنى أصلاً!! كذلك فإن هناك تعبيرات أصبحت مثل الشراب تلبسه أي قدم (..) فنجد على مقاسها، لا تفهم ما المقصود منها بالضبط خصوصاً أن هناك حسداً من المواد القانونية التي تعرف مثلاً الأمن القومي وتفنده وتحده بحيث إن أي سائق حنطور في مصر يلقي نكتة لحصانه يمكن أن يكون معرضاً للاتهام بأنه يمس الأمن القومي.. فما بالك بكتاب صحفيين أو باحثين أو مفكرين أو أدباء مهمتهم هي مهنتهم في نفس الوقت أن ينيهوا وينقدوا ويهاجموا ويصرخوا ويعلنوا، وتحت يدي وثائق نوة عقنتها جمعية منتدى الديمقراطية - والتي حلت نفسها منذ فترة وهو دليل آخر على أن الديمقراطية لا تستأهل في مصر منتدى! والوثائق دراسات قانونية حول مفهوم الأمن القومي في عصر المعلومات أو بالأدق حرية التعبير ومفهوم الأمن القومي في مصر.

وبمجرد القراءة المتأنية الفاحصة لهذه الوثائق المملأى
بأحكام ومواد قانونية فإن بطن أي كاتب يمكن أن تتركب
ويقع قلبه في رجليه فلا يوجد أي شيء يكتبه لا يمكن ألا
يمس مصالح البلاد وأمن البلاد لأن أمن البلاد في القانون لا
يتحمل الهواء الطائر ولا النسيم العليل خذ عندك نقلاً عن
دراسة عبد الحميد الزناتي ما يلي "يرى القانون المصري أن
أي إذاعة أخبار أو بيانات أو إشاعات كاذبة (هل معنى ذلك
أن هناك إشاعات صادقة غير كاذبة.. هذه الملاحظة من
عندي وليس من الزناتي وكل ما بين الأقواس تبقي من الآن
وصاعداً) أو مغرضة (مرة أخرى تأتي التعبيرات الغريبة
الفضفاضة مغرضة حد فاهم يعني إيه مغرضة إنها كلمة
"شراب" أيضاً أي حد ممكن يلبسها وتمشي معه كما يهوى)
وتضيف المادة أن إذاعة أي دعاية مثيرة (.. ولا تفهم يعني
إيه دعاية مثيرة، على طريقة دعاية طارق نور مثلاً.. دعاية
كلمة واسعة أما مثيرة فليست كلمة إنها قاموس يشمل أي
شيء!). وكان من شأن ذلك أن يلحق الضرر بالاستعدادات
الحربية أو بالعمليات العسكرية أو يثير الفزع بين الناس (أه..
يا.. ماما!! فزع بقى) أو يضعف من جلد الأمة (حلوه دي

وجديدة على الواحد.. وجلد الأمة من هو الذي يحدده؟.. وهل لهذا علاقة بأن الأمة مجلودة مثلاً.. ثم أعرف منين أن جلد الأمة (ضعف.. المهم.. أو يضعف جلد الأمة جريمة تتراوح عقوبتها بين الأشغال الشاقة المؤقتة إذا ارتكبت مع دولة أجنبية (يعني مثلاً ظهرت في قناة الجزيرة التابعة لدولة قطر!! أو قناة أبو ظبي التابعة للإمارات) أما إذا كانت تلك الدولة معادية (بالمناسبة طبقاً للمعاهدات لا توجد دولة معادية قانوناً لمصر الآن!!) فإن العقوبة ترتفع إلى الأشغال الشاقة المؤبدة وهذه الجريمة منصوص عليها في مادة ٨٠ ج من قانون العقوبات".

ويشرح د. زناطي "أي أنه ليس من الضروري التحقيق مما إذا كانت تلك الأخبار قد حققت الغرض المقصود منها أم لا فبمجرد إذاعتها يتحقق الهدف الإجرامي حتى وإن لم يترتب على أي أثر سلبي (اتفضل يا سيدي) يقول د. عبد الحكيم فوده "أن كتابة مقال أو بيان يظهر فيه أو السخط أو الانتقاد لحالة الشعب من حيث مستوى المعيشة والدخل القومي أو تفشي فساد أو الانحراف تعتبر وفق هذه المادة من قبيل الدعاية المثيرة التي يمكن أن تضعف روح الأمة

(روح الأمة مش ناقصة) جاب د. عبد الحكيم فودة آخرها أي يمكن تطبيق أي مادة من إياهم ضد أي واحد من "إيانا" في أي لحظة من إياها وهذا المقصود بالضبط أن تكون هناك مواد تجري وراء قفاك وتجرجرك إلى أقرب سجن وليس المطلوب من حشد هذه المواد أن تسكت وتخرس أي كاتب لا سمح الله.. أبداً.. المطلوب منها أن تتكلم (تكلم فأنت في القلب) لكن تكلم منافقاً لنا وداعياً لحكمتنا وفضلنا كحكومة وكمسؤولين أو فضفض وعارضنا لكن معارضة حلوة أو عارضنا بحماس وبقوة لكن تكون فاهماً أننا نمن عليك بهذا الحق ومن حقنا في أي وقت أن نضربك ونسجنك ونعدمك بالقانون يا حبيبي. إن وجود عشرات المواد في القانون كقيلة بأن تجعل أي كاتب في مصر في أي لحظة جاسوساً في ربع ساعة، يضر بالأمن القومي ويهدم السلام الاجتماعي ويضعف من جلد الأمة (المجلودة) خذ مثلاً ما يقوله د. الزناتي في دراسته الكئيبة إذا كانت مجرد إذاعة أو نشر أخبار في الداخل يمكن اعتبارها دعاية مثيرة أو بيانات مغرضة تؤدي إلى عقوبة الأشغال الشاقة وفق المادة ٨٠ ج عقوبات فإن المادة ٨٠ دال تمنع أي مصري من أن

ينشر أو يذيع في الخارج أي أخبار أو بيانات أو إشاعات كاذبة (مرة أخرى هل فيه إشاعات صحيحة؟) أو مغرضة حول الأوضاع الداخلية بالبلد ما دام من شأن ذلك إضعاف الثقة المالية بالدولة (لو تكلمنا عن القروض) أو هيبتها (لو قلنا إن الانتخابات مزورة) أو يضعف اعتبارها (مش عارف إيه اللي ممكن يضعف اعتبارها) أو باشر بأي طريق نشاطاً من شأنه الإضرار بالمصالح القومية للبلاد، ولا يتركني د. زناتي أشرح أو أفند بل يكمل هو مثاله بوضوح فإذا نشر شخص مقالاً عن استسراء التعذيب في مصر دون أن يتم تعقب مرتكبيه أو تقشي الفساد دون ملاحقته قضائياً فإن ذلك كله يقع تحت طائلة التجريم وحتى وإن كان ما نشر صحيحاً (واخذ بالك) ما دام ذلك يمس هيبة الدولة أو شرفها (وشرف الدولة طبعاً مثل عود الكبريت)..

كان يمكن أن نعتبر هذه المواد وتلك الدراسات التي تكشف وتفضح مجرد توهمات وتوجسات لا يمكن أن تلجأ إليها الحكومة حتى لا تنسف ديمقراطيتها (المنسوفة) أو تشوه صورتها لكننا نفاجاً كل يوم بأن المطاردات قائمة خلف الكتابة والكتاب والمفكرين والباحثين (دكتور سعد الدين

إبراهيم نموذج واضح) ثم أن الدولة تستدعي من ركام موادها القانونية ما يجعل أي مفكر شارك في ندوة في الخارج عن الديمقراطية وذكر حكومة بسوء أو شخصاً أدلى بحوار لمحطة أجنبية أو عربية أو أي باحث نشر بحثاً في مجلة أجنبية لا يعجب حكومتنا فإنها يمكن أن تجعله في غمضة عين وطرفة جفن جاسوساً!! ومسجوناً، إن أسلحة الحكومة كثيرة ومسنونة رغم أنها حكومة مسنة وأسلحة مسنة كذلك، لكن قرصتها والقبر وغضبها والسجن، وقانونها والتجسس يا حلو.

هل هانت مصر حتى يكون شعارها:
ادفعوا لنا نحارب لكم

لا أتق في د. عاطف عبيد ولا في حكومته ومن الطبيعي
إذن ألا أتمنى أن تتحول هذه الحكومة إلى حكومة حرب فهي
غير قادرة على التحكم في سعر الدولار ولا تفعل غير التتهته
أمام الفساد ومحترفة في الكذب على المواطن بأحلام تحتشد
بأوهام وخرافات تكتظ بخزعبلات فكيف ستتحكم في الحرب
إذن!

وأنا أعتقد أن من نكد الدنيا علينا وجود أمثال بعض
من في حكومتنا (وهم لا يتغيرون) في وقت السلم وأظن
أنه سيكون بلاء من الله لو صارت هذه الحكومة ورجالها
حكومة مسئولة عنا في حالة الحرب!!

لكن المذهل والذي لا أستطيع أن أتصور أن مصر يمكن
أن تغفره لرئيس وزرائها هو هذه التصريحات المفزعة
التي صرح بها لجريدتي الاتحاد والوطن (في الإمارات
وقطر وأنا أنقل عن النص المنشور في الاتحاد يوم ٢٤ - ٤
- ٢٠٠٢)، ولا أستغرب من هول ما قال فالرجل لم يكن
يوماً بالزعيم السياسي (ولن يكون) ولم يكن معروفاً في ساعة
من ليل أو نهار بحسه السياسي ورؤيته (فهو خبير اقتصادي
رغم أن للبعض في هذا نظراً) ولكنني أشعر بالذهول من

حفاوة عرض وتقديم هذه التصريحات في الصحافة المصرية والصمت والخرس السياسي عليها وهو الكلام الذي يهين مصر وشعبها بل وجنودها ويجعل منا مرتزقة وقتلة ولسنا عربيًا أحرارًا وأبطالاً بوسائل نخوض الحروب بالمبادئ والسلاح وليس من أجل المال!

تخليلوا أن صحفيًا يسأله بالنص (لا يمكن لأي منصف أن يتجاهل التضحيات التي قدمها الشعب المصري، ولكن ما يجري الآن على الساحة الفلسطينية يطالب مصر باعتبارها أكبر دولة عربية أن تتحرك؟).

فيجب عليه إجابة يقشعر لها أي وطني مصري يشعر بالعزة والكرامة والكبرياء (هل بجوار دكتور عبيد من له هذه المواصفات كي يقول له ما نريد أن نقول!) قال د. عبيد بالنص:

- إذا أردت أن تتحرك وأن تكون جاهزًا لمواجهة التحديات لا بد أن تكون لديك مائة مليار دولار.

يتحدث ويرد دكتور عبيد كأنها مقابلة وصفقة وليس كأنها معارك ضد عدو غاشم ومحتل غاصب، هذا كلام لا نفهم

منه سوى أن مصر مستعدة، بس حد يدفع، اطبخي يا جارية
كلف يا سيدي؛ لا يمني المعلوم وأنا أقوم بالواجب!!!، وقد
يتصور البعض أنه كلام عملي وواقعي وأنا أسأل: هل
تحويلنا لمرتزقة فضلاً عن شحاتين كلاماً عملياً!! وهل معنى
ذلك أساساً أن مصر تريد وتعترم الحرب بس هيه مزنوقة يا
دوب في مائة مليار!! وهذا ما أشك فيه تماماً فالحكومة
والقادة لا يريدون الحروب ولا يعتزمون القيام بها دفاعية أو
هجومية فلماذا الإهانة لكل مصري حين يطلب رئيس
وزرائنا مائة مليون دولار كي نحارب؛ نحن محاربون لا
مرتزقة؛ مقاتلون لا بلطجية، وهل هذه هي سمعة مصر
المطلوبة عربياً ودولياً الآن "ادفع لنا فنحارب لك"!! وهل
يعني ذلك أن مصر ذهبت خارج حدودها لتحارب العراق في
حفر الباطن ليس دفاعاً عن تحرير الكويت ولا ردعاً عربياً
بل لأنها أخذت الثمن!! وتلقت المقابل، فمن حقه إذن أي
مواطن كويتي أن يقول لنا إذا ما أوضحنا له أننا حاربنا من
أجل تحرير أرضه أن يرد ويفحمننا بأننا تقاضينا الثمن!!
ويبدو أن الصحفي القطري الذي أجرى الحوار لم يصدق
نفسه حين سمع كلام عبيد فحاول أن يتماسك وسأله مؤكداً،

ولكن معالي الرئيس الرأي العام العربي يطالب مصر
باعتبارها أقوى دولة عربية بأن تقوم على الأقل ليس برد
فعل عسكري إنما بطرد السفير الإسرائيلي فلماذا
لا تطردونه؟ هل اتفاقيات السلام تمنعكم من ذلك؟

وتعال شوف دكتور عبيد كيف جاوب (واتعلم يا وزير
الخارجية يا دكتور ماهر!!) رد فتح الله عليه قائلاً:

- قلت لك عايزين مائة مليار دولار، اجعل العالم العربي
يضع مائة مليار دولار من الأموال العربية الموجودة
في العالم ويقولون هذه موازنة مواجهة تفضلي يا مصر
يا زعيمة هذه الموازن تحت أمرك تفضلي ابتدئي المواجهة!
فيرد عليه الصحفي: ربما لإتمام الصفقة:

(يعني لو توافر هذا المبلغ؟ هل ستحاربون إسرائيل؟)

فيجيب دكتور عبيد في ثقة المقاولين:

- مائة مليار تبدأ حساباتك تتغير .

لم نخرج نحن من هذا الحوار يا مصريين مجرد مرتزقة
نتقاضى من الأتعاب والتكاليف والمصاريف تحت الترابيزة
ولزوم ما يلزم من أجل أن نحارب (ودكتور عبيد يعرف قبل
أي واحد فينا أنه لا يمكن أن يحارب حتى لو بقت المائة

مائتين لكن أهي بهدلة ومرمطة والسلام!!) بل خرجنا كمصريين من هذا الحوار بأننا مكشوفون تمامًا أمام إسرائيل وصارت تعرف من أكبر رأس فينا أننا لا نستطيع محاربتها حتى لو أردنا وأننا نسأل الله حق الشوق وعشانا عليك يا رب!! وهي دعوة لإسرائيل بما تمتلك الآن من قوة فاجرة وزعيم طائش وطايح أن يهاجمنا ويغزونا منتهزًا عدم قدرتنا الاقتصادية على دفع كلفة الحرب!

لكن قريحة دكتور عبيد لا تتضب وقد وجد التصريحات في شؤون الحرب والسلام مسيلة جدًا وبسيطة خالص (وكنّا نظنها صعبة) حين يسأله الصحفي بالتالي:

(في قمة بيروت تم الاتفاق على أن أي اعتداء على سوريا ولبنان هو اعتداء على كافة الدول العربية فهل ستدخلون عسكريًا لو أقدمت إسرائيل على حماقة الاعتداء على سوريا ولبنان؟) فيجيب دكتور عبيد (واسمع إجابته وشنف أذناك منك له!).

- انس موضوع التدخل العسكري التدخل العسكري انسه تمامًا.

يرجع الصحفي يسأله:

- يعني مصر تسقط الخيار العسكري من حساباتها العربية والقومية؟.

فيرد بوضوح واطح أنه متأكد منه.

- كل الدول لا مصر ولا أي بلد يقدر على التدخل العسكري.

- وهكذا يعلن دكتور عبيد لإسرائيل وأمريكا وأثيوبيا لو لها شوق أن الوطن العربي لا يقدر على الحرب ويمكن أن نعتبره بيان هزيمة عربية كاملة، ومن حق إسرائيل إذن أن تسوي فلسطين بالأرض إذا كان ساستنا يستملحون ويسعدون وينتعشون حين يكررون هذا الكلام في كل مكان صحرا كان أو بستان!!

لكن دكتور عبيد لا يكتفي بذلك بل يسكعنا الإجابة الشافية التي تذهب بعدها لتدلق على نفسك جاز لو عندك ما ليس عند مسئولينا الآن (أفصد الدم وليس العقل!) حين يسأله الصحفي:

- وإذا كانت إسرائيل هي المعتدية كعادتها دائماً مع العرب؟

فيجيب عبيد (وأرجوك جهاز دواء الضغط بتاعك أو حقنة
الأنسولين!) قال د. عبيد:
- نطالب العالم أن يرد على العدوان وإلا ستكون حساباتنا
خطأ.

الله، شفت أطلى من كده، إذا اعتدت إسرائيل كعادتها مع
العرب، نعمل إيه بقى يا سيدي، نقوم إيه، نطالب العالم
أن يرد، الله يفتح عليك يا دكتور عبيد كنت فين يا أخي
ونحن نبحت عن حل، نعمل إيه بقى، نطالب العالم أن يرد
على العدوان!

الله.. أعد يا سيدي!!

فين الوخيمة؟

دخل شارون إلى غرفة مكتبه مهزوزاً مرتبكاً مرتعشاً
بعيون زائغة وشفاه مرتجفة.

جرى خلفه مدير مكتبه وقد هاله المشهد وأذهله هذا الوجه
المكدود المرتبك: فيه إيه يا أفندم خير يا سيد شارون، كان
شارون قد جلس على مقعده وقد انتفضت كل ملامحه غضباً.
صارخاً: كده يا حمار كيف تخفون عني هذا الخبر الفظيع
الرهيّب؟

اهتز مدير مكتبه وزاغ نظره وهو يسأل مستقهماً: خبر
إيه يا أفندم؟

رمى شارون في وجهه جريدة الأهرام قائلاً: ألم تقرأ هذا
الخبر الذي جعلني على هذه الحالة من الرجفة والرعدة.
أمسك مدير مكتبه بالجريدة: أي خير؟

رد عليه شارون: وكمان مش عارفه لوحذك!!

أخذ منه الجريدة وبدأ يقرأ من الصفحة الأولى (عدد
الأهرام ٢٠٠٢/٤/٢) الحزب الوطني يحذر شارون من
تصرفاته غير المسؤولة ومن الآثار التي يمكن أن تتجم عنها.

انحنت قامة مدير مكتب شارون وهو خزيان: أنا آسف
فعلاً.. لقد أهملت خبراً على هذه الدرجة من الأهمية
والخطورة!

أجابه شارون: وبإيه يفيد الندم، دلوقت أنا أعمل إيه، دا أنا
من ساعة ما قرّيت الخبر عملتها على روعي، تخيل أنت
الحزب بيحذرنى، اطلب لي حالاً مدير الموساد ومدير
الشبابك ورئيس الأركان وكبير الحاخامات وبعدين ادعي
ربنا يعديها على خير!!

طبعاً هذه مسخرة المقصود منها أن تضحك على الحزب
الوطني الهش القش الذي لا يملك ذرة من قوة ولا يكاد
شارون يسمع عنه أساساً ويجد هذا الحزب الساذج في نفسه
القدرة على الاستهبال ويحذر شارون الذي لم يعر مجلس
الأمن ولا القوى الدولية ولا مذلة الحكام العرب ولا الخيانة
السريعة على الماشي الذي ارتكبها كذا حاكم وملك عربي
اتصلوا به ليوصوه على عرفات ولم يهتم بالمنظمات الدولية
لحقوق الإنسان ولا نشطاء أوروبا العظام الذين اخترقوا
الحصار حول رام الله وعرفات، لم تهتز له شعرة من هؤلاء

جميعاً لكنه سينهار أمام هذا البيان الطري الذي أصدره اسم
الله عليه الحزب الوطني!!

ليس هناك أي تفسير لبيان الحزب الوطني وليس هناك
أي هدف له فهو بيان وخلص، أصدرته ناس فاضية رغم
مشاغلها الفظيعة الشنيعة في انتخابات المحليات النزيهة، لكن
الذي يلفت النظر فيه أن أصحاب هذا البيان وحزبهم هم دون
شك السبب في كل البلاوي التي نحيهاها، هؤلاء المصابون
بالشيخوخة والذين أكلتهم العتة السياسية والذين ركبوا على
أنفاس الأمة كل هذه السنوات بتزويرهم للانتخابات وتزييف
إرادة الشعب ونفاق وعبادة الحاكم والتصفيق والموافقة
المتوهة في البرلمان لكل القوانين المكبلة للحرية والمقيدة
الديمقراطية أصحاب جنينة الحيوانات السياسية التي ترفع
شعار أن للديمقراطية أنياب ومخالب، فاكرينا أرناب أو فراخ
بيضا!! هؤلاء أصحاب قوانين رفع الدعم عن المواطن ومنح
الدعم للحرامية وأنصار حماية الفساد الذي عطن الوطن
ونشر في الحياة السياسية والاقتصادية العفن، هؤلاء الذين
يباعون ويتملقون ويمجدون ويزحفون أمام كل حاكم وسلطان
وسلطة وسلطان هم الذين أصابوا الوطن بالضعف أمام

الأعداء وجعلوا إسرائيل تستخف بنا وتستهتر بقوتنا وتتعامل معنا كشعوب من القطعان والحمير نمشي بالكرباج ونجري وراء العشب ونخاف من ظلنا، هذا الحزب وأمثاله الذين جعلوا إسرائيل تبدو أمام العالم كله واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط من تداول سلطة وحرية تكوين أحزاب وسحب ثقة من حكومات وإسقاط رؤساء، بينما نبدو نحن (وهذا أصح من الصحة) ماشية للحاكم وغلماً للسلطان، وجعل هذا الحزب وأصحابه المصابون بالزهايمر وتصلب الشرايين جورج بوش يقول إن شارون حاكم منتخب يستجيب لمواطنيه، وهكذا يقول لنا بوضوح أن حكاكم ليسوا منتخبين وأنتم ولا حاجة يا بقر (نحن يعني)؛ كل هذا بفضل أكوام المبايعات وبرقيات التأييد وانتخابات التزوير وأزهى العصور وهامش الديمقراطية وهاموش الحرية الذي نعيشه!

وبعد هذا كله يأتي الحزب الوطني ويحذر شارون في بيان قد نجده في تواليات مكتب شارون وليس في درج مكتبه!!

يشبه هذا الهديان الذين يخرج به بعض المسؤولين من نوع سلام البطيخ أو الخيار الاستراتيجي حيث يضربنا العدو

بالمدافع ويهين كرامتنا ويهددنا جميعاً عرباً وعرباناً ثم نخرج عليه ونقول له ردّاً على عدوانه وإهانة كرامة اللي خلفونا وحكمونا "سلامنا خيار استراتيجي" والحقيقة أنه سلام مخلل كالخيار الاستراتيجي المخلل، إن هؤلاء قد فقدوا العقل قبل أن يفقدوا الإحساس، لا أحد عاقل يردد هذا الكلام، ربما أحد خائف، وربما أحد تابع، ربما أحد خانع، لكن ليس عاقلاً أبداً! كما يخرجون علينا فيما يشبه الملهاة أو المأساة محذرين شارون من عواقب وخيمة؟، وأنا كمواطن مصري عربي أهبل أريد أن أعرف وخيمة واحدة من تلك العواقب؟ ماذا ستفعلون يا بتوع الوخيمة غير أن تضربوا بالعصى وبالقتابل المسيلة للدموع أبناء بلدكم المتظاهرين ضد إسرائيل، ماذا ستفعلون إلا نشر مدرعات الأمن المركزي لمواجهة الطلبة والشباب المتظاهر غضباً وقرفاً (منكم قبل أن يكون من إسرائيل)، بتتشطروا علينا أم عليهم، بتضربونا إحنا ولا هم، عواقب وخيمة عليهم ولا عليكم!!

يا حكومتنا السنية: بنية حضرتك
لا مؤاخذة أساسية!

كل ما نرجوه حين ترخ المطرة على شوارعنا وبيوتنا ومدننا أن نتوقف الحكومة فوراً عن اللغو والرغي الذي عودتنا عليه منذ سنوات وهو الحديث عن البنية الأساسية التي أفنت الحكومة الغالي والرخيص من أجل عيونها تلك الشقراء اللعوب البنية الأساسية فضلاً عن أنها تذل وتعاير المواطن في الرايحة والجاية بحكاية البنية الأساسية، كل مرة يطلع واحد من مسئولينا الكبار ويسكع الشعب كلمتين عن البنية الأساسية كأنها فاجورة واختراع فظيع ليس موجوداً في أي بلد في العالم غير مصر، وكأن رصف الشوارع وإنشاء الكباري وحفر المجاري محتاجة معجزات إلهية أو إلهاماً سماوياً أو عباقرة ذرة وتكنولوجيا، ثم تأتي المطرة فإذا بالشوارع غرقانة والمواصلات واقفة ومدن وقرى بالكامل مغلقة والبلاعات مسدودة والبلد فعلاً غرقانة (بالمعنى الفعلي والمجازي)، هل سمعت أبداً عن بلد في العالم يتم تعطيل الدراسة في معظم مدارسها ولا يذهب الموظفون إلى أعمالهم والطلبة إلى جامعاتهم لأن الدنيا مطرة!! هل هناك دولة في العالم تتعطل وتصاب بالشلل لو المطرة مطرت ساعتين ثلاثة بغزارة.. وبعدين يجي يقولك

بنية أساسية!! أين هذه البنية بسلامتها حين تمطر سماء مصر.. إنها مجرد مطرة فماذا تفعل الدول حين يكون هناك فيضاناً وماذا كنا نفعل نحن إذن قبل السد العالي وقبل بنية حضراتكم الأساسية حين كان فيضان النيل يعلو ويجرف!!

لو البنية الأساسية لا تعمل في المطرة فهذا معناه أنها بنية أساسية على ما تفرج، فاشلة ومزيفة أو غير كاملة ومن ثم لا مبرر لمعايرة الشعب بها تماماً مثل الثرثرة السمجة حول بناء مئات الكباري بينما في مصر أصبح في كل مدينة وربما في كل حي كوبري يطلق عليه كوبري الموت من فرط الحوادث التي تجري فوقه، وكل يوم نقرأ حادثاً عن كوبري موت آخر، بل هناك كذلك طرق موت، لقد صار تعبير كوبري الموت وطريق الموت تعبيراً ذائعاً ومشهوراً ودخل في المجموعة نفسها نفق الموت ومزلقان الموت ولم لا فمصر تشهد سنوياً حوالي ٢٢ ألف حادثه طرق وكباري حصيلاً طبقاً لأرقام مجلس الشعب نفسه قرابة الخمسة آلاف قتيل سنوياً وهو رقم يتجاوز شهداء مصر في كافة حروبها ضد إسرائيل بمراحل!! وهناك قرابة ١٨ ألف مصاب وجريح كل سنة من جراء هذه البنية الأساسية، وهي

البنية نفسها التي أخرجت علينا مسئولاً منذ أسابيع يتباهى
بزيادة عدد المدارس المبنية في السنوات الأخيرة وتضاعف
عدد التلاميذ في مختلف المراحل وكأن هذا إنجاز فعلاً
والمستغرب أن المسئول كان يتحدث كأنما جاب الديب من
ديله (بس على الله يكون له ديل) وكأن هذا إنجاز لم يأت به
الأوائل (بالمناسبة وللمفارقة لم يكن وزير التعليم هو من
يقول هذا الكلام)، إن زيادة عدد المدارس وتضاعف عدد
التلاميذ تطور طبيعي وعادي للغاية نتيجة تزايد عدد السكان
والأطفال في سن التعليم وأي حكومة في الوجود كانت لتفعل
ذلك ودون قرف من الشعب ومعايرة له على تخته الفصل،
الإنجاز الحقيقي يبقى في نوعية هذه المدارس وأدائها (وقد
غلبنا شرح أن هناك فصولاً تضم مائة تلميذ.. آه والله العظيم
وأن هناك تلاميذ يأخذون معهم الكراسي للمدرسة كي يتمكنوا
من الجلوس في الفصل) والإنجاز كذلك في تطور ونضج
مناهج التعليم فضلاً عن ارتفاع مستوى وكفاءة المدرس..
وأظن أن أمريكا أو فرنسا أو ألمانيا أو حتى قبرص ومالطة
ليس فيها دروس خصوصية مجاميع بعد الظهر وربما لا
يجود مثل ذلك في دول عربية كثيرة وحتى إفريقية وهذا

يعني فيما يعني أننا دولة تعليمها بعافية وعلى قدها شكلاً وموضوعاً ومن المفاجئ فعلاً أن يتخرج في نظام هذا شكله وذلك سمته طلبة متفوقون ومتعلمون نابغون، إنها معجزة إلهية مثلما أن الله يخلق من ضهر الفاسد عالم فهو يخلق من ضهر النظام الجاهل متفوق..!! أما ترديد المسؤولين لزيادة عدد المدارس كأنه إنجاز من إنجازات البنية الأساسية فإن ذلك يشبه تماماً ترديد إدارة المرور لزيادة عدد المخالفات على سائقي السيارات كأنها إنجاز يعني أن الإدارة زي الفل وشغالة الله ينور والحقيقة أن زيادة عدد المخالفات معناه أن عدد مخالفتي قواعد المرور يزداد، معناه أن الناس لا تحترم قانون وقواعد المرور، معناه أن المرور فاشل وليس ناجحاً بالمرة فعندما تقول أنني كشفت هذا العام عشرين طالباً غشاشاً في لجنة الامتحان بزيادة قدرها عشر طلاب على العام الماضي فهذا معناه أنك إما كنت نائماً في اللجنة العام الماضي أو أن الطلبة اكتشفوا أن الغش أبرك وأسهل أو أن الامتحان صعب ورذل ولا يراعي ظروف الطالب ولا التعليم!! ربما تكون زيادة عدد المخالفات نجاحاً في التحصيل

لكنها من المؤكد أيضًا فشل في القانون والنظام الذي لا يحترمه أحد!!

الخيبة القوية أن الحكومة تقدم مثلاً مؤتمر الدول المانحة (تأمل اللقب.. الدول المانحة دون أن نخجل من أننا نحتاج المنحة، دون أن نحس على دمنا أننا في حاجة إلى التوسل والتسول ومنحة الدول!!) المهم تسوق الحكومة دون خجل ولا حياء هذا المؤتمر الذي انعقد في شرم الشيخ منذ أيام على أنه إنجاز لها، تخيلوا!! لأ وشهادة على الثقة في الاقتصاد المصري، يا نهار أرزق ما لو لم تكن سلفة وقروضاً وشحادة!! حتى والحكومة تشحت عايزة تقولنا إن الشحادة إنجاز...!! وبعد سنوات من إذلال الشعب بأن اقتصادنا قوي ويطوى وأنا لن نحتاج القروض مثل أيام زمان الجربانة الفقرانة وفي الوقت نفسه كنا نقترض ثم فتحنا على البحري ودخلنا في الجامد ونقترض بشدة وبشروط وبلهفة وبتقبيل العتب ونستضيف في شرم الشيخ مرابي الاقتصادي العالمي ثم يتم ترويح أن هذه الأموال القادمة من الدول المانحة هي منح وقروض!! وهذا يشبه تمامًا أن أقول أنني وعدنان خاشوقجي نملك مليار دولار و ٢٢٠ جنيهاً

مصريًا، وحقيقة الأمر أن خاشوقجي مثلاً هو الذي يملك المليار أما فأملك الـ ٢٢٠ جنيهاً، فالحكومة تدمج المنح مع القروض حتى يتوه الأمر لكن الحقيقة أن المنح (وهي مشروطة ولها أوجه إنفاق محددة) تبلغ حوالي ٩٠٠ مليون دولار فقط بينما الباقي وهو أكثر من تسعة مليارات دولار هي قروض مطلوب أن نسدها بفائدة قد تضاعف إجمالي الديون في وقت سدادها، لكن هذا كله كوم والزن على دماغنا بأن اقتصادنا قوي ومتمين وأنها شوية أنفلونزا اقتصادية أو دور برد ويعدي، كوم آخر!! هل هذه معقولة وهل تخيل على شعب إلا لو كان لا مؤاخذه شعب أهبل أن الحكومة تقول إن اقتصادها قوي لدرجة أنها تستأنف وتقترض!! طيب نفهمها إزاي هذه الحكاية، عمرك سمعت واحدًا من زملائك يقولك الحد لله قوي يا أخي الواحد كان فين وبقي فين تعرف إن رصيدي في البنك دلوقتي بقي بالآلاف، تهنته وتستأن منه كي تمشي فيمسك في ذراعك ويقولك: والنبي ما الأفيش معاك ميتين جنيه سلف أحسن مزنوق قوي ومش عارف أدفع مصاريف العيال، ساعتها سوف تدرك أن زميلك ليس كذابًا بل مريض فعلاً وسوف تسلفه الميتين جنيه وتزود

خمسين أخرى من أجل الذهاب به لمستشفى دكتور يحيى
الرخاوي للأمراض النفسية!!

كم بهلوان في حياتنا إذن؟

هل حصل ورأيت بهلواناً.. أغلب الظن إن لم تكن قد رأيتَه في السيرك فقد رأيتَه.. آه رأيتَه فين..؟ يجلس على مكتب أمامك.. يحاضر على منصة.. يدرس في كلية يقود في حزب.. يخطب في مؤتمر.. يصرخ في تليفزيون.. يكتب في جريدة.. أم يا ترى يا هل ترى رأيتَه في المرأة.. انتبه قد تكون أنت هذا البهلوان.. وقد أكون أنا.. وربما نكون جميعاً في سيرك.. (حاسب ذراعك أحسن يأكلها أسد أو نمر.. حاول أن تخرج من القفص الآن.. خذ بالك لا تخرج بظهرك فلا أحد يعلم ما الذي يمكن أن تفعله فينا الوحوش التي نضع أيدينا في فكها وبين أنيابها من أجل أكل العيش!!)..

صحيح كم مرة ضببت نفسك وأنت بهلوان في شغلك وأمام رئيسك وتحت يد مديرك وأمام الضابط في القسم أو المرور.. وبين يدي مدرسك أو أستاذك في الجامعة.. أو مع زبون في محل أو كزبون مع صاحب محل..؟

كم مرة تضحك على نفسك وعلى الناس.. كم مرة نظيت الحبل أو مشيت على الحبل.. كم مرة ارتديت قناعاً.. وكم مرة خشيت أن تخلعه.. أو نسيت أن ترفعه.. أو نسيت أنك ترنديه؟

إذا كانت الحياة قد دفعتك إلى ارتداء القناع فعلى الأقل حاول أحياناً أن تخلعه لا لتحرقه لا تسمح الله وتمشي من غير قناع بل فقط لتغسله وتنظفه فالملاحظ هذه الأيام انتشار ظاهرة الأئففة الوسخة، لا بأس من الأئففة بس على الأقل تبقى نظيفة أو تظل قناعاً بوجه واحد إنما ليس معقولاً أن معظم الناس ترتدي في اليوم أكثر من قناع وربما تلبس كل ساعة قناعاً.. كفاية حرام!

بذكرني حديث البهلوانات والأئففة برواية مسرحية مريرة وموجهة كتبها سيد الكتابة العربية يوسف إدريس في زمن طين وعجين تعرض فيه لحصار من السلطة ورجالها وصحفيها ومسؤوليها، فإذا به يقدم نصاً مسرحياً رائعاً في شجاعته وعميقاً على فرط وضوحه، النص المسرحي حمل عنوان "البهلوان"س وهو منشور ومتاح للجميع لكن مؤامرة من الصمت تحيط به حيث يخشى عالم الصحافة والسياسة والسلطة من مواجهة نفسه في مرآة صافية صادقة قد تنتهي به إلى الفضيحة.. كتب يوسف إدريس في نوبة من الشجاعة والوجع تصديراً للمسرحية قال فيه (أي تشابه بين شخصيات هذه المسرحية وأحداثها وبين الواقع هو

من قبيل الصدف المحضة إذ أن واقعنا الحالي يفوق أي
خيال)، تبدأ أحداث المسرحية التي كتبها يوسف إدريس عام
١٩٨٣ بسيرك يستقبل بهلواناً جديداً لاختباره وهو زعرب
الذي يثبت نجاحاً فائقاً في الامتحان ونفهم من شروط الاتفاق
أنه لن يخلع قناعه طول ما هو في السيرك كما نعرف
أن تنظيم بك صاحب السيرك يرفض أن يراه أحد وسوف
يتلقى الأوامر منه دون أن يتعرف عليه، أما مدير السيرك
فيفاجئنا بسؤال زعرب البهلوان: إزاي واحد محترم زيك
يا حسن بك رئيس تحرير قد الدنيا ومشهور جداً وإشي إذاعة
وتلفزيون وتعليقات وأحاديث.. راجل زي ده.. إيه يخليه
يوطي نفسه ويشغل بهلوان بالليل في السيرك بتاعنا ده؟
فيرد عليه رئيس التحرير حسن المهيلمي: عشان أتوازن..
ننتقل بعد ذلك إلى مكتبه في جريدة الزمن لنراه في حالة
عبث مع سكرتيرته كذلك يملها مقالاً افتتاحية في مهاجمة
روسيا ثم يتلقى تعليمات جديدة بمهاجمة أمريكا فيبدل كلمة
روسيا بأمريكا ويظل المقال هو نفسه، في منزله نجد زوجته
قلقة من حكاية خروجه كل ليلة غير عادته فيقنعها أنه ذاهب
إلى الجريدة للطبعة الثالثة وهو يشكو لها من متاعب منصبه

فترد عليه قائلة (مش دي الشغلانة اللي حفيت عشانها؟ مش الشغلانة اللي خلتك تمسح جوخ وبلاط لكل حكومة تيجي؟ مش دي اللي خلتك تتافق طوب الأرض علشان توصل لها؟) يتذمر حسن رئيس التحرير من كلامها ويمضي إلى السيرك مواصلاً عمله الناجح والمبهر كبهلوان، لكن بعد فترة نكتشف أن منصبه إلى السيرك مواصلاً عمله الناجح والمبهر كبهلوان، لكن بعد فترة نكتشف أن منصبه كرئيس تحرير مهدد بالضياح حيث تبدل رئيس مجلس الإدارة من المحلاوي بك إلى الغرباوي بك وكان حسن قد هاجم الغرباوي بعنف وبخسة لصالح المحلاوي، يظهر علاء أحد الصحفيين الدوغري الشرفاء في مكتب حسن ليعلمه بتولي الغرباوي رئاسة المؤسسة فييدي حسن على الفور استعداده لخدمة الغرباوي وأمام دهشة علاء يخبره رئيس التحرير: بقى شوف يا علاء إحنا هنا بنخدم مصر، كده ولا مش كده.. وأي واحد تختاره مصر نحطه فوق رأسنا، يرد عليه علاء مشككاً أنه يخدم مصر.. فيرد رئيس التحرير حسن زعرب البهلوان: معاذ الله.. دا أنا باموت في الكرسي اللي أنا قاعد عليه ده والله باموت في الكرسي!! ده دمي بيتحرق وعندي

سكر وجاني ضغط دم وكله ده ليه؟... عشان مصر...، برد
عليه علاء بمرارة وكأنه يقول ما نريد جميعاً أن نتتيل نقوله:
مصر مصر تحيا مصر.. كل حاجة مصر مصر.. اللي
عملت مصر واللي سوت مصر.. حد شاف مصر دي؟ مين
مصر دي؟ كل واحد يقول مصر عايزة، مصر عايزة وكأن
مصر مش موجودة قدام عينينا، وشايفنها عايزة حاجات تانية
خالص!!

وبينما يعيش حسن رئيس التحرير أزمة استبعاده المؤقت
من منصبه فهو يواصل البهلوانية من أجل إرضاء الرئيس
الجديد والفوز بمنصبه من جديد في الوقت نفسه يمارس
عمله كبهلوان في السيرك على أفضل ما يكون ونسمعه يقول
في لعبة المشي على الحبل أمام الجماهير: "ماتخفش يا واد..
ده إحنا أساتذة في المشي على الحبل، ده الواحد مننا يتولد
ماشى على الحبل ويفضل ماشى عليه لغاية ما يموت وفي
الآخرة برده بيمشى على الصراط المستقيم والجدع يا واد هو
اللي ما يوقعش وأنت جدع، اللي بيسوق ماشى على الحبل
واللي ماشى بيسوق على الحبل.. المسئول على الحبل
والموظف متشعبط فيه رئيس التحرير على حدة دين حبل،

حبل إنما خازوق، حبل واقف إذا فضل عليه مخوزق وإذا وقع يتخوزق أكثر.. الكراسي عندنا حبال والبيوت حبال إذا سبت الحبل ومشيت على الأرض يقولوا عليك جبان أكيل عيش ورازقي وإذا انقطع بيك الحبل وانقطع عيشك يقولوا هو اللي غلطان مين اللي قال له يمشي على الحبل.. أيها الحبل كم من الجرائم ترتكب باسمك (فجأة ينطلق سائرًا فوق الحبل عابرًا إياه في براعة شديدة) "لعبة الحبل تفيده كثيرًا حيث يصل إلى رئيس مجلس الإدارة الجديد الغرباوي ليعتذر له عن تهجمه السابق: "غصب عني يا غرباوي بك والله غصب عني" فيرد عليه غرباوي: "أحد بيكتب غصب عنه" فيرد حسن رئيس التحرير البهلوان "آه توجيهات أنا يا باشا عمري ما كتبت إلا بتوجيه هو أنا مجنون أكتب من غير توجيه، أنا مؤمن إن فوق كل ذي علم عليم، والعليم أكثر يوجه العليم أقل" لكن الغرباوي الذي يأمره بمهاجمة رئيسه السابق المحلاوي بك يعود ليطرده من الجريدة بعدما كشفه للناس، ثم إذا بزوجته تكتشف أنه بهلوان في سيرك فيبرر لها ما فعله "ويعترف حسن: عشان أتوازن طول النهار بشتغل جد جد وشغلنا كله كذب كذب ولازم أكذب وأنا جد.. أبقى

جد جدًا وأنا بكذب، استحملت في الأول كان فيه هدف قدامي
أني أمسك الجرنال أبقى رئيسهم كلهم بالكذب بالذوق بالجد
بالعافية بمهاودة كل واحد على عقله بسكك الجن الأزرق
نفسه ميقدرش عليها وصلت وبقيت رئيس تحرير ولقيت
نفسي مش قادر أوصل بقي، خلصت، كل الكذب اللي عندي
خلص وكل النفاق اللي عندي خلص وكل الفهلوة والفبركة
والضحك على الذقون خلص، قلت أبقى بهلوان علني
وشغلوني في السيرك، أنا كان حاجة من الاثنين يا أفضل جد
زي ما أنا وأتجنن يا أفضل جد زي ما أنا الصبح بس وبالليل
اشتغل بهلوان "المفاجأة التي تنتظر حسن أو زعرب بهلوان
أن صاحب السيرك لم يكن سوى المحلاوي رئيسه القديم وقد
تحولت ملكية السيرك إلى الغرباوي الرئيس الجديد الذي
ينوي طرده كذلك من السيرك فيرد عليه حسن: عشان
صاحب السيرك بقي صاحب جرنال عملنا كنا بهلوانات،
فيجيبه غرباوي: والله انتوا اللي عشان بهلوانات عملنا ليكم
الجرنال سيرك، والسيرك جرنال!

وبتفاصيل عديدة تنتهي مسرحية البهلوان ليوسف إدريس
لكن المؤكد أن صاحب السيرك لا يزال هو نفسه أما البهلوان
رئيس التحرير فأكثر من الهم على القلب.. وانظر حولك!!

الخوافة والشيال

هبط الآن على رصيف ميناء دمياط، التقت حوله، تأمل
الوجوه بملامحها التي يراها لأول مرة، هو هنا كي يفهم تلك
الوجوه حين تبتسم وتغتم، حين تعبت وتهتم، يحاول أن يفك
رموزها ويغوص في أغوارها ويستكشف عقولها ثم يدخلها
لو كان هناك وقت (..) قطع صمته شيال اندفع نحوه في
حماسة وقال: حمدًا لله على السلامة يا خواجه، استغرب
الرجل من الشيال الهاش الباش كأنه ينوي حضنه، أضاف
الشيال: أنت جئت على مركب "بوميل".. مش كده يا خواجه،
شكلك مبيعرفش عربي لكن صبرك بالله همه شوية في البلد
دي وتتكلم عربي أحسن من سيبويه، هات الزكايب بتاعتك
هات، على فين العزم إن شاء الله، القاهرة وللا المنصورة،
شكلك رايح القاهرة..

كان الرجل مسافرًا فعلاً إلى القاهرة لكنه مكث في دمياط
قليلاً وسافر للمنصورة أيضاً، جلس على المقاهي وشرب
عناّب وينسون وضرب حجرين نرجيلة ودخل جوامع وزار
الحسين وعمرو بن العاص وقابل شيوخاً والتقى بأمرأ
وعسكر وتجرع خمراً غريباً في حانات فقيرة ولف ودار
وراح وجاء ونام وأكل وشرب ثم عاد لميناء دمياط..

ولا يعرف لماذا تذكره الشيال نفسه بعد عام كامل، حمل
الشيال أشياء وحاجات المسافرين الأوروبي العائد لبلاده وسأله
مازحًا: إنما اسم الكريم إيه؟

رد الخواجة مبتسمًا: والله أنت راجل عسل.. اندهش
الشيال: دا أنت عرفت عربي هو! عموماً نورت البلاد كلتها
يا خواجة، رد الرجل في هدوء كأنما يأتّمنه على سر: أنا
اسمي جودفري البويوني.. قال الاسم ببطء محشو بالسعادة
وحاول الشيال أن يردده معه مرة أخرى ليحفظه...

بعد عشر سنوات من هذه الزيارة عاد جودفري البويوني
إلى الشرق؛ فقط تغير الوضع قليلاً؛ من مجرد سائح ومسافر
إلى أول حاكم للصليبيين على القدس مملكة الرب!
كان هذا منذ ٩٠٠ سنة!

من حقاك تمامًا وأنت تشاهد الاستعداد الأمريكي بالسفن
وحاملات الطائرات والصواريخ وآلاف الجنود والوفود أن
تشغل بالك بالسؤال الحارق الخارق: هل هي فعلاً حرب
صليبية؟ خصوصًا وأنت ترى جنود الأفغان لا يزالون
يركبون الخيول ويجرون بين الرمال والجبال (بل وبعضهم
يمسك بالسيف كأن التاريخ لم يمر على أفغانستان)، يقسو

عليك السؤال: هل هي فعلاً حرب صليبية كما انفلت وقلت
بوش وقالها! سوف تسمع صوتاً يردد في رأسك كلام الناسة
والسادة الذين نفوا أنها حرب صليبية، صحيح كيف تكون
حرباً صليبية ولماذا؟ الحملات الصليبية كانت من دول
وإمارات مسيحية صليبية ضد دول وإمارات مسلمة بغرض
احتلال الأماكن المقدسة في فلسطين والقدس.. والآن كما
نعرف جميعاً الأماكن المقدسة أساساً محتلة!! فلا حاجة
للغرب أن يحررها وحليفته وابنته البكر الرشيد إسرائيل هي
المسيطرة على القدس ومقدساتها!! ثم إن الحملات الأمريكية
الآن بمشاركة ومحالفة من مسلمين ودول إسلامية مما ينفي
الصليبية عنها!! ذلك ما سوف تسمعه وشكله يخض ويدفعك
إلى تصديقك لكن المؤسف حقاً أنه ليس صحيحاً والحملات
الأمريكية التي تتطلق بعد ٩٠٢ سنة من الحملات الصليبية
هي صورة عصرية منها ونسخة مصححة ومنقحة ومزينة
وأمر التشابه والمشابهة بين الحربين الصليبية القديمة
والحديثة كثيرة ومفرطة في وضوحها!

الخطاب الرسمي الذي أطلقه البابا أوربان الثاني في
مجتمع كليرمونت (١٠٩٥م) وهو صافرة البدء السياسي

والديني للحملات الصليبية دعا إلى الاتجاه لأرض كنعان
التي تقيض لبناً وعسلاً... ويمكن بعد كل تلك السنين أن
نضيف لبناً وعسلاً.. وبترولاً ونفطاً!!

الصورة قبل الحملات الصليبية تكاد تشبه تمامًا الصورة
الآن، أمراء وملوك ومفكرون ودعاة (صحافة وتلفزيون
أيامها) متعصبون ضد الإسلام حضارة وشعبًا مع ترويج
دعايات مزرية عن الإسلام والمسلمين، بطرس الناسك عاد
من فلسطين ليقود حملة إعلامية ودعائية هائلة في جوانب
أوروبا مستغلًا بلاغته وقدراته الخطابية وشخصيته المؤثرة
والأسرة بملابسه البالية (زاهد بأه) ودأبه وتجواله وتصميمه؛
كانت حملته الدعائية والإعلامية قائمة على أن المسلمين
همج، ضد الحضارة المسيحية الغربية، متوحشون وسفاكوا
دماء، ضد الحرية (والديمقراطية) كان جهاز الإعلام قويًا
فاجتذب العامة والبسطاء حيث كانوا (ولا يزالوا) لا يعرفون
عن الإسلام شيئاً وانضموا إلى موجات الإعلام والدعاية
وصدقوا بطرس الناسك تمامًا حتى أنهم كانوا ينزعون
شعرات من حماره للتبرك به!! التقط الأمر كله أصحاب
نظرية صدام وصراع الحضارات (ما زالت أتكلم

عن الماضي.. لاحظ!) وقد تزعم مؤرخو ومفكرو بيزنطة وأوروبا الحزب الذي يروج لتلك النظرية حيث (التهديد الإسلامي للإمبراطورية الغربية) وأن الإسلام دين العنف والقسوة والدموية!! ألا تشعر بشيء قاس من الشبه بين زمن الحملات الصليبية وزمن الحملة الأمريكية حيث المطاردة والاضطهاد الأمريكي والغربي للمسلمين هناك والالتصاق الحاد بين صورتي المسلم والإرهابي الدموي الانتحاري القاتل وعشرات الكتب والأفلام وآلاف المقالات والكتابات التي تتعامل مع العرب والمسلمين باعتبارهم الخطر والتهديد على الغرب وحضارته، من فترة ليست قصيرة وتتردد في الأصداء الغربية والأمريكية - قبل أي اعتداء على المركز التجاري والبنّاجون - فيما يشبه النبوءة أو الترصّد أو التصنيع عبارات الإسلام العدو الأخضر وأن الإسلام هو العدو الجديد بعد زوال الشيوعية ولم يكن ذلك يصل للمواطن الغربي على أن المقصود هو التطرف الإسلامي بل كان يصل بوضوح (ولعله كان المستهدف فعلاً) على أنه الإسلام عموماً وإجمالاً فكان طبيعياً أن تحتشد الشعوب هناك في انتظار اللحظة التي تسمح لهواجسها ومشاعرها وأفكارها

الدفينة أن تظهر!! ألم يقل بوش (ولا عذر لجهله فأكثر من ٩٠% من الأمريكيان راضون عن ذلك الجهل) في خطابه أمام الكونجرس (لعله مجمع كليرمونت الجديد) أن الإرهاب (الإسلامي طبعاً) يهدد أمريكا لأن الإرهاب يكره الحرية والديمقراطية والسماحة!! ومع ذلك فالمواطن الأمريكي والأوروبي لم ينتبه لمحاولات بوش الدؤوبة للإفلات من اتهام المسلمين وتجاهل المواطنين المتعصبين (والمتدينين والطيبين وهذا هو الخطر) مراوغات بوش وغيره وحرقت بعضهم المساجد وقتل بعضهم المسلمين فهل كان بوش صادقاً فيما قال أم أن الجمهور كان نبيهاً حين سمع؟! الحقيقة المخيبة للآمال أن حادث الثلاثاء الدامي في أمريكا لم يفجر العداء للإسلام والمسلمين بقدر ما أزاح الغطاء عن العدو الموجود والمحفور في الثقافة الغربية والأمريكية وكشف عن روح متعصبة وعنصرية مخبأة تحت جلد الثقافة الغربية الزاعمة للتبوير والتحضر!

لعلنا ندرك ذلك التشابه الذي يجمع الروح الفكرية والثقافية قبل الحملات الصليبية والأمريكية رغم ما بينهما

من فارق زمني يصل إلى أكثر من ٩٠٠ عام كأنها لم تغير شيئاً وكأن أحداً لم ينس أو يتناسى!

نذرت جماعة فرسان الداوية نفسها لمحاربة المسلمين أثناء الحملات الصليبية إلى الدرجة التي أطلقوا عليها لقب رهبان الفروسية، المفارقة أن هؤلاء (رهبان الفرسان) أصبحوا بعد سنوات من الحرب صيارفة وملاك ومدراء بنوك!!

هنا يبدو الترابط الوثيق بين الدين والتجارة، بين الاقتصاد والحرب، لقد كانت أوروبا قبيل الحملات الصليبية تتصارع من أجل الفوز بتجارة الشرق والتي كان العرب والمسلمون مصدرها ووكيلها في المنطقة، نشب طموح (تحول إلى صراع) للحصول على وكالة الثروة إلى الحد الذي جعل تجار مدينة البندقية (وهي الأشهر والأهم وقتها) يرفعون شعار (نحن بنادقة أولاً ثم مسيحيون ثانياً) الأمر واضح بيزنس از بيزنس يا خبيبي؛ هناك ثروة في يد شوية بهائم (من وجهة نظرهم) لا بد من السيطرة عليها وتدويرها لصالح الأيدي الغربية لذلك أتمنى أن تجمع تلك الخطوط مع الأهداف الأمريكية في الحملة الأمريكية حيث الرغبة في

السيطرة على منطقة في العالم هي بحر قزوين المرشحة لإنتاج بترول هو الأغرر والأعظم في المستقبل، ثم وضع كذلك كل الخطط المطلوب تنفيذها لضرب العراق وإسقاط بغداد مع السيطرة الكاملة والمطلقة على مناطق البترول والطاقة في العالم وجود الأزرع الطويلة للولايات المتحدة في آسيا والجزيرة العربية في تطويق محكم لأي بزوغ إسلامي محتمل والوقوف على باب الصين وانتظار خروج التتين من بوابة السور!!

كان الإقطاع في أوروبا مسيطراً وقت الحروب الصليبية وهناك قطاع ضخم من البشر على وشك التذمر والمعارضة للنظام الحاكم (حاول أن تتصور معي أنهم معارضو العولمة ومناهضو الاستغلال الذي لا يبد من إنهاء نفوذهم وإشغال الناس عنهم وإسقاط مزاعمهم) وكان هناك صناعة عسكرية ضخمة قوامها الفرسان أولئك بلا أرض أو ثروة وفي نفس الوقت جهاز معبأ ومتميز في حاجة لتجربة أسلحته وخططه وشجاعته مع الفوز بثروة ونفوذ وسلطة (لعلها الآن شركات ومؤسسات السلاح في أمريكا) وأظن الشبه واضح والشبهة واردة!!

**

ما الذي يجعل بوش يخوض حرباً صليبية على أفغانستان؟ تدفعه أفكار ونظريات فكرية وسياسة أساسها التفوق العنصري والحضاري الذي يدعيه الغرب مدفوعاً بأن الإسلام الخطر القادم مشفوعاً بالرغبة في السيطرة على منابع الثروة ومؤكداً على أحقية الأمريكان بحكم العالم (ألم تشهد بوش وهو يتحدث في خطابه عن أمريكا الأمة العظيمة كما يتحدث عن إله العصر الحديث)!

الحقيقة أن الحملات الصليبية قدمت أسبابها المعلنة للجميع هو هذا الإرهاب الذي تعرض له الحجاج المسيحيون (الواضح أن المضايقات التي حدثت كانت خلال الطريق للأماكن المقدسة وليس فيها ومن مارقين عن الدويلات الإسلامية) وهو تقريباً نفس السبب الذي يعلنه بابا السياسة الصليبية جورج بوش من تعرض المدنيين الأمريكان لإرهاب من فريق مسلم، وكما قرر الصليبيون معاقبة الملايين من المسلمين بالغزو ثم ما يشبه الإبادة في القدس، قرر بوش في حملته الجديدة معاقبة ملايين المسلمين بالغزو وما هو مرشح للإبادة، فضلاً عن قرارات من نوع تدمير

العراق (عملت إيه لا أحد يعرف.. لكن بوش يريد دمًا عراقيًا) وضرب حزب الله وقواعد مقاومة الابنة المدللة إسرائيل.. وهكذا نفس الصلف والعدوان والاستعمار والاستخراب؛ واضح تمامًا أن أفغانستان أول القطار وأن أجنده غزو العالم الإسلامي وارده وقادمة؛ هنا تبرز الحملات الصليبية في أعتى صورها على الصعيد الإسلامي والعربي وبعض الذين هادنوا وتحالفوا مع الصليبيين مقابل ألا يدمر الصليبيون مزارع الفواكه وأشجار العنب.. آه والله العظيم حصل!!

**

من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني.. التعبير الإنجيلي الذي استخدمه بابا الصليبيين لإطلاق السهم الأول في الحرب الطويلة وهو تقريبًا الهادي المرشد لصيحة بوش "من ليس مع أمريكا فهو مع الإرهابيين"! وقد وجد الصليبيون معارضة ومهادنة الشرق من بضع مسلميه ومسيحييه، عربًا وأتراكًا وسلاجقة!

كان الوطن العربي والإسلامي ممزقًا كالعادة؛ إمبراطوريات مفككة الأوصال (والمفاصل)، دولاً مشردة

ومشركة؛ حلب؛ حمص؛ الموصل؛ بيروت؛ عكا؛ حيفا؛
القاهرة؛ دمشق؛ كلة على كلة؛ يحاربون بعضهم ويقتتلون
فيما بينهم، دخل الصليبيون بعد حصار طويل إنطاكية ثم
بدأت الدول تسقط وتتساقط تحت سنابك وبنادق وقنابل
الصليبيين وبدأ كل أمير يطلب الأمان؛ أمير يصلحهم على
أساس تقديم بعض المرشدين والإمدادات في مقابل عدم
التعرض لأراضيه (التعاون المخبراتي والأمني)، وآخر
يصلحهم على مال يدفعه لهم، وثالث (خذ بالك من تلك
والنبي) يصلحهم على أن يكون لهم ظاهر "خارج" المدينة
وأن يكون له داخلها".. فاكرين اقتراح باراك" فوق المسجد
الأقصى يبقى لنا وتحتة لليهود وعندما مر الصليبيون بمدينة
(دويلة) أصاب أهلها الرعب من هدم الحداثق والبساتين
فسمحوا لهم بالمرور وتسليمهم معونات وهبات مقابل عدم
المساس بالشجر أو هدم تكعيبات ومزارع العنب! أما أحد
الحكام فوعدهم بتسليم مملكته لو تمكنوا من احتلال القدس!!
كله دخل التحالف..

ودخل الصليبيون القدس، حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة
لاتينية سموها (معبد السيد) وحولوا المسجد الأقصى إلى

"معبد سليمان" وقسموه إلى ثلاثة أقسام، الأول كنيسة والثاني مسكن للفرسان والأخير مستودع لذخائرهم، أما الأنفاق تحت المسجد فقد تحولت إلى إسطبل للخيول!

واجهت الصليبيين مشكلة حقيقية هي كيف يتخلصون من الجثث (قد تواجه المشكلة نفسها قوات التحالف الدولي الأمريكي) من هو القادر على رفع الجثث بالدم النازف والمتخثر والأعضاء المنزوعة والعيون المفقوءة والبطون المثقوبة والأمعاء المتدلّية والجلود الممزقة والوجوه المحروقة والمشوهة. من يجمع ويتخلص ويدفن؛ انتزع الصليبيون عددًا من المسلمين الأسرى والجرحى وصرخوا فيهم أن يلموا جثث أهلهم وعائلاتهم وأبنائهم؛ يحملونها على أكتفاهم وبين أذرعهم ويمضون بعيدًا حيث المدافن تسع الموتى مع الأحياء!

هي حرب صليبية كما تورط أو تردد جورج بوش فالحاصل أن الحملة الأمريكية تدفعها فكرة الانتقام وتزكيها روح التعصب والغطرسة والاستعلاء، وتحتشد في قوة رهيبة للفتك والتدمير يأخذ العاطل بالباطل البريء بالمشتبه، الشعوب بالحكومات، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني لا

يستحقني، ويا ويله وسواد ليل أمه من لا يقف مع أمريكا،
وهي حرب عالمية كونية بلا نهاية، تسعى للعدالة المطلقة
(..) وتحارب التعصب والإرهاب لصالح الحضارة والحرية
(اسم النبي حارسهم) وبالصدفة مسيحيون غربيون (يتعاون
معهم شرقيون) يحاربون مسلمين وعربًا!! يا محاسن
الصدف!!

لا أحد من هؤلاء يحج.. إنهم يشترون
الجنة!

هل الناس دي فاكرة إنها تضحك على ربنا؟
لو فتشّت في لصوص البلد كلهم وبالذات الكبراء
المأصلين لوجدتهم حجاجًا يا سيدي، لأ وكل سنة يحجون مما
يبدو معه أنهم لا يطلبون المغفرة بل يحاولون شراءها،
وتتذكر بالضبط عصور الكنيسة الأوروبية في القرون
الوسطى حين كانت الكنائس تبيع صكوك الجنة للأغنياء
والأمراء!!

يتكرر الأمر نفسه الآن في الحج إلى بيت الله الحرام الذي
تحول إلى كلمة سقيمة ومكروهة (وصادقة تمامًا) وهي
السياحة الدينية!! كل حرامي أو رقاصة أو لا مؤاخذه وكل
نهاب قروض أو مرتشي أو تاجر مخدرات أو مستغل من
تجار الطب أو السياسة أو الرياضة تلاقيه مسافر كل سنة
الحج السياحي الفاخر السريع (أسبوع وقلب) كأنها صفقة
يخلصها أحدهم مع الله، بيزنس ديني، أنا أسرق البلد
أو أرقص طول السنة في كباريه أو مؤتمر أو جريدة
أو برلمان، وفي عشرة أيام من ذي الحجة أخطف التوبة
وأعمل فيها الخضرة الشريفة أو الأخضر الشريف!!

ليس هناك انتهازية أكثر من ذلك؛ هذه الأيام تسأل على أي واحد من مشاهير السياسة والمال والأعمال وفناني الفيديو كليب تلاقهم بيحجوا تمامًا كما تسأل عنهم في الصيف تلاقهم في مارينا (بيعموا في مكة ويحجوا في الساحل الشمالي)!!

يبحث الكثيرون عن سر اثنين مليار دولار (حوالي عشرة آلاف مليون جنيه مصري) ينفقها المصريون سنويًا على الحج والعمرة وزيارة الأماكن المقدسة، والأرقام تشمل ٧٠٠ ألف معتمر سنويًا منهم نصف مليون في شهر رمضان وحده، وسبعون ألف حاج (الإحصائيات نقلًا عن موقع مؤسسة الأهرام على الإنترنت) والسؤال ما سر هذه الأرقام المبهولة؟.. أقول لكم أنا السر:

من الوهلة الأولى تظن مع هذه الأرقام شيئين، الأول أننا صرنا شعبًا من الملائكة مبيزلش عن سجادة الصلاة، منتهى الإيمان والتدين!! وقمنا بفرائض ربنا كلها ثم استطعنا إلى الحج سبيلًا، بالدولارات والريالات ولكن العجيب والغريب أن هذا غير حقيقي بالمرّة بل نحن نعيش هذه الأيام فترة من أكثر فترات حياتنا انحلالًا وتفككًا ومسخرًا أخلاقيًا.. بل نحن

نحيا في كبارهه اقتصادي وأخلاقي وسياسي وكلنا يعرف ماذا يحدث في الكباريه!

هل ترى انحلالاً أخلاقياً في المجتمع المصري خلال الخمس سنوات الماضية؟ لعل هذا السؤال الذي ظهر على موقع "مصراوي" على شبكة الإنترنت في استطلاع مهم يلقي ضوء على تلك الحالة التي نعيشها وبيانت تستدعي السؤال ملحاً وملحاحاً!! والإجابات جاءت حرة فالمشتركون في الاستطلاع أحرار تماماً أمام شاشة الكمبيوتر وليسوا مطالبين بكذب أو نفاق مثل استطلاع الصحف الحكومية أو غيرها، كما أن معظم المتعاملين مع الإنترنت في مصر ومع هذا الموقع تحديداً من الشباب تحت الثلاثين بما يعني مدى اقترابهم من عصب هذا المجتمع واندماجهم مع شرائحهم من الشباب الذي ربما لا يعرفون كثيرون عنه شيئاً، بم أجاب هؤلاء الثمانية آلاف مواطن، لقد أجاب ٨,١٦% قائلين لا، بينما كان هناك ٩١,٨٤% رأيهم أن المجتمع يشهد انحلالاً أخلاقياً!! إجماع وأغلبية على رأي دكتور فتحي سرور دام عليه سروره!

والشيء الثاني الذي قد توحى به إحصاءات عدد الحاج والمعتمرين وما ينفقونه من مليارات أننا صرنا شعباً غنياً ومرفهاً ومكتفياً من الحاجات الأساسية ومن ثم وجد الوقت والمال الذي يجعله يحج ويعتمر بهذه الكثرة وبهذا التكرار!! والواقع دون أن نضيع جهداً في الأدلة هو عكس ذلك تماماً فالمصريون في أزمة مالية مريعة وخانقة والجميع يعترف بها ما عدا السيد عاطف عبيد والسيد من حقل السباخ!

إن ما سر كل هذا الحج.. وما سبب كل تلك العمرات؟ لا سر ولا حاجة.. هؤلاء يشترون صكوك الغفران.. ناس ترتع في البلد استغلالاً وفساداً مستتراً أو ظاهراً (أليست الآلاف التي يطلبها طبيب في عملية أو المئات في كف أو معاملته المواطنة والمشبوهة مع شركات الأدوية.. أليست فساداً مستتراً؟.. لقد ذكرت الطبيب مثلاً وهو من أكثر الأيدي نظافة فما بالك بغيره!!) ثم يحاولون أن يغسلوا ذنوبهم بالدبلة الفضة والسبحة التي صارت ظاهرة كالتيمية في يد الجميع وتسبيلة العين حين الحديث عن العودة من الحج أو ذكريات الطواف حول الكعبة وبقايا الرأس الحليقة وسجادة الصلاة على كرسي في ركن من غرفة مكتبه

ويكلمونك عن التجديدات الفظيعة في الحرم!! إنهم يضعون مساحيق التدين وسفريات الحج ستارًا لإخفاء الذنوب المتوحشة والوحشية التي يمارسونها بالرشوة والفساد والإفساد والنصب والنهب والاستغلال ومص دماء الغلابة وأكل عقولهم وهضم أقواتهم، ثم الكارثة الآخرة إنهم يصدقون أنفسهم ويعتقدون أن الحج قد طهرهم وأبعد عنهم الرجس، تمامًا كما يغسلون أموالهم السوداء فإنهم يتصورون أن الذنوب يتم غسلها بالحج والعمرة والتدين القشري والتطهر الكاذب بالبكاء على يد شيخ أو التصدق بمال (حرام) لليتيم هنا أو مريض هناك، إنه نفاق ديني لا شك فيه يشتري فيه الغني الثري المغفرة برحلات سياحية إلى الحج والعمرة وربما يؤجر من يطوف له أو يرمي الجمرات نيابة عنه وهو يجلس في فنادق مكة الفاخرة باهظة التكاليف المعدة لأعيان قريش وحجيج معاوية وتجار يثرب.. بينما التوبة النصوح والقبول الحسن للحج هو بالنية الصادقة لحاج ينام على مرتبة في خيمة رخيصة مع عشرات من فقراء أمته وبسطائهم الذي يكتفون فقرًا وليس زهدًا بالجبنة القديمة التي أحضروها من قريتهم وبالعيش الناشف المخزون في حقيبة

بلاستيك لحاج صعيدي كل أمنيته أن يعود من الحج مبرورًا
وحاملًا بطانية من السعودية لابنته في البلاد، بل وأكثر من
ذلك فإله يغفر ويقبل دعاء وتوبة من رجل يصلي على
حصير في زاوية أو مصلية على ترعة بدون حج متى صدق
وصدقت!

كان أحد التابعين الأجلاء يحج عامًا ويجاهد عامًا وفي
عام الحج خرج ليلة السفر في صحبة أهله وجيرانه
ويودعونه في طريقه لمح امرأة تتحني على دجاجة ميتة
وتخفيها في ثيابها وتمضي، ارتجف قلبه وارتعد فؤاده فترك
صحابته واقترب منها: مالك يا خالة؟؟ نظرت إليه في دهشة
وتهكم: والنبي اتركني ودع الخلق للخالق، فقال لها ملحًا:
أستحلفك بالله أن تخبريني عن سبب ما فعلته، فقالت له
مستسلمة دامعة: أنا أم لأربع بنات يتيمات ينسانا الناس
ونجوع وقد أحل الله لنا أكل الميتة، فأخرج الرجل مائة دينار
كان قد خصصها للحج أعطاها للمرأة وقال لها أصلحي بها
شأن بناتك، ثم قعد ولم يحج.

بينما تحولت هذه الشعيرة إلى حالة سفه في الإنفاق ونفاق
في الدين وإسراف في الأموال وتزييف في الإيمان وأظن أن

حجة واحدة للمرء خير وأبقى من حجج كثيرة تدفع إلى ذنوب تالية أكثر تحت توهم أن الحج يغفر ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، فضلاً عن أن المال الحرام لا حج منه ولا حج فيه وهو حُجّة على صاحبه وليس حجة لصاحبه، وكنت أتمنى أن أقول دعوتي صريحة بمنع تعدد مرات الحج على فداحة دعوة مثل هذه (وربما على محاذيرها الدينية) توفيراً لآلاف الملايين من الجنيهاً لكن الحق أن الأموال المنهوبة والمليارات المسروقة أكثر من أن توفر فيها من حج وعمرة ونصائر على شريعة من شعائر وأركان الإسلام العظيم خصوصاً والمرء على يقين أن الحكومة ليست راشدة ولا رشيدة بحيث إن توفير أموال الحج والعمرة قد يعزز اقتصاداً بل على العكس قد يعزز فساداً، لكنني فقط أتنبه مليونيرات مصر في حجتهم الغزيرة الباهظة أن الوطن الآن يأكل مع بناته اليتيمات الدجاج الميت!!.

مصر تلعب مع الأرجنتين!

لا تبذل مجهودًا كبيرًا في فهم أو تصديق أو تكذيب
تصريحات الحكومة فالأفضل أن تتجاهلها ولا كأنها قيلت أو
انسمعت؛ فقد رزقنا الله منذ سنوات بحكومة عصبية وجادة
حتى الجهامة تحولت الآن إلى حكومة مبتسمة على الفاضية
والمليانة حتى البلاهة!

لكن لو كنت تأخذ هذه الحكومة مأخذ الجد فأنت حر
وذنك على جنبك والاحتمال الوحيد الذي نضمنه هو أنك
سوف تمسك شعرك منكوشاً بعد قليل وتجعل عينك حواء
وتقلد عبد الفتاح القصري وتقول كتاكيت كتاكيت أنا عايز
كتاكيت!! والمؤسف أن الحكومة لا تملك إلا البيض أما
الكتاكيت فربما تجدها في الأرجنتين! لكن ما علاقة
الأرجنتين بالأمر وبحكوماتنا وكتاكيتنا؟

أعرف أنك مثلي تقلق أول ما يبدأ أحدهم في التليفزيون
الحديث عن السقوف الائتمانية وعجز الموازنة ومعدل
التضخم وتشعر ساعتها أنه سيضحك عليك ويستغفلك، ومن
ثم فلنجعل الأمور أبسط لك ولي فمؤكد أنك قرأت عما جرى
في الأرجنتين الأيام الماضية أو تسقطت خبراً أو اثنين هنا
أو هنا عن الأرجنتين والأزمة الاقتصادية الطاحنة التي

انفجرت هناك حسب ما كتبه الصحف الأجنبية "عن موقع الجزيرة على الإنترنت" وبالنص (لقد جن جنون الشباب الذي اختلق تحت أثقال الأزمة المالية وخرج الآلاف إلى الشوارع احتجاجاً على سياسات الحكومة الاقتصادية ولقي ٢٦ شخصاً مصرعهم وجرح ما يزيد على ٢٥٠ آخرين كما تم اعتقال ٢٠٠٠ متظاهر واشتبكت مجموعات من الشبان مع الشرطة في مواجهات عنيفة في غضون ذلك استقال وزير الاقتصاد دومينو كافالو كما استقال أعضاء الحكومة وأعقب ذلك استقالة الرئيس الأرجنتيني بجلالة قدره (جلالة قدره من عندي أنا!) وخرجت الأوضاع عن السيطرة.. بعد أيام أعلن البلد إفلاسه تقريباً!

بالصلاة على النبي المختار ما علاقة هذه الأحداث بمصر وحكومة مصر؛ أولاً في مصر لا أحد يتظاهر أساساً فهذا الاختراع لم يدخل مصر وكله قاعد في بيته على الكنبه ومركز في المسلسل (هل عدت الأرجنتين المسلسلات؟) ثم في مصر لا يوجد وزير يستجري يستقيل وعندنا ممكن نغير دمنا ولا نغير وزيراً (بعينكم) هذه حقائق اختلافنا عن الأرجنتين (فضلاً عن أننا في الدرك الأسفل من النار في

كرة القدم وهم زعماء العالم فيها!) لكن فيما عدا ذلك فنحن نشبه الأرجنتين تمامًا في وضعنا الاقتصادي فنحن من أتباع مولانا الإمام الصندوق (صندوق النقد الدولي) وممن ينفذون كالصلاة والعبادة تعاليمه وآياته الاقتصادية البيئات!! ونحن مثل الأرجنتين حيث كله في الخصخصة يابا وكساد وديون وتضخم وانهيار للعملة الوطنية وطبعًا قطعًا فعلاً فساد للركب وللمفاصل وللرقبة وبيت اللوح! وبطالة عالية والقصة المسيلة بتاعة نعوم الجنيه وللا نغرقه وللا نركبه فلوكة وللا نثبته وللا نمسره والأهم من ذلك كله سياسات مالية متضاربة ومتناقضة أدت إلى ارتفاع فوائد الديون ثم العجز عن تسديدها! فهل يقترب اليوم الأرجنتيني على مصر؟؛ سيقولون لك إن ديون الأرجنتين بلغت ١٤٤ مليار دولار لكن نحن والحمد لله الذي لا يحمد على ديون سواء بلغت ديوننا... آه بلغت كام لو رجالة اتفقوا على رقم فالحاصل أن الحكومة من لسانها تقول إن الديون ٢٦ مليار دولار لكن مولانا الصندوق (النقد الدولي) والعارف بالله البنك الدولي يقولان أن ديون مصر بلغت ٣٢ مليار دولار وقد أتحتنا الحكومة بزيادة هذه الديون مؤخرًا بـ ١,٥ مليار دولار (حين باعت

سندات في الخارج كأنها كمبيالات تكتبها بالفايظ لمرابي مقابل فلوس فورية لفق زنتك والله أعلم من اشترى.. صهاينة أو غيره) ثم أضافت حكومتنا المبتسمة دائماً حيث إن فشتها عايمة فاستدانت زيادة على ذلك ١,٥ مليار دولار من صناديق مالية عربية وأجنبية وإذا كنت تعرف في الحساب فقد صارت ديون مصر ٣٥ مليار دولار والسؤال: هل نستطيع تسديدها؛ الإجابة: وأنا مال أهلي أسأل الحكومة؛ أنا مهمتي أكمل لك الحقيقة وهي التي تكشف أن مصر الاقتصادية تتحدث عن نفسها، لكنني أسمع وأنا صغير عن أن الدول تسدد ديونها من عائد إنتاجها وصادراتها!! عموماً خذ عندك هذا السؤال ما الذي ننتجه ونصدره بم تشتهر مصر من حيث الإنتاج والتصدير؛ حد عارف أو فاكّر أكثر من البترول والقطن وما حفظناه زمان في درس ابتدائي ولا أي شيء آخر فالحقيقة أن صادرتنا حسب كلام الحكومة بلغت عام ٢٠٠٠ بالضبط ٥,٦ مليار دولار مع مراعاة أن أسعار البترول كانت في العاللي قبل ما تسقط في الحلبه مؤخراً؛ (أعتمد في الأرقام على الباحث الكبير أحمد النجار مدير تحرير التقرير الاقتصادي الاستراتيجي - الأهرام)

طيب وكم بلغ حجم الواردات أو ما استوردناه من الخارج في نفس الفترة وصل حسب كلام البنك المركزي ١٧,٥ مليار دولار أما الإخوة في الصندوق (النقد الدولي) فرأيهم دام فضلهم أننا استوردنا حاجة بتاعة ٢١,٧ مليار دولار أي أننا نستورد أربعة أضعاف ما نصدر!! بالذمة كيف نسدد ديوننا بهذه الطريقة في زماننا اللي مش فايت! منين يا سحرة ثم من حقك أن تقول ساعتها وهيه الحكومة قاعدة ليه؟ وأقولك حلو قوي نزلها أنت يا فالج واقعد مطرحها لو تمكنت؛ ثم هو أنت لسه عرفت حاجة؛ أتفضل يا سيدي هناك شيء اسمه احتياطي البنك المركزي وهو المبلغ الذي تعينه مصر للزمن لو اتزنتت في عملية قلب أو جراحة ورم في المخ ولا زرع كلى بيقوا قرشين حايشاهم للظروف (سيقول لك خبراء الاقتصاد كلامًا أكاديميًا في تعريف الاحتياطي الذي ينقذ البلد في حالة نقص سيولة أو أزمة سداد ديون وخلافه وهي أشياء تساوي عمليات القلب والكلى كما قلت لك بالضبط) المهم هذا الاحتياطي كان ياما كان من سنة أو اثنتين كما قالوا لنا ٢٢,٥ مليار دولار لكن نتيجة سياسات رشيدة وتقيدة لحكومتنا نقص الاحتياطي إلى ١٤ مليار ومصادر ولاد خالنا

في مجلة الأيكونست الاقتصادية الشهيرة تقول إن
الاحتياطي تراجع عندنا وبلغ ١٢,٩ مليار دولار يعني بعون
الله أخذوا من التل وها هو يختل عيانا بيانا!

الحقيقة أن السبب العميق الذي يقف وراء أزممتنا التي
ربما تصل قريباً للمصير الأرجنتيني من غير مظاهرات أو
استقالات؛ أن الذي يتولى أمرنا أناس لم نخترهم ولم ننتخبهم
ولا نريدهم فضلاً عن أننا لا نملك أن نحاسبهم إلا في رسوم
الكاريكاتير فقط؛ كما أن السياسات كلها سواء اقتصادية أو
سياسية تهدف إلى إرضاء ثم إشباع طبقة رجال الأعمال
وحلفائهم في الحكومة فأنت لو فكرت تقترض خمسين ألف
جنيه من بنك لطلعوا عين اللي خلفوك ضمانات واشترطات
والتزامات من أجل أن تقترضهم وربما يأخذ منك الموظف
المسئول عشرة آلاف نصيبه هو والزملاء مقابل إتمام
القرض؛ أما لو فكر رجل أعمال في اقتراض خمسمائة
مليون جنيه لجلس في مكتب رئيس مجلس إدارة البنك
وشرب القهوة وخرج بأربعمائة وخمسين مليوناً حيث إن
الباقى للمدير وللزملاء!!

ولأننا لا نستطيع أن نحاسب هذه السياسات التي ترفع
من سنوات طويلة شعار الإصلاح الاقتصادي (حلاوتك في
الاقتصاد يا بت يا إصلاح!!) ولأننا كشعب وكمواطنين أعجز
من أن نغيرها ونحن كمعارضين أهش وأضعف من أن
نعريها ونفضحها ولأننا كلنا على بعضنا أغلب من أن
نصرخ ونغيب ونقول لهم قاعدين ليه.. غوروا من قدامنا!؛
لأننا لن نفعل ذلك ولا نقدر عليه فما رأيكم بدل ما يروحوا
همه ويقوموا من قعدتهم على نفسنا نفاجئهم ونقوم إحنا نمشي
ونغور بعيدًا عنهم ونهاجر أو نتسمم أو نتحرق بجاز ويبقوا
يدوروا بعدها على شعب يحكموه!!

الأمة العربية ونكبة ١٤٨؟

في تونس تخيلوا ١٤٨ مواطناً فقط قالوا (لا) في استفتاء
أخيراً على تعديلات الدستور هناك أهم ما في التعديلات إياها
أنها تسمح لرئيس تونس أن يصبح مثل باقي زملائه في
الوطن العربي رئيساً مدى الحياة! ولينضم رسمياً إلى نادي
مدى الحياة الذي يرأسه الأخ معمر القذافي وهو الرئيس
الوحيد الذي بصر على أنه أخ رغم أن زمانه بقى جد!!

١٤٨ مواطناً فقط في البلاد كله على بعضه قالوا لا بينما
قال ملايين نعم ونعمين!، وهكذا يمكن تحويل اسم تونس من
الجمهورية التونسية إلى جمهورية نعم!!

ورغم أنني أظن - والله أعلم - أنه لو كان الإمام العادل
الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قد ترشح لرئاسة أي دولة
عربية سوف يقول له كلمة (لا) أكثر من ١٤٨ مواطناً!! لكن
تعمل إيه أدي الله وأدي حكمته أن يكون الشعب العربي
مذلولاً أمام حكامه ويتم تزوير إرادته بكل وقاحة وقلة حياء!!
من هنا يندھش المرء مما يثرثر به بعض مسئولينا العرب
عن ضرورة إجراء السلطة الفلسطينية لإصلاحات سياسية
داخلها ومحاربة الفساد المستشري فيها، فالحقيقة أن السلطة
الفلسطينية سلطة عربية تمام فيها ما في كل السلطات العربية

من طغيان وفساد سياسي ومال وتزوير وتزييف وكذلك
تقديس الحاكم وتأليه الرئيس!، ومحاباة ونفاق وسرقة علني
وحرامية على مقاعد السلطة وعائلات حاكمة كسبانية ومروقة
وشعب طالع عين اللي خلفوه فقران ولا يجد اللقمة، السلطة
ال فلسطينية مثل باقي أخوتها السلطات العرب تتمحور حول
إله كان اسمه في السابق رئيساً أو حاكماً، والآن صار الحكيم
الزعيم طبقاً لتوجيهاته وتحت رعايته ووراءه يمشي الشعب
والوزراء والمجالس النيابية والمقاعد السياسية والأرائك
الحزبية كالقطيع أو أسوأ!!

وهناك في السلطة الفلسطينية كما في كل السلطات الشقية
زبانية وأجهزة متخصصة في القبض على المناضلين
الشرفاء والمعارضين النبلاء والرافضين لحكمها وحكومتها
والفاضحين لفسادها وقمعها وقهرها!! ومع ذلك فإن الحكام
العرب - قال إيه - يطالبون السلطة الفلسطينية بالإصلاحات
السياسية وكأنهم أنفسهم ليسوا غرقى في هذا الفساد والجمود
السياسي المدوي والديكتاتورية البشعة، وللمدهش وسبحان
المعز المذل فهذه الدعاوى للإصلاح تتبناها النظم العربية
التي تصرخ قوى المعارضة فيها مغرباً وعشاءً وعصرًا

وظهرًا أن تحترم نفسها وشعبها وتجدد وتغير وتزيح وزراء
فسدة ومراكز قوى وتطلق أسر الحركة السياسية وحرية
تكوين الأحزاب وحرية إصدار الصحف وحق تداول السلطة
ونزاهة الانتخابات والتوقف عن التزوير والتخلص من جمود
وتصلب شرايين مسؤولي الحكم وكهنة السلاطين وفسدة
النظام، ومع ذلك فهذه الدول المعتدلة وحكامه المعدولون على
البيت الأبيض وواشنطن لا ينتصحوون ولا يصلحون ولا
يتحركون ولا يسمعون بل ولا يفهمون أهمية الإصلاح
السياسي وقد ثملوا بالسلطة وسكروا بالبقاء على العروش
والتصقوا بمقاعد الحكم بل ويتمنون أن يرثهم الأبناء
والأحفاد! ويبرز هنا سؤالان، الأول: لماذا إذن يطالبون
ويدعون السلطة الفلسطينية للإصلاح، ألا يخافون مثلاً أن
نطالبهم ونحن بإصلاح مماثل؟، والإجابة أن أمريكا هي التي
ترفع شعار المطالبة بإصلاحات في السلطة الفلسطينية وهي
التي تدفع الحكام والحكومات العربية اسم النبي حارسها
المعتدلة بتدعيم أوامرها ومطالب إسرائيل بضرورة إجراء
إصلاحات في السلطة خصوصاً وقد كانت مفاسد السلطة
موجودة عياناً بياناً أمام هذه الحكومات (بل وأمام أمريكا ذات

نفسها) ولم يعترض أحد ولم يطالب واحد فيهم بإصلاح كده ولا كده، أما الآن ورغبة في تحطيم السلطة الفلسطينية من أجل التوقيع على اتفاقية استسلام وعمار فالمطلوب ليس إصلاحًا سياسيًا بل حصار وضغط على هذه السلطة كي تركع بالذوق أحسن ما تتفضح أكثر أمام العالم وشعبها المدرك لفسادها، والصابر على مبادئها والحقيقة أن أمريكا ومعها الحكام العرب مستعدة اليوم قبل الغد في نسيان حكاية الإصلاحات لو عرفات ورجالته وافقوا على شروط شارون لهدنة أو اتفاقية تسوية مذلة!

أما حكاية أن نطالب نحن حكوماتنا بالإصلاح السياسي كما تطالب هي السلطة الفلسطينية فهذا ما لا تعمل الحكومات حسابها له، فقد كملت الأفواه وأخرست بالترهيب وربما بالترغيب الشرفاء أو الذين كانوا كذلك وتم إخصاء التيارات والجماعات السياسية وباع المثقفون أنفسهم ومن ثم لم يعد أحد محترم يطالب حكومته الآن بالإصلاح وقد كسب الجميع من الفساد والجمود وكل واحد طلع له بغنيمة، أما لو افترضنا إن أنا وأنت وخمستاشر واحد قاعدين نقول للحكومة اصلحي وانصلحي (الواجب أن نقول لها غوري وانزاحي)

فهي لن تعبرنا أي انتباه وأي غرفة حجز أو سجن قد تلمنا
على بعض وهي فرصة ساعتها نطالب بالإصلاح معاً ونأخذ
ثواب الجماعة!!

وهنا يقفز السؤال الثاني: لماذا لا تطالب أمريكا نفسها
الدول العربية المعتدلة بإصلاحات سياسية وهي التي ظلت
تتهم تلك الحكومات أن الشعوب العربية صارت تكره أمريكا
تماماً لأنها مقهورة من حكامها العرب الموالين لأمريكا؟
والإجابة هنا أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يهتمها إطلاقاً
حبنا لها أو كراهيتنا، هي تريد مصالحها في المنطقة البترول
وإسرائيل أو العكس وهي تعلم أن الحكومات الديمقراطية
الحقيقية في هذه الأوطان لن تحقق لأمريكا مصالحها بهذا
الشكل الكامل والمتفاني والمذل والمندلل، من هنا فهي
لا تريد إصلاح هذه الحكومات بقدر ما تريد استمرارها
وبقاءها وخلودها على مقاعد الحكم وكما انغمسوا في طغيان
أكثر وديكتاتورية أكبر وفساد أعمق كلما نفذوا تعليمات
وأوامر السادة الأمريكان أفضل وأسرع وأرخص.. ثم ليه
تدفع أكثر ما دام ممكن تدفع أقل!

من الجحور وإلى الجحور تعود!

من شاف تونس هانت عليه بلوته، ومن هانت عليه بلوته
فليستعد لأنها سوف تستمرأ الوضع وتزيد وتنتفخ وتنتخم
وتتحول من بلوة إلى كارثة، ومن أجل عينة مما حدث
ويحدث في تونس فأليك هذه الرسالة التي تلقيتها عن طريق
البريد الإلكتروني وعزرتها أخبار من وكالات وتقارير من
صحف، ماذا تقول الرسالة، اقرأها معي:

باختصار: لتدخل إلى المسجد يجب أن تستظهر ببطاقة
خاصة...!!!

وزير الداخلية التونسي الذي ترعى حكومته الإسلام
وتحافظ عليه أعلن في ندوة صحفية عزمه على تنظيم
المساجد، فالإسلام - القديم - الأول - الذي جاء به.

الرسول محمد لم يعد كافيًا لوحده..

والوزارة تفكر في أن تفرض على المصلين حمل بطاقة
خاصة بالصلاة تسمح لحاملها بالدخول إلى المسجد الأقرب
من سكنه!!

فكل مسلم تونسي أو مقيم عليه تقديم طلب لدى الشرطة أو
الحرس الوطني للحصول على بطاقة بها صورته وعنوانه
ومسجده المحدد... والإمام مطالب بالتحقق من الداخلين

للمسجد. ولن يسمح لمرتاد مسجد معيّن أن يصلي في مسجد آخر مهما كانت الظروف.. بطاقة المصلي شخصية ولا يجوز إعارتها. وإذا توفّق حاملها عن الصلاة عليه إرجاعها حالاً إلى السلطات الأمنية.

المصلّون الأجانب السيّاح عليهم طلب بطاقات خاصة لدى شرطة الحدود وإمام المسجد مطالب بتسجيل حضور المصلّين وعليه رفع تقرير عن الحضور والغياب في نهاية كل شهر إلى السلطات الأمنية.

صلاة الجمعة تتطلب بطاقة أخرى خاصّة، إذا كان المسجد الذي تصلي فيه لا تقام فيه الجمعة ليسمح لك بالذهاب إلى المسجد الأقرب الذي يليه، هذا ما تخطّط له الحكومة المسلمة التّونسية في إطار محاربتها للإرهاب!!

ما رأي سيادتكم في هذا الخبر وخصوصاً أن الإخوة الأصدقاء من غلاة العلمانيين وغيرهم من كارهي مظاهر التدين في الوطن العربي يتخذون تونس مثلاً في وأد الإرهاب والقضاء على التطرف الديني وها نحن نعرف ونتعرف كل يوم على كيفية محاربة تونس للإرهاب بمحاربة الإسلام نفسه والحرية طبعاً وحقوق الإنسان.. لكن تونس

ليست الوحيدة ولا البعيدة عن الجميع فهناك تقرير شافي وافي صافي أصدره. "برنامج الأمم المتحدة للتنمية" ومقره في القاهرة يبين ويظهر ويؤكد أن سكان العالم العربي كانوا الأقل والأدنى استمتاعًا بالحرية السياسية على الصعيد العالمي.

ويشير التقرير الذي صدر يوم أول يوليه ٢٠٠٢، إلى أن سكان العالم العربي كانوا الأقل استمتاعًا بالحرية على الصعيد العالمي في التسعينيات، الأمر الذي يعتبر عائقًا رئيسيًا أمام التنمية، واعتبر التقرير حسب نص وكالة الأنباء الفرنسية أن هناك "ثلاثة نواقص أساسية تواجه جميع الدول العربية وهي نقص الحرية ونقص تمكين المرأة ونقص المعرفة". (يعني باختصار طلعنا عالم ناقصة!) وانتقد التقرير "نسبة استخدام طاقات المرأة العربية من خلال المشاركة السياسية والاقتصادية" مؤكدًا أنها "الأكثر تدنيًا في العالم فهي تحتل ٣,٥% من مقاعد البرلمانات مقارنة مع ١١% في أفريقيا وجنوب الصحراء". ولك يا صديقي أن تلاحظ أن نسبة تمثيل الرجل نفسه أقل من ذلك في برلمانات الوطن العربي، طبعًا أنا أتحدث عن الرجال لا عن أشباههم!! وأفاد

التقرير أن مجموعة مؤشرات التمثيل والمساءلة" التي يستخدمها برنامج الأمم المتحدة "تؤكد المستوى المتدني للحرية في المنطقة العربية" مضيفاً أن "المجموعة تشمل عددًا من المؤشرات التي تقيس مظاهر متنوعة لنواحي العملية السياسية والحريات المدنية والحقوق السياسية واستقلالية وسائل الإعلام" تؤكد أن "المنطقة العربية تأتي في المرتبة الأخيرة وفق ترتيب لجميع مناطق العالم".

وأضاف التقرير أن المشاركة السياسية في العالم العربي ما زالت "دون المستوى المتحقق في جميع مناطق العالم". وأشار التقرير إلى أن "منظمات المجتمع المدني ما زالت تعاني من عقبات تحد من إنشائها وعملها بفعالية" موضحاً أن أبرز العقبات هي "البيروقراطية المتمثلة بسيطرة السلطات الحكومية على منظمات العمل الأهلي".

وأفاد التقرير أن "استخدام المعلوماتية في الدول العربية أقل من أي منطقة أخرى حيث لا تتجاوز نسبة مستخدمي الإنترنت ٠,٦% ويملك ١,٢% من المواطنين العرب جهاز كمبيوتر.

السؤال الآن: هل يملك بهذا الوضع المتدني من الحرية وهذه الخسة المذهلة التي تتعامل بها السلطة العربية من مواطنيها أن تواجه أعداء أو تحديات؟ من المؤكد أن سبب رعب الأنظمة العربية من أمريكا وسفالة إدارة السيد بوش ومن عدوانية وغطرسة إسرائيل وشارون، هو إدراك هذه الأنظمة أنها أسد أو حيتان على شعوبها وفي الحروب أو حتى في المفاوضات مع الأعداء نعامة أو أرنب أو فأر، وللفران في السياسة الدولية كما في البيوت والأزقة أماكن معروفة ومخصصة، في الجحور قطعاً!

وما دایم إلا وجه الله

أريد أن أطمئن دكتور جابر عصفور الناقد والمثقف الكبير وأمين عام المجلس الأعلى للثقافة أنه لو تعرض في حفل عشاء عائلي أو في تجمع أدبي لما تعرض له الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور من نقد وهجوم صريح بأنه باع شعبه وتحالف مع النظام، فإن دكتور جابر لن يصاب بأزمة قلبية وذبحة صدرية مثلما أصيب الشاعر الراحل العظيم من جراء تلك المواجهة الدامية، ثم إنه لن يموت في أثر ساعات بعدها كما مات صلاح عبد الصبور، لن يحدث ذلك لدكتور جابر فهو مع كامل محبتي وتقديري ليس حساساً شاعراً رقيقاً مثل صلاح عبد الصبور كما أنه وهذا هو الأهم لا يشعر بالذنب يثقل كاهله ويفترس ضميره كما كان يشعر صلاح عبد الصبور!!

لقد أدركت بعدما نشر دكتور جابر مؤخراً سلسلة مقالات في جريدة الحياة السعودية عن ملابسات وفاة الشاعر الراحل العظيم صلاح عبد الصبور أنه يدافع عن نفسه هو والموقع الذي يحتله الآن في حكومة من الواضح أن مثقفاً محترماً لا يرضى عنها ولا عن توجهاتها وسياساتها وفسادها وديكتاتوريتها ومن ثم لا يرضى بالتعاون معها أو تمثيلها،

فالرجل أمين عام لمجلس ثقافة نشهد للعالمين أنه أبعثه من مرقدته وأحياه نشاطاً مدهشاً، لكنه في موقعه وعلى مقعده لم يفعل أكثر من تنشيط المبنى لا المعنى، فلا المثقف في المجلس أو غيره حصل على فتات حريته ولا السلطة كفت يد القمع وذراع القهر عن مثقفيها وعن مواطنيها، ولم يساعد المقعد الأعلى على لعب المثقف أي دور في تشكيل وعي أمتة أو تنوير جماهير شعبه ولا مواجهة ومعارضة الفساد ولا كذلك استطاع أن يكون ضميراً ضد أعمال وأهوال قمع الحريات كما أنه حتى لم يشارك بالنصح والإرشاد صانع القرار قبل القرار وبعده (وهو ما يحلم به المثقفون لصيقو الرغبة بالدولة!)، لم يفعل جابر عصفور ومجلسه أي شيء من هذا ولا أعرف هل كان ذلك في ذهنه أصلاً أم لا، لكن المشكلة رغم نشاط المجلس في عهده وتحوله إلى خلية نحل أن ازداد المجلس انغماساً في نخبويته وعزلته عن إحداث أي حركة ثقافية أو جماعة ضمير ثقافي! أو حتى هيئة مستشارين لتحسين أداء النظام، بل إن مثقفي هذه الحكومة وهذا الحكم هم الصحفيون والمذيعون والمذيعات ورؤساء

تحرير الحكومة الذين يتم تقديمهم في الندوات بلقب المفكر
الكبير!!

من هنا فقد تحسست مقالات دكتور جابر بطحة ما
وجاءت لتكشف عن مرافعة مخلصه محكمة التفاصيل شجية
وعذبة المشاعر عن نفسه وليس عن صلاح عبد الصبور
الذي مات نتيجة اتهام مثقف صديق وزميل له بأنه باع
شعبه، والقصة كما فهمتها من مقالات عصفور أن جلسة
عائلية جمعت عبد الصبور والشاعر أحمد عبد المعطي
حجازي والفنان الكبير الراحل بهجت عثمان رسام
الكاريكاتور العظيم وكذلك دكتور جابر (وكان وقتها شابًا)،
أدار فيها حجازي جهاز كاسيت (نحن الآن عام ١٩٨١)
حمل صوت العبقري عبد الرحمن الأبنودي في قصيدة
معارضة للنظام (لعلك تذكر أن الأبنودي كان معارضًا
وسبحان من له الدوام!) فلما وصل الأبنودي إلى مقطع
يعاتب فيه الشعب المصري على أنه لا يتحرك ويقاوم حاكمه
(هل لا يزال عند رأيه؟) قال عبد الصبور: صحيح لماذا لا
يتحرك الشعب وأخذ ينتقد شعبه وعجزه، فاندفع بهجت يقول
له بعنف وكيف يتحرك الشعب وقد خانته المثقفون وباعوه،

فاحتدم الموقف لما سأله عبد الصبور تقصد مين يا بهجت
فرد بهجت بشجاعة وجسارة الحق (من وجهة نظري يا
دكتور!) وقال له أنت يا صلاح، بعدها كما هو متوقع ساد
التوتر وانصرف بهجت ثم تعب صلاح ثم مات متأثراً بأزمة
قلبية من جراء الانفعال والحزن، فقد كان صلاح عبد
الصبور متهمًا من رفاقه اليساريين والمعارضين للسلطات
وحكمه وحكومته أنه باعهم وباع تاريخه وكلمته الحرة حين
قبل أن يصبح من رجال الحكم وحاشية السلطان الثقافية
ووافق أن يصبح رئيساً لهيئة الكتاب كبرى مؤسسات الدولة
الثقافية بل ورضي بوجود إسرائيل في معرض الكتاب (وقتها
كانت الحكومة وإسرائيل معًا على قدر من العناد والإصرار
على تواجد جناح لإسرائيل في المعرض قبل أن يتم التفاوضي
عن هذا التقليد مقابل جناح لإسرائيل في قلب المثقفين!!)
وبعد عشرين عامًا ها هو دكتور جابر يكتب متهمًا بهجت
(الذي رحل عن دنيانا فارسًا بلا حصان مؤخرًا) بأنه وراء
موت عبد الصبور وأنه قاتله حسب تعبير عصفور نفسه،
والحقيقة أن بهجة واجه صلاح بالحقيقة المرة لا أكثر، ففعلًا
كيف يتحرك مجتمع ويقاوم شعب بدون قيادة وطلبة

من المثقفين، والصحيح كذلك أن المثقف الذي يتحالف أو يتعاون أو يتعامل مع قوى بطش وظلام معادية للشعب وللتقافة وتنتلق من طغيان فردي همومه الوحيدة هي الحفاظ على عرشه وإبقاء حكمه حتى لو كلف هذا الوطن كله تبعيته في قراره ومذلتة أمام عدوه وانحداره السياسي وانهيائه الاقتصادي، فإن هذا المثقف يكون قد باع شعبه.. وللا إيه؟ ما الذي يمكن أن نختلف عليه إذن؟ هذا لا يعني أبدًا ألا تكون بعض مقاصد المثقف خيرة خصوصًا لو كان عبقرى الموهبة أسطوري الإبداع مثل عبد الصبور أو أن أعماله مع نظامه مفيدة وطيبة ولكنها تصب في النهاية إلى بحر القمع ومصب الطغيان وإطالة عمر الاستبداد!! وأنا لا أرى بأسًا أن يعلن المثقف أي مثقف أنه مع هذا النظام أو ذاك وأنه متفق معه ويؤيده، لا بأس فهذه أبسط حقوق أي مثقف بل وأي مواطن، لكن فقط يتوقف عن لعبة التأرجح بين المثقف المعارض والثوري والمصلح والإصلاحي ولا يشكو بالليل من قسوة أو غلظة الأصدقاء!، ويعرف أنه يخدم سلطة قامعة ويضع أحمر شفاه على شفاه خنزير!! قطعًا دكتور جابر عصفور جميعًا يعلم أن "لكل أجل كتاب" وأن بهجت عثمان

ضمير مصر الذي رحل عنا (بهجت والضمير) لم يكن يقصد ولا ينوي أن يموت عبد الصبور بسهام كلماته بل كانت عملية جراحية أراد الجراح أن يصلح مضغة القلب لكن القلب كان أضعف من أن يتحمل فتوقف!!

المدهش المذهل بعد عشرين عامًا من هذه الواقعة نرى جابر عصفور في نفس مكان صلاح عبد الصبور قريبًا أو متعاونًا أو متعاملًا مع النظام (إذا كان أحد يرى أنه تغير في سياسته وساسته وتوجهاته واستبداده وجموده فأنا أدعوه كي يراجع ضميره أو يتأكد من وجود ضميره فربما يكون نسيه على مكتبه فرماه الفراش في سلة القمامة!!) وأحمد عبد المعطي حجازي على مدى عشرين عامًا لم يفتح الله عليه بقصيدة أو بموقف معارض أو بوقفة ضد الاستبداد اللهم إلا سيرك التنوير الذي ضم إلى جانب الصادقين كثيرًا من الشطار والحواة والسمايرة وكارهي الإسلام!!، أما عبد الرحمن الأبنودي الذي عطر صوته المكان يومها بشعر مناهض معارض مناضل فإنه يكتب كذا أوبريت في عيد الشرطة أو عيد الدولة لا أتذكر ولعله هو نفسه لا يتذكر، أما بهجت فقد ظلت كفه ممسكة على جمر معارضته ومقاومته

للاستبداد بالرسم والكشف والفضح والزهد والابتسامة ثم
مات كما ستموت جميعاً، مات منسياً منفيًا في منزله!
لكن أخيراً ما الذي كان يريده دكتور جابر من تعديل حتى
يرضى عن بهجت، أن يرد بهجت على عبد الصبور قائلاً
فعالاً عندك حق يا صلاح هذا شعب ابن كلب، وتخلص
الحكاية أو أن يرد عليه حين يسأله صلاح عبد الصبور
قصداً مين أو زي مين يا بهجت اللي باع الشعب؟ يرد عليه
ويقول: أنا يا صلاح!!، أو يا راجل روق دمك أنت ح تزعل
نفسك ليه، هوه إحنا نقدر على زعل دكتور جابر!!

أين ذهب الأديباء؟

نحن نعرف (وهي فرصة للذي لا يعرف أن يعرف) أن أمريكا اللاتينية تشتهر بالموز وكرة القدم والرقص والديكتاتوريين الذين يرأسون البلاد ويحكمون الدول مدى الحياة ورغم أن السنوات الأخيرة بدأت ملامح الديمقراطية تقترب وتظل على هذه القارة إلا أن شهرتها لا زالت مضرب الأمثال في الطغيان ومع أنني أو من تمامًا أن الوطن العربي يعرف ويشهد نماذج حكام طغاة ديكتاتوريين أكثر وأفضح وأفدح إلا أن أمريكا اللاتينية فاقتها في السمعة والشهرة لسببين الأول كثرة التمردات والثورات التي تقوم بها الشعوب ضد الطغاة هناك، والأمر الثاني تلك الروايات العبقريّة العظيمة التي كتبها مؤلفون شجعان وأبطال في مواجهة الظلم والديكتاتورية وكشف مفاصد الحكم ومظالم الحاكم حتى أن هناك نوعًا من الأدب والروايات صار علمًا في العالم كله بسبب هؤلاء الروائيين وهو ما يعرف برواية الديكتاتور، لهذا الحد ولتلك الدرجة تمكن الأدباء من المقاومة والمواجهة والكتابة والفضح والكشف، اشتهرت من هذه الروايات التي ألفها الروائي استورياس وحملت عنوان (السيد الرئيس) وتمتد الروايات الشجاعة الرائعة في أسلوبها وفنها

وعمقها وقيل هذا كله في شجاعتها وخلودها، وتبقى الرواية الأشهر رواية (خريف البطيريك) لجابريل ماركيز الذي وصف الديكتاتور بأنه جنرال عجوز كان له من العمر ما بين ١٠٧ و ٢٣٢ سنة، ثم رواية انتهت مؤخراً من قراءتها بعد ترجمة للعربية عن دار نشر المدى وهي التي تحمل عنوان (وليمة التيس) للكاتب الشهير ماريو فاجاس وهو للمفارقة كان قد رشح نفسه لانتخابات الرئاسة في بيرو بعد عودة الديمقراطية للبلاد (وفشل بالطبع) والرواية تحكي عن ديكتاتور آخر في أمريكا اللاتينية كان يحكم ولعله يملك دولة الدومينيكان وقد حكم البلد بسم الله ما شاء الله لمدة إحدى وثلاثين سنة وهو الذي عين ابنه جنرالاً في الجيش وعمره ١٢ سنة، والرواية تحكي شخصه وأصله وفصله وطغيانه وفساده واستبداده وبطبيعة الحال.. وتحكي اغتياله!! وقد أعدت قراءة بعضاً من تلك الرواية وغيرها حين قرأت دراستين عن هذا النوع من الروايات في جريدة الحياة اللندنية (السمير اليوسف وعبد وازن) لكن السؤال المؤلم والممض الذي وجدت نفسي تواجهني به لماذا لا نرى في الأدب العربي وعند الروائيين العرب شيئاً من فضح وكشف

الديكتاتور المعاصر الذي يحكم كل بلد عربي بالحديد والنار والوراثه، والإجابة عن هذا السؤال ربما تكشف عن غياب المثقف عن قضايا وطنه ودكتاتورية حكام بلاده الذين اشتروا المثقف بالوظيفة أو الجائزة أو السفريات أو المقالات في الصحف وبعض من رئاسات التحرير أو اللجان أو فقدان الأديب العربي للشجاعة والبطولة الفنية والسياسية التي تدفعه لمثل هذه الكتابة التي تحتاج إلى جانب الموهبة الروائية والخصوبة الفنية والثراء الإبداعي تحتاج أيضاً لشجاعة ضد الضغوط ومناعة ضد الإغراءات ولعل السبب الجاثم على أدب الرفض والمواجهة وفضح الفسدة وتعرية الطغاة هو هذا التحالف الشرس بين أجهزة الأمن والروائيين العرب الذي أثمر انهيار في صلابه وشجاعة الأديب، كذلك ترويحاً لأنواع تجريبية غامضة ومغلقة ومبهمة ومنفصلة عن قضايا الوطن ووجدان المواطن بل وتبارت فرق من نقاد التفاهة ومروجي المخدرات الأدبية تتهم الأدب الشجاع والمقتحم والمناضل بأنه أدب مباشر أو لا ينتمي للفن بينما في الوقت ذاته يصل نفس هذا النوع الأدبي في أمريكا اللاتينية ومنه للعالم كله إلى ذرى الفن والمجد والروعة، لقد اختبأ جين

الأدباء وعمالة الأدب وراء أشكال فنية خائنة للواقع وللقارئ
بل وللحرية والإنسان وبات الشيء الوحيد الذي يكاد يكون
مطروحًا على الساحة هو أدب الشذوذ وسب الدين والملة!!

محجوب عبد الدايم وشركاه!

من هو سبب خيبتنا الثقيلة الأخ علي طه أم السيد محبوب
عبد الدايم؟

أولاً: لازم توافقتي أننا نعيش خيبة ثقيلة وإذا كنت تخالفني
الرأي ممكن تتأخر سايق عليك النبي وروح اقرأ في مقالة
ثانية، فلا طاقة لديّ على المناهدة!

ثانياً: لازم تؤيدني حين أزعم أن أهم أسباب الخيبة بالويبة
التي نعيشها تقع على مسئولية قادة المجتمع وعلى عاتق
المثقفين الذين إما أنهم يقودون المجتمع أو يراقبون
ويعارضون ويحاسبون الأشخاص الذين يقودون المجتمع!
وإذا لم يكن رأيك كذلك فألتمس منك العذر أن تلحق صاحبك
الذي لم يوافقني فوق، وتشوف لك مقالة ثانية تقرأها بعيداً
عن هنا عشان النفس والتنفس فالمقاول بعون الله زحمة
ونحن نرش قدام الدكان!

ثالثاً: لازم تدعمني في القول إن المثقف المصري
(والعربي بالمرّة، فهي نفس الطينة والخبية) واحد من اثنين
إما أنه الأخ علي وطه أو السيد محبوب عبد الدايم! بل لعل
المثقف المصري (سواء الكاتب أو المفكر أو السياسي
أو أستاذ الجامعة وغيرهم) يعاني من فصام الشخصية فهو

في الصبح محبوب وبعد الظهر علي طه أو العكس
(بالمناسبة لو لم تكن قد أدركت أنني أتحدث عن بطلين في
فيلم القاهرة ٣٠ عن رواية القاهرة الجديدة للساحر العملاق
نجيب محفوظ فأنا لا أريد أن أرى وجهك في المقال وغور
حالا من قدامي المسألة مش ناقصة).

يجري كل واحد فينا ووراءه ظل علي طه أو محبوب
وكل ميسر لما خلق له ومحدث بيأخذ أكثر من نصيبه
والمرء الذي يحترم نفسه هو الذي يسألها (يسأل نفسه يعني)
من أنت علي طه أم محبوب عبد الدايم فتد عليه نفسه فائلة
لا داعي للإجابة أحسن تزعل!

عندما انتهيت من قراءة أرجوحة دكتورة (أقصد أطروحة
لكنها هكذا أدق!) وجدت أن الأرجوحة استغرقت ١٧٠
صفحة في البحث عن معنى أو تعريف دقيق لكلمة مثقف
وقد تضمنت الصفحات محاولات السابقين الأولين من
المفكرين حول تعريف هذه الكلمة الحائرة النائية؛ لكن
التعريف الذي استهواني وامتلك فؤادي هو تعريف الفيلسوف
الفرنسي جان بول سارتر للمثقف حيث عرفه بأنه ذلك
الشخص الذي يتدخل فيما لا يعنيه؛ وقد وجدت التعريف

هو عز الطالب وغاية الأرب؛ فالمثقف هو الشخص الذي يتدخل في أحوال الناس من غير ما يدعو أحد فهو الخائف على بلده؛ المهتم بأبناء وطنه، الدارس لتاريخ الوطن والباحث عن مستقبل البلد؛ وهو الشخص الذي يتلقى بنفسه راضية وروح رياضية تعليقات الحكومة والمواطنين حين يقولون له: وأنت مالك يا بارد حد حشرك ولا طلب رأيك! ومع ذلك فالمثقف محشور محشور ويعطي رأيه مهما رفضه غيره!

ولعلك تذكر معي علي طه (قام بدوره الفنان عبد العزيز ميكوي والمفارقة أنه تقريبًا اختفى من الساحة مع علي طه) حين كان يصاحب سعاد حسني في شوارع القاهرة ٣٠ و ٦٠ و ٩٠! فإذا به يترك جمال عينيها ورشاقة جسدها وابتسامتها وحلاوة روحها ويتحدث معها عن الفيلسوف "أوجست كونت" بينما سعاد حسني فاكره "كونت" هذا الحاج الذي يبيع فلسفة على أول الشارع! ومن المؤكد أن "أوجست كونت" شخصيًا لو كان يصاحب في مشيته سعاد حسني لطلق الفلاسفة بالثلاثة ساعتها وتعلق بعنقها وركع عند قدميها وحضنها عند الشجرة ووسع يا مخرج واحذفي يا رقابة! لكن ماذا تفعل للمغفل علي

طه الذي تراه في كل مشاهد الفيلم متجهماً ومكشراً متضابق قوي ويتخاق مع ذباب وجهه وينهر ويزجر زملاءه الطلبة رافضاً الفرح والمرح فضلاً عن أنه يمسك طول الوقت بكتاب في يده يذكرك فوراً بالأطفال الذين لا ينامون إلا والعروسة في حضنهم (بدبوبة الحبوبة) ثم حين اكتشف علي طه أن حبيبته انحرفت (وهي نتيجة طبيعية لتعاليم الحاج أوجست كونت!) فكل ما فعله علي طه أن نظر في السقف وتأمله في جهامة ثم نظر إليها ساخطاً شاخطاً ثم أمطرها بالكلام عن الزمن الرديء والمستقبل البريء وضرب نظره للسقف ومشى.. ميت خسرة على الرجالة؛ لكن علي طه لم يكتف بما فعله أو في الحقيقة بما لم يفعله بل واصل مواجهته للفساد بالنظر إلى السقف في جهامة وبعد تخرجه من الجامعة قرر الكفاح في الصحافة (ما الكفاح في ذلك!) فقد رفض الالتحاق بركب الجرائد الموجودة (طبعاً لأنها مقروءة) واختار إصدار جريدة اشتراكية من بير سلم وقد حدد سياستها التحريرية بخطبة عصماء وجهها (أرض أرض) لزملائه المحررين (وكلهم ثوار طبعاً وأشك أن أحداً منهم يفهم في الصحافة) وركز علي طه على أن تخلو

جريدته من زخارف القول كي تكون جادة ومؤثرة في الناس ولم يقدم الفيلم لنا أي معلومة عن توزيع مجلة علي طه الاشتراكية أو مدى تأثيرها ولكن استنادًا إلى التاريخ والحاضر فهي لم تكن توزع أكثر من ستين نسخة معظمها في بارات وسط البلاد بل من الواضح في الفيلم أن حبيبته سعاد لم تكن تقرأها وإذا كانت حبيبته لم تعصر على قلبها ليمونة وتقرأ المجلة فمن إذن جرؤ على قراءتها؛ إنها مجرد أوهام علي طه عن الكفاح والنضال؛ مجرد هلاوس علي طه عن تغيير الناس بكتب لا يقرأونها ومجلات لا يشترونها لأنها بعيدة عن أفكارهم ومشاعرهم وأحاسيسهم؛ ولأنه لا بد للمثقف أن يعاني فقد مرض علي طه وأخذ يكح كما كان يكح على مرضى السينما المصرية! وكان لا بد طبعًا من أن يطارده البوليس السياسي وهو بوليس أهبل وسينمائي جدًا فماذا كان يفعل علي طه وفيمن كان يؤثر حتى يهتم به البوليس السياسي أو حتى بوليس المرور! لأ وكمان يطارده!

لكن أجمل ما في فيلم علي طه نهايته إذ يطارده البوليس وهو يمسك منشوراته (يبدو أن هناك جمرة خبيثة في المنشورات!) ويجري علي طه جريحا مترنحا يرمي

بالمنشورات على العابرين ولو كنت من البوليس السياسي
لكنت أخذتها منه ووزعتها بنفسي على الناس فما فيها إلا
خطب لا تغني ولا تسمن من جوع؛ إن علي طه يشبه هؤلاء
المثقفين الذين أقاموا تنظيمات سرية لإنقاذ الوطن فانتهت إلى
أعضاء التنظيم اتجوزوا من عضوات التنظيم فضلاً عن
تنظيمات أخرى انحصرت نشاطها في توريد أعضائها إلى
العيادات النفسية أو إلى المأذون أو إلى الدراسة في موسكو
أجل موسكوا نفسها!

أما محجوب عبد الدايم (وقد قام بدوره النجم حمدي أحمد
الذي عمل في السياسة بعد ذلك وكانت له فيها أدوار مهمة
كالسينما تماماً) لم يكن مشوار محجوب مثل زميله علي طه؛
مشوار الخطب والصراخ والانعزال التام عن الواقع الذي
أدى به إلى الانعزال المطلق عن الجماهير والشارع! ماذا
فعل محجوب؟ أبداً أطلق حكيمته الشهيرة طظ وباع؛ باع
شرفه وكلمته ووظيفته وأهله وسلم نفسه للسلطة تركبه
أو تركب سريره؛ وصعد وجلس على مقاعد النفوذ والسلطة
والدولة!

من إنن الذي أودى بنا إلى ما نحن فيه علي طه أم
محجوب عبد الدايم؟ عمومًا أنا شخصيًا مدين للأخ علي طه
بالاعتذار فقد كنت حتى وقت قريب أعتبره أشد البلاوي
الممكنة وأنه لا يقل رذالة وكرهاً وانهيأراً عن محجوب عبد
الدايم، لكنني اكتشفت أن علي طه محترم كثيرًا عن غيره؛
كذلك مدين بالاعتذار لمحجوب عبد الدايم فقد كنت أظنه آخر
درجات الضعة والانحطاط لكنني حين أقرنه الآن بالنماذج
المستولدة منه والمتفرعة عنه أجده من شيوخ الصوفية
بالنسبة لهم!

النوم مع العدو!

انتشرت أعراض عدوى خطيرة لمرض قديم أصاب مصر منذ مائة عام تقريباً وها هو المرض والعرض يعود لينتشر كالفيروس؛ كالكوليرا في أنحاء المحروسة وخاصة في دوائر العاملين بالثقافة والإعلام حتى طغى وساد في البلاد وتوطن في الوطن؛ المشكلة أن هذا المرض كما أنه يتمدد بالجسد وينتقل بالعقل إلا أن المصابين به هم أكثر الناس دفاعاً عنه وعناداً ضد علاجه! ويمكن تسمية هذا المرض باطمئنان علمي شديد بمرض المقطم!

تعود جذور هذا المرض إلى جريدة المقطم التي صدرت في فبراير ١٨٨٩ بعد سنوات من احتلال إنجلترا لمصر والتي صارت لسان حال الاحتلال وكتبت ونشرت ما يمكن أن نقرأه الآن في مقالات كثيرين ممن يطالبوننا بمبايعة الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها وحررها الإرهابية ضد الأفغان ورعايتها الكاملة وتحالفها المطلق مع إسرائيل وممن يبشر وينشر دعوته إلى مصالحة ومحالفة إسرائيل نفسها في سياسة الشرق الأوسط الجديد وغيرهم ممن تتعثر بهم في خرابات الفكر وحواري السياسة وأزقة التبعية؛ ليس جديدًا ما نراه ونقرأه من كُتاب وأساتذة هم من نطف المقطم الانسحاق

أمام الغرب المحتل والمسيطر هؤلاء الذين نبتوا كارهين
لأمتهم ولثقافتهم ولدينهم؛ محقرين لذاتهم الحضارية؛ الذين
يطلبون أن تؤيد أمريكا من غير لحن! (نحن لا نؤيدها أساس
فلا حاجة بنا بلكن أو إن لعل!) والذين يدعوننا إلى التطبيع
مع الصهاينة بلو السلام مع العنصرية (النوم مع العدو!)
والذين يدعوننا إلى التطبيع مع الصهاينة بلو السلام
العنصرية (النوم مع العدو!) الذين يطلبون منا أن نتكاتف
لمحاربة التيار الإسلامي لأن خطره على التتوير والحرية
أخطر من خطر إسرائيل وأمريكا؛ الذين يرون في كولن
بول وشيمون بيريز حلفاء وأصدقاء بينما عصام العريان
وخالد مشعل من معسكر الأعداء؛ يقرأ المرء كل يوم
في صحف ومجلات ويسمع ويشاهد في محطات وقنوات
ساسة وكُتابًا وأكاديميين كأنهم يكتبون في المقطم؛ كأنهم
يحررون صفحاتها اليوم لا من مائة عام؛ ولكي تعرف ما
المرض ومدى خطورته اقرأ معي ما كتبه المقطم في تبيان
سياستها في أعدادها الأولى (اعتمد على الرسالة العلمية التي
قدمها دكتور تيسير أبو عرجة عن جريدة الاحتلال البريطاني
في مصر ونشرت ضمن السلسلة القيمة تاريخ المصريين

عدد ١٠٢) تقول المقطم "أولاً: إن المحتلين احتلوا هذا القطر ولا يخرجون منه إلا بإرادتهم أو بقوة تفوق قوتهم.
ثانياً: أن لا نفع للمصريين من معاندتهم ومعارضتهم..
وأن مصلحة المحتلين توافق مصلحة المصريين ولذلك يقصد المحتلون تنظيم أمور مصر وإصلاح حال المصريين فلذلك يقضي حسن السياسة علينا بمسالمتهم ومحاسنتهم ومعاونتهم على إصلاح أحوالنا وإصلاح بلادنا لأن ذلك كله لخيرنا..
وعلى المصريين توثيق عرى الاتفاق والإخلاص بين المحتلين وحكومتهم وليعدوا أنفسهم حلفاء المحتلين وأصدقاءهم لا خصومهم ولا أعداءهم حتى تتم ثقة المحتلين بهم ويسهل عليهم إنجاز وعدهم بالجلء عن مصر..". (ليه ما يقعدوا أحسن).. تخيلوا أن المقطم وكتابها من مائة عام حتى الآن يدعون الناس إلى مسالمة ومحاسنة ومصادقة الاحتلال الذي يرفع من شأن البلاد ويرقيها هل هناك انسحاق أكثر من ذلك وعبودية وإحساس بالدونية واحتقار للذات أكثر ممن يدعو إلى الفرح بالاحتلال والتسليم له والاعتراف به.. الشعب محتل والأرض مغتصبة وهم يتكلمون عن التعاون والتحالف؛ لا مكان عندهم للكرامة والكبرياء؛ لا وجود

للشرف والعرض والغضب! إننا نعيش ونشوف مثل تلك الحجج تنهال علينا لدرجة أن بعضاً من كتبة المقطم ٢٠٠١ كتب عن فوائد الاستعمار للدول حتى نتقدم! وأن العالم الحر (حر يفعل فينا ما يشاء) ذهب ليحتل أفغانستان ليطورها وينقذها! وعندما نقول إن هؤلاء يعملون ويتعاملون ويتقاضون الثمن المادي والأدبي من الأمريكيان فربما لا نبالغ فالمؤكد أن الكونجرس الأمريكي يدفع لشركة علاقات عامة مبلغ ٤٠٠ ألف دولار شهرياً لترويج وجهة نظر الحكومة الأمريكية في ٧٩ دولة هذه الأيام طبقاً لما نشرته صحيفة كريستيان مونيتور الأمريكية والوطن العربي من أهم الدول المستهدفة بالدعاية للسياسة الأمريكية والتصدي لكل من ينتقد ويهاجم السياسة السنية الأمريكية..

إن مرض المقطم ينتشر ويتسع فها هم يتهمون الشعوب الثائرة والمقاومة بالغوغائية والهمجية كما كتبت المقطم تمام عن حادثة دنشواي (هل تتذكرون دنشواي؟) قالت المقطم "وقد أسفرت لنا عن حقائق من الغرابة بأعظم مكان حتى حار فيها كل قارئها فأول تلك الحقائق ابتعاد الضباط الإنجليز عن الشر وحبهم العجيب للمسالمة وخلص طوبيتهم

وصفاء نيتهم إلى حد لا يصدق.. وكل مصري ذي عقل
ومروءة وأنفة وحمية يأنف أن يلطخ الأمة المصرية بعار
ارتكبه رعا ع من أسفل طبقة من طبقاتها كما يأنف عقلاء كل
أمة من الأمم أن يلطخوا أمتهم بعار ترتكبه جماعة من
رعا عهم وسفلتهم" بالذمة حد شاف مثل هذا؛ موتى وشهداء
الوطن رعا ع وسفلة! المدهش أن الاحتلال نفسه حس على
دمه من المذبحة التي ارتكبها جنوده وعزل المعتمد
البريطاني اللورد كرومر في الوقت الذي تطلق فيه المقطم
على كرومر لقب "عزيز مصر" إنها تتعامل معه كأنه يوسف
عليه السلام الذي أنقذ مصر من السنوات العجاف؟ هل هناك
أدل من ذلك؛ هل هناك أدل من هذا؟ إن المقطم تكتب هكذا
بالضبط عن انجلترا وحرفياً (الدول المحتلة المحبوبة العادلة
في جميع شئوننا الأدبية والمادية) ح نقول إيه تعليقاً على هذا
أكثر مما يقوله مرضى المقطم الجدد عن إسرائيل
الديمقراطية وبيريز عزيز الشرق الأوسط وأمريكا المحبوبة!
وربما أدركت أمريكا وجود عشرات من خدام المقطم الجدد
لدرجة أنها قررت إنشاء شبكة إذاعة أمريكية بكلفة ٣٠
مليون دولار موجهة إلى الوطن العربي قريباً على حد قول

عضو كونجرس (انظر جريدة الشرق الأوسط السعودية ٢ - ١١ - ٢٠٠١) "إننا نريد أن نثبت مادة إذاعية متنوعة إلى أقصى حد بحيث تصل إلى كل الشباب من أولئك الذين يقذفون الحجارة على الجنود الإسرائيليين" ما الذي يؤكد ذلك أكثر من أهمية دعايات الاحتلال الإسرائيلي والهيمنة الأمريكية؛ أهمية المقطم وكتابها الجدد لأمريكا والهيمنة على العقول والقلوب؛ إذا عدنا إلى المقطم وقرأنا ما كتبه أثناء الحرب العالمية الأولى (ضد الإرهاب) لعرفنا ما الذي يحدث الآن حيث تكتب المقطم ومرضاها القدامى والجدد" الحكومة الإنجليزية تترفع عن أن تخدع شعبها ولا تستطيع أن تخدعه.. فهذا الشعب الإنجليزي الكريم المشهور بالثبات والتؤدة وأصالة الرأي يجب على المصريين أن يحبوه ويكرموه ويحترموه (ناقص ويعبدوه!).. اللهم إننا نشهد أمامك أننا نحب الإنجليز ليس لأنهم لم يؤذنا ولا تعرضوا لمعتقدنا ولا لحريتنا فقط بل لأنهم تولوا أمورنا فحسنوا أحوالنا وأتانا بقدر الخدمات التي قدمتها الحكومة الإنجليزية للمصريين في كل زمان ومكان حق قدرها.. والمصريون لا ينكرون أنهم لم يروا في جميع أدوار حياتهم خيراً وبركة

وطمأنينة كأيام حكم الإنجليز لهم، الذي رقوا البلاد ماديًا وأغدقوا عليها الرفاهية وعمموا فيها العدل) آه والله العظيم كتبوا هذا الكلام؛ ألا تشم نفس الرائحة في كتابات اليوم عن أمريكا التي تستحق التحالف معها والانتصار لها؛ طيب خذ عندك دي بالمرّة، مطلع قصيدة نشرتها المقطم بمناسبة فرض الحماية الإنجليزية على مصر موجهة إلى جلالة ملك بريطانيا.. اسمع يا سيدي "يا أيها الملك العظيم سلام/ هتفت ببيعته لك الأقوام/ مصر الوفية لا تزال وفية/ وكما عهدت النيل والأهرام/ نالت حمايتك التي اعتزلت بها أمثالها واستمكّن الإسلام (شايك الكفر.. واخذ بالك من التحالف!) الذي ينقصنا الآن فقط قصيدة مثل هذه من أصدقاء التحالف للرئيس بوش الذي يستعيد الإسلام من خاطفيه في كابول كما يقول بعض مرضى المقطم!

إن الانسحاق أمام الغرب حتى ولو كان محتلاً غاشماً وطاغياً سافرًا هو معتقد وعقيدة هؤلاء الذين وجدوا في أنفسهم الفجور الكافي والفائض ليكتبوا هذه الحروف بالنص (أفعال كرومر في مصر أعظم من أفعال باني الأهرام

وأعظم من أفعال رمسيس أكبر الفراعنة وأعظم من أفعال
بونابرت ومحمد علي...).

لا تبذل مجهودًا لتعرف مرض المقطم أو تتعرف على
مرضاه فهم فخورون جدًا بما يفعلون ويظهرون في كل مكان
يرددون أن العرب جرب والعروبة عبط والمسلمين متخلفون
وأن الغرب هو المتفوق والمتحضر وأنا عالة على الإنسانية
والحضارة (ولا تعرف هل يقصدون حضارة تجارة العبيد
والبارود والقنبلة النووية أم حضارة حقوق الإنسان التي قتلت
مليون طفل عراقي وثلاثة ملايين فيتنامي!) ويرون أننا جزء
من حضارة البحر المتوسط (مالطا مثلاً) أو حضارة حلف
الأطلسي أو حضارة القطب الشمالي؛ المهم ألا نكون جزءًا
من حضارة العروبة والإسلام فهذه أصولية متخلفة أو إرهاب
مغلف!

الذين يرون أن طريقنا لنيل حقوقنا من إسرائيل هو أن
نثبت لأمريكا أننا نحبا أكثر من إسرائيل وأنها حلفاؤها
ويمكن أن نخدمها أفضل وأرخص؛ ويرون أن الوسيلة
الوحيدة لاسترداد التراب العربي المقدس (عندهم طبعًا لا
مقدس ولا نبيلة وما نحن إلا مجموعة من المتخلفين نرى في

شوية جدران شيئاً يستحق الموت من أجله!) الوسيلة هي
مفاوضة ومسالمة ومصالحة ومصافحة ومهادنة ومصادقة
إسرائيل حيث إنها الدولة المحتلة المحبوبة وأنا لا قدّها
ولا قد غيرها!

هؤلاء مرضى المقطم الذين يؤمنون أن شعوبنا رعا
وغوغاء وهمج لا يجب أن تتقاد لهم الحكومات بل يجب أن
تقودهم (يا واد على الديمقراطية!) وأن المظاهرات
والمقاطعات وحرق أعلام إسرائيل وأمريكا أعمال متخلفة
(أين حرية التعبير وحياة الست والدتك.. أم أنها مخصصة
للمتضرين الحلوين المستحميين!؟) وأن هذه الشعوب ابنة
لثقافة الموت وضد ثقافة الحياة ومن ثم تسمى أي جثة شهيداً
وتحتفل بالموتى لأنهم ذاهبون للجنة. وينطبق على مثقفي
المقطم الجدد في دعوتهم للتحالف مع أمريكا والتطبيع مع
إسرائيل ما كتبه المقطم بالنص "فإن معظم الفضل فيما نتمتع
به وما نشكر عليه من نعم الراحة والتقدم والإصلاح هو
لحكومتنا الجامعة بين عقلاء الوطنيين وحكماء المحتلين"
وعجبت لك يا زمن!!

فلسطين: البحث عن حق أم عن حل؟

وافترض أن دولة فلسطينية قامت الآن وقرر رئيس وزراء إسرائيل (أيًا كان اسمه) أن يقتحمها ويعيد احتلال هذه الدولة فرفع سماعة التليفون وقال لوزير دفاعه: نفذ يا عيزرا! فمن المتوقع أنه قبل أن يكمل كوباية النكسافيه قدماه يكون عيزرا قد احتل فلسطين؛ فهل يمكن أن تكون هذه دولة حقاً أم أنها مأساة وملهاة ثم أنها مسخرة الخيار الاستراتيجي الذي يسوق ويروج له حكامنا!

عندي في الحقيقة إحساس سخيّف أطارده لأطرده لكنه برزالة شديدة يبقى ويتأكد عندي؛ أساس هذا الإحساس أن اقتحام شارون وقواته الإرهابية بيت لحم مهد المسيح ورام الله واحتلاله للمدن والقرى الفلسطينية كان متفقاً عليه بل ومطلوباً من بعض العرب وهو تواطؤ محل شك؛ ما يبرره هو هذا الصمت العربي الرسمي الفاضح والرخيص وعدم ممارسة أي ضغط من أي أضعف وأتفه نوع على الولايات المتحدة الأمريكية (بالإعلام والتصريحات حتى!) مستغلين هذا الاحتياج الأمريكي الانتهازي للدول والحكومات والحكام والعرب؛ بل والتعليمات التي تلقتها وسائل الإعلام الرسمية في الوطن العربي بالتزام البرود والتلامة وتحجر القلب في

تغطية تلك الأحداث مع الإلحاح على أن بوش أُنذر وحذر إسرائيل وكان زعلان خالص ومتضايق الصراحة!! إذا تأملت تصريح مسئول عربي لمجلة أمريكية الذي يؤكد فيه أن بلاده سمحت بطلعات لحركة الطيران العسكري الأمريكي بعبور أجواء البلد العربي انطلاقاً لهجمات يومية على كابول وقندهار وترجع تلك المجلة الأمريكية أن ٣٠٠ طلب لطلعات جوية قد تم الموافقة عليها وأن هناك تعاوناً يومياً بالمعلومات والسماح للسفن الحربية بالعبور لهذا يصعب عليك تصديق أن تلك الدول العربية لا تستطيع التهديد بالخروج من بيت الطاعة الأمريكية إذا لم توقف إسرائيل مجازرها! ومن المذهل ألا نرى الحكام العرب يلوحون بمظاهرات شعوبهم ولا مشاعر مواطنيهم كوسيلة ضغط السياسة الأمريكية والإسرائيلية بل تلك الحكومات تفعل المستحيل لتحويل حرب أمريكا (التي تصبح كل يوم حرباً إسرائيلية تحت العلم الأمريكي) إلى حرب ضد الإرهاب وليست حرباً ضد الأفغان فالتعليمات تنص على وصف الحرب على أفغانستان بأنها حرب على طالبان وكأن القنبلة وهي تنزل على كابول

عندما ترى مواطناً مدنياً تقول أتأخر أنت وهات واحد من طالبان!

بل هناك قرارات في نشرات تليفزيون عربي رائد تمنع من إذاعة وبث مظاهرات المسلمين في شتى بقاع الأرض ضد الأمريكان مع منع صور الجثث البريئة لأطفال ونساء المسلمين في كابول وقندهار وتبني سياسة أمريكا في التهوين من عدد وصور الشهداء المدنيين (هل تعرف أن المواطن الأمريكي لا يشاهد صور موتى أفغانستان بقرار من حكومته وأن وزير الدفاع وآخرين خرجوا ليقولوا إنه من الطبيعي أن يسقط مدنيون وأبرياء في الحرب ضد أفغانستان وهو كلام إرهابي لا يقل عن إرهاب قتل آلاف المدنيين في المركز التجاري فهي حالة حرب أيضاً مع أمريكا كما يرى بن لادن وهو ما يؤكد ما نتبناه من أن ما جرى يوم ١١ سبتمبر هو إرهاب مضاد للإرهاب الأمريكي المستخف بدماء الأبرياء على أنه "وماله بتحصل"!

إن رائحة شواء تصعد من مطابخ السياسة العربية تؤكد على ملامح صفقة يتعاون فيها الجميع على بر وتقوى السياسة الأمريكية؛ ولعل الحملات الصحفية في أمريكا

وانجلترا على بعض الدول والحكومات العربية هي بمثابة الطلقات التحذيرية والإشارات والتلميحات لهؤلاء الحكام إذا ما حاولوا الصيد في الماء العكر وأصروا على الفرقات الإعلامية التي اعتبرتها أمريكا خروجًا عن النص من ممثلين متعاقدين مع المسرح الأمريكي! وهو ما يفسر التراجع المنظم المتعاطم عند بعض الدوائر العربية السياسية والإعلامية عن محاولة نقد وانتقاد السياسة الأمريكية أو السماح لجواد جامح في الإعلام بتلك المواقف؛ الصفحات الأولى للصحف العربية مشغولة بالإطراءات التي يسبغها الأمريكيان على حكومات عربية معتدلة وامتدح الأدوار التي تلعبها تلك الدول في مواجهة الإرهاب وأظهرت بعض تلك الحكومات العربية فورًا أكثر من تنظيم أخرجته بطريقتها العربية الصميمة من الثلجة لتثبت أنها على الدرب وكم عانت وتعاني من الإرهاب بل وتنصح كيف أن تواجه أمريكا وأوروبا الإرهابيين وهي النصيحة العربية المذهلة؛ أن تتسى تلك الدول الغربية حقوق الإنسان وخوتة دماغ تلك المنظمات التي كانت تؤرق مضجعا في مواجهة الإرهاب بالكلام الفاضي من نوعية منع التعذيب والاعتقالات المفتوحة

وأوضاع السجون!! والمدهش هنا أن وزراء الداخلية العرب في اجتماع أخير شجبوا إجراءات أمريكا بتوسيع دائرة الاستباه والقبض على أبرياء لمجرد أنهم مسلمون عرب؛ والمفارقة أن هذه السياسة عربية اخترعتها وزارات الداخلية العربية في إضافة للحضارة الإنسانية وهي صاحبة نظرية افتح البوكس وعبي وبعدين نتفاهم! انظر من الذي يعاتب أمريكا لتتأكد أن أمريكا لن تعيره اهتماماً؛ وهي تفهم طبيعة التمثيلية التي تؤذيها الحكومات على شعوبها وإذا لم تصدقني فلتصدق السيد كولن باول وزير الخارجية الأمريكي في تصريحاته أمام الكونجرس حيث يقول: "إنني لست قلقاً من زعزعة الاستقرار في الوقت الحالي لكن لا شك أن هؤلاء الزعماء في البلدان العربية والإسلامية يواجهون تحديات السيطرة على المشاعر التي تود داخل دولهم؛ هناك أعداد كبيرة من الناس الذي يعارضون أعمالنا العسكرية لكن حكوماتهم ما زالت قادرة على دعمنا في ما نفعل" وهكذا يبدو إلى أي حد تلعب الحكومات العربية والإسلامية دوراً فاعلاً ومؤثراً في خدمة السياسة الأمريكية وكيف يقومون بأكثر عملية للسيطرة على مشاعر وأفكار وتحركات ومظاهرات

شعوبهم مستخدمين القمع الناعم والفظ والإعلام الموجه والمزيف ومستخدمين فوق هذا كله القضية الفلسطينية في أوسع عملية نصب باسمها؛ كيف؟؛ انتظر معي قليلاً!

الحاصل أن عنوان الصفقة القادمة هي بيع القضية الفلسطينية والعربية بدولة فلسطينية هي إلى الوهم أن تحققت وكالهراء إن وجدت! ويبدو أن ثمن إنشاء الدولة هو بيع العروبة والإسلام إلى إسرائيل وأمريكا! بدلاً من الشعار الهزؤ "الأرض مقابل السلام" نشهد الآن شعاراً أشد هزؤاً وهزألاً وهو الدولة مقابل الاستسلام؛ الاستسلام لاحتلال كامل التراب الفلسطيني؛ الاعتراف بهزيمة الشعوب ونهاية فلسطين عن ٢٢% من الأرض المحتلة والاستسلام لسياسة أمريكا التامة للتفوق والسيادة الإسرائيلية وانتصار الصهيونية والاعتراف النهائي الكامل بأن العرب لا يملكون حقوقاً في فلسطين وحلال على المحتل العاصب القاتل أرضنا وطننا حدودنا وشرفنا! هذه السطور تمهيد لعقد الصفقة وتعتبر جزءاً لا يتجزأ من العقد! عقد بيع وشراء أمة ووطناً!

كيف يجري هذا التواطؤ ولماذا صفقة جديدة؟ هذا هو السؤال والإجابة تستحق العودة إلى الحكام العرب الذين

لا يبحثون عن الحق والعدل بل يبحثون عن راحة الدماغ؛ ليس مهما أي دولة فلسطينية وأي أرض المهم الموضوع يخلص؛ إن تصريحاتهم كلها تتركز على أن الدولة الفلسطينية سوف يقضي ظهورها على الإرهاب وسوف يعم الاستقرار في المنطقة وهذا هو الهدف الأسمى حيث السعي العربي الرسمي لاستقرار الحكم؛ إنهم لا يبحثون عن حق بل عن حل والفرق شاسع هائل، والحل المطروح دولة فلسطينية ترضى بها وعنها إسرائيل؛ طيب إذا كان الكل موافق بالصلاة على النبي ما نقرأ الفاتحة، لكن هناك مشكلة مؤرقة للجميع وهي الجماعات والمنظمات الإسلامية والقومية الراضية للتسوية الإسرائيلية والتي تقوم بأعمال فدائية تمزق الأمن الصهيوني وتعطل عجلة السلام التي تحتاج إلى هواء ونفخ بعد كل عمل فدائي؛ عرفات لا يستطيع فعل ما فعله من قبل وهو إدخالهم السجون والمعتقلات حيث تنهار هكذا وحدته الوطنية (سلطته بالأحرى!) خصوصاً أنه لا يطمئن إلى أن الثمن الإسرائيلي سوف يرضى شعبه؛ كما أن تلك الحركات الإسلامية في الوطن كله دخلت بكل قوتها في الصراع العربي الإسرائيلي مما يشعل حماس الجماهير لهم

مع وجودهم السياسي المؤرق لحكوماتهم التي تريد إبعادهم نهائياً عن الساحة ولا ينقصها قضية جماهيرية تزيد من دورهم وشعبيتهم؛ الحل إذن أن تقوم إسرائيل وتشيل الليلة تقتحم وتحتل وتسجن وتغتال وتخطف وتطرد وتظهر البديل المخيف وهو ضياع فئات الدولة وبقايا الأرض هنا تحدث النتيجة التي أرادتها كل الأطراف سواء بالإيحاء أو الإيحاء أو المشاركة الكاملة بالرأي والتخطيط وهي:

١- تركيع الحركات الراضية للتسوية وطحن عظامها والتلويح لغيرها بنفس العقاب.

٢- تنزيل مستوى الطموحات والمطالب العربية فبعد أن رفض العرب عام ٤٧ التقسيم عليهم الرضا بالمقسوم بعد ٥٤ عامًا من العجز والعار والهوان.

ساعتها يهب أنصار السلام الذين يريدون توقيع التسوية اليوم قبل الغد؛ دولة وهمية وحدود في يد العدو اقتصاد تحت أنيابه وأوامر تتلقاها الدولة العزبة من البندر الإسرائيلي.

وهكذا نخلص من وجع القلب في فلسطين وقضيتها ونطلع زعماء سلام وأعدنا فلسطين ونتفرغ لبناء الوطن الكباري والمجاري والمحمول والبورصة والصفقات ونمشي وراء

شطارة اليهود حيث العز والنغمة ورضا أمريكا والناس
الخلوة والجدعان وأصحاب الأصول وأهل بلدنا فردًا فردًا
وأنا وأنت وأجدع سلام!

هل فرح العرب في الضربة القاتلة التي
نالتها الولايات المتحدة الأمريكية؟

حسناً السؤال بلا موارد ولا ملاعبة: هل فرح العرب في الضربة القاتلة التي نالتها الولايات المتحدة الأمريكية؟
الإجابة (وليمسك محبو الإنسانية أعصابهم): نعم فرحوا وابتهجوا وامتألوا الشارع العربي سعادة وراحة!
هل معنى ذلك أن العرب تخلوا عن إنسانيتهم فسعدوا وابتهجوا بسقوط آلاف الأبرياء قتلى تحت ركام الدمار والانفجار.

الإجابة عن السؤال الثاني بدقة شديدة تحتاج إلى تعريف الإنسانية، فهي (أي الإنسانية) كما هي تعاطف وتكاتف مع الضحايا فهي (الإنسانية نفسها) أحياناً الانتقام والشتم والتشفي، من هنا فردود الفعل إنسانية وتاماً في الحالتين، ومع ذلك فالمحتم أن العرب لم يسعدوا على الإطلاق لمنظر القتلى والضحايا لأنهم أولاً لم يشاهدوا في اللحظة الأولى لا قتلى ولا ضحايا (اليوم الأول كان الكلام عن الضحايا نظرياً ولم تكن شاشات التلفزيون قد أظهرت الجثث بعد وهو أمر لا بد من أخذه في الاعتبار مع ضرورة فهم آخر في السياق نفسه أن العرب يشاهدون كل يوم بل لعله كل ساعة الجثث الفلسطينية فيتألمون والجثث الإسرائيلية فيبتهجون

(ليغطي محبو السلام عيونهم!) لكن الفرحة الأولى والبهجة التي سيطرت على الشارع العربي (لا تصدق من يقول لك إن هذا لم يحدث ولا تخجل كذلك من حدوثه فهم السبب في خشونة قلبك ولست أنت) كان مرده إلى انهيار الغطرسة الأمريكية، تلك الدولة العظمى التي تخيات نفسها ربنا في الوطن العربي تنهار أهرامها (برجا التجارة) ووزارة دفاع الرجل الخرف الفظ رامسفيلد الذي صرح منذ ساعات أن شارون من حقه أن يضرب ويغتال الفلسطينيين، إذا بوزارته رمز الغطرسة والاستعمار تنهار، حذاء ثقيل بنعل حاد يضرب هذا الكائن الأمريكي، كيف لا يسعد الشارع العربي إذن (إن لم يكن الأمر لا يعجبك فهناك متسع في الأيام القادمة لاستشارة الطبيب النفسي) نعم كبرياء أمريكا ينهار أمام أعين بشر مطحون ومقهور ومحتل برعاية ودعم وقوة وغطرسة أمريكا، ما الذي تنتظره منه إن أبسط أمور الإنسانية أن يفرح ويشمت لا يخجل من تلك المشاعر بل يحتضن أخوته وأصحابه ويقبل زوجته وأولاده فرحًا واحتفالاً بسقوط عدوه!

نعم سعد العرب وهو أمر مؤلم أن يسعدوا لهذه الكارثة الإنسانية لكن من حق العرب أن يسألوا عن مشاعر الأميركيان عند سقوط القتلى والجرحى في فلسطين من حليف أمريكا وبسلاح أمريكا، ماذا عن شعورها مع سقوط قتلى مدنيين وأطفال ویتامی من جراء ضربة جوية لبغداد! في المشاعر أيضًا العين بالعين والسن بالسن!

لقد تعامل العرب مع ضرب أمريكا على أنه انتقام من دعمها ورعايتها للصهيونية والعنصرية وتحالفها مع إسرائيل، بل وتمنى عرب كثيرون أن يكون منفذو العمليات أو قاهرو أمريكا عربًا ومسلمين، لأمريكا أن تجزع من تلك المشاعر ولها أن تتدد أو تهدد، تستكر أو تستكف، تهاجم أو تتهجم، تغضب أو تعند، لكن عليها في وقت فراغها أن تسأل نفسها (لو كان لديها وقت) ما الذي يجعل كل هؤلاء البشر يكرهون أمريكا ويرفضون سياستها؟

من الممكن أن تريح أمريكا نفسها وتحافظ على غبائها وتستمر في نجاح ساحق تمارس الفتونة والغطرسة وهو أمر يبدو مع الرئيس بوش الأقرب للاحتمال، وسوف تبطش

وتضرب ولكن لتتظر في أي صباح الطائرة القادمة من بوسطن.. وسوف تظهر!

إذا كانت أمريكا تريد أن تذهب للجنون لتذهب إنز الطريق مفتوح والمواصلات سريعة لكن لا تلومن إلا نفسها فقد ارتفع خيال مواجهة أمريكا وصارت تلك الدولة في متناول الأيدي والبالونة فرقعت والمستضعفون في الأرض المقهورون في كل مكان مستعدون لتسليم جثثهم مقابل توصيل رسائلهم! إنهم يوجعون قلوب العرب بالكلام عن ضرورة الرد الفوري الانتقامي (لا يوجد دليل ضد العرب المسلمين حتى كتابة هذه السطور رغم صدور تصريحات أجنبية إسرائيل في أمريكا) وكأن العرب سيخافون من الرد؛ المرء لا يفهم حجم الهوس والروث الذي نراه في تصريحات الانتقام (هل نتذكر سهمًا عربيًا مسمومًا.. في فيلم الناصر صلاح الدين) كيف سنتقم أمريكا، من ستضرب، ألم يستوعبوا بعد أن الكارثة أن قوتهم لن تفعل لهم شيئاً لأن لا أحد يخشى شيئاً، أين سيضربون.. هناك حارتان لم يحطمهم! قسوة أكثر قوة أفدح.. ليكن الذي فجر أمريكا كان سكين مطبخ، كانت فتاحة جوايات، وهي أسلحة كما ترون لا تحتاج

تفتيش أو مطاردة.. أو غزو أو احتلال. المؤسف أن الإدارات الأمريكية التي تقود مجتمعها إلى الكوارث لا تعي أن الذي يحاربها يحاربها من أجل ظلمها وطمغيانها ثم أنه لا يطلب منها سوى العدل ولا يخاف شيئاً على الإطلاق.. لماذا لا يخاف؟ لأنه ببساطة لا يخاف الموت أليس هذا ما يخاف منه الجميع.. أمريكا لن تدرك سريعاً أنها تحارب الجنة!

لكن من قال إن الجنة في قتل أبرياء يشربون القهوة في مكاتبهم ولا يعرفون عن قضايا المسلمين والعرب أبعد مما يشاهدونه في التلفزيون ورؤيتهم حجاب جارتهم المسلمة وربما لا يكون معظمهم لا يحبون بوش وسياسته (نصف أمريكا أساساً لم تنتخب بوش) فعلاً قتل هؤلاء عمل غير إنساني لكن لا يجوز معه سوى النظر بزاوية أخرى لمن نفذ هذه العمليات، هل كان يفعل ذلك إرهابياً مع أمريكا أم أنه يعتبر نفسه في حالة حرب مع قوى الولايات المتحدة الأمريكية وعسكرها وإدارتها وسيطرتها ورسوليتها وخطورتها وعتوها ضد الفلسطينيين، هنا يتصور فاعل هذه العمليات (ومعه الذي ابتهج بها) أن ما فعله مقاومة مسلحة

وحرِبًا مضادة ومن ثم يصير طبيعياً أن يكون هناك ضحايا من الأبرياء، ألم تقتل أمريكا نفسها آلاف الأبرياء في هيروشيما ونجازاكي في اليابان، كانت الأهداف مدنية وكان الضحايا مدنيين ولم تفرز القنبلة وهي تنفجر هذا مدني وهذا عسكري! ورغم أن الجنة ومن يدخلها علمها عند ربي لكن من حق صاحب هذه العمليات أن يراها فوزاً بالجنة فهو يرى نفسه حق يواجه باطلاً!

الهستريا القائمة الآن في أمريكا ضد العرب والرغبة المحمومة من الشعب الأمريكي في ضربة عاجلة وقاسمة للإرهاب دليل على أن مشاعر الانتقام والثأر هي الحاكمة لهذا المجتمع الذي يظن نفسه حضارياً بل ورمز الحريات والحضارة أليس غريباً أن يرفض المجتمع الأمريكي تنفيذ عقوبة الإعدام للأفراد مخافة تحول المجتمع إلى قاتل لا يقل وحشية وعدواناً عن القاتل الذي ينفذ فيه عقوبة الإعدام، بينما يطالب الآن بالقتل والإعدام العاجل السريع الجماعي للدول أو الشعوب التي تقف وراء ذلك الهجوم على أمريكا، هل هذه هي الإنسانية التي غضب من أجلها الأمريكان حين فرح العرب بما جرى!!

ليكن لتصبح حكومة وإدارة أمريكا كما هو منتظر منها بالضبط، غاشمة وعنصرية وعدوانية ومتغترسة واستعمارية وترد الضرب حالاً فوراً! لكن أين ستضرب ومن؟ هيا لتخرج الإنسانية أسوأ ما فيها، شماتة من الشارع العربي، وانتقام سافل غبي وغاشم من أمريكا، إذا كان للمسلمين والعرب علاقة بالهجوم فهل ستضرب أمريكا العرب والمسلمين؟ هل المفروض أن ترتدع قلوبنا وترتجف جلودنا خوفاً من أمريكا، إذن لتزداد الكراهية لتتعمق لتترسخ ليستعد كل من يريد الانتقام مرة أخرى من أمريكا؛ حقاً هل غاب العقلاء عن هذا البلد؟ هل خرج العقلاء ولم يعودوا إلى الولايات المتحدة فكل ما يفكرون به يخدم الأزمة ولا يقدم الحل، فمن المؤكد أنه لا توجد دولة عربية أو مسلمة وراء ما حدث، هناك أفراد داخل شعوب وراء ما جرى وهناك الشعوب نفسها التي سعدت بضرب أمريكا (وليس سعادة بقتل الأبرياء.. هناك فرق!) فماذا ستفعل الإدارة الأمريكية التي لم يعد أحد في العالم إلا ويشكو من غيابها وغترسة رجالها (صباح الخير يا رامسفيلد يا وزير الدفاع الإسرائيلي في أمريكا!! لتبحث عن عمليات اغتيال مستهدفة تتخذ عارك)

أغلب الظن أن الولايات المتحدة تريد أن تضرب أشباحًا،
أشباح دول أو أشباح منظمات، والمحصلة أن التعنت
الأمريكي والعنف والعدوان والرعاية والدعم الأمريكي
سيظل قائمًا لإسرائيل.. إن أمريكا مذهولة من هذه الشعوب
العربية التي تسند حكامها وتمنح شعوبها المعونات والأموال
ويكرهونها، ولا تعرف أميركا (أو تستعبط) أن المعونات
والمنح لا تهم أحدًا حتى الجوع والفقر، الذي يهم (لتستعد
أمريكا للمفاجأة) هو المسجد الأقصى والقدس ودماء
الفلستينيين الزكي النقي التقي.

هل ينادي الحجر والشجر على المسلم
لقتل اليهود؟

حاول المسلمون بعد الهزائم العربية أمام إسرائيل أن ينتصروا بترديد الأحاديث النبوية الشريفة (لا العمل بها) تعويضًا عن الانتصارات العسكرية وامتد في العالم العربي والإسلامي هذا الحديث النبوي الشريف الذي صار محفوظًا في القلب قبل الذاكرة ويتردد على نحو مقدس دون أن نفهمه بدقة وبعمق؛ الحديث عن النبي ﷺ أنه قال "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله - أو يا مسلم - هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله" البعض يردد الحديث على أننا سنحارب اليهود إلى يوم القيامة (وكأننا هكذا لن نتصر عليهم أبدًا!!!) وأنا سوف نتصر على اليهود بمساعدة من معجزات سماوية حيث ينطلق الشجر والحجر ويحاربون معنا (وكأننا لا نستطيع الانتصار على اليهود إلا بالمعجزات؛ ملائكة في حرب أكتوبر وحجر وشجر بعدها!) والحديث ضلع أساسي في الدعم المعنوي الذي نقدمه لأنفسنا في معركتنا المهزومة عسكريًا مع إسرائيل لكن التأمل فيه فعلاً يستحق التوقف والتبين فهو كما قلنا يوحى لكثيرين أنها حرب حتى القيامة والنصر يوم الحشر على هذا النحو مما يعمق لدينا اليأس من

النصر القريب فعلاً كذلك فإن مواجهة العدو والانتصار عليه يحتاج وفق الفهم المباشر للحديث إلى معجزات فوق البشر وأبعد عن التحقق في هذا العصر، وقد شرح صدري أن الشيخ الجليل يوسف القرضاوي قد رد على سؤال حول هذا الحديث في موقعه على شبكة الإنترنت (إسلام أون لاين) ليلة ٢٣/١٠/٢٠٠١ وجاء في السؤال نفس الفهم العام والهام حيث سأل السائل: (وسؤالي: هل يفهم من الحديث أن معركتنا مع اليهود ستستمر إلى قيام الساعة، وهل يدل الحديث على أن الحجر والشجر ينطق حقيقة؟ وهل يكون "كرامة" للمسلمين؟ وهل المسلمون اليوم أهل لهذه الكرامة، أو أن هذا علامة أخرى على قرب قيام الساعة كما يشير أول الحديث؟. (ينتهي السؤال الذي يعكس كل مخاوف فهم الحديث دون عمق ما فيه وألم ما فينا؛ فكيف أجاب الشيخ القرضاوي..

أول الأمر أن الحديث صحيح (فهكذا بدأت إجابة الشيخ) فقد صح من حديث ابن عمر، ومن حديث أبي هريرة. فقد روي الشيخان عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى

يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورأى
فاقتله" (ذكره في: صحيح الجامع الصغير برقم - ٧٤١٤)،
وفي رواية لمسلم: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون
اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء
الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد
الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله.. إلا الغرقد، فإنه من
شجر اليهود" (ذكره في: صحيح الجامع الصغير أيضاً
٧٤٢٧)، ورواه الشيخان من حديث ابن عمر بلفظ: "تقاتلون
اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر،
فيقول الحجر، يا عبد الله، هذا يهودي ورأى فاقتله" (ذكره
في صحيح الجامع الصغير - ٢٩٧٧).

فالحديث من حيث سنده صحيح بغير نزاع، وهو من
أعلام نبوة رسولنا ﷺ.

وقد مضت قرون، وقارئ هذا الحديث يعجب مما تضمنه
من نبأ لا ينبئ عنه الواقع الملموس لحال المسلمين وحال
اليهود، نحو ثلاثة عشر قرناً.

فقد كان اليهود في ذمة المسلمين وحمايتهم، وقد اضطهروا
في كل أنحاء العالم، ونبذهم أصحاب الملال كلها، ولم يجدوا

داراً تؤويهم وتحوطهم إلا دار الإسلام، ولم يجدوا من يحميهم ويذود عنهم وعن حريتهم الدينية والمدنية إلا المسلمين، الذين اعتبروهم أهل كتاب، وأعطوهم ذمة الله ورسوله، وذمة جماعة المؤمنين، فكيف يحدث قتال بينهم وبين المسلمين؟ وكيف يقا تل الإنسان من يحميه ويعيش في كنفه؟ ومن أين لهم القوة حتى يقاتلوا المسلمين؟!) وهنا استوقف إجابة الشيخ القرصاي لأعود وأؤكد حين أكرر أن آخر معركة دارت بين المسلمين واليهود في بدايات عهد الفاروق عمر بن الخطاب وبعدها لأكثر من ١٣ قرناً لم يحارب المسلمون ولم يقتلوا أو ينكلوا باليهود (بما فيها فترة الحروب الصليبية وحروب الأندلس وأن الحرب التي بدأت في فلسطين الذي أشعلها وفجرها وكان فيها الفاجر المحتل والغاصب هم اليهود ولأنهم يهود؛ نعود لفتوى الشيخ القرصاوي حيث يضيف:

وقد بدأ القتال بالفعل بين المسلمين واليهود، منذ اغتصبوا أرض فلسطين، وأخرجوا أهلها من ديارهم، وانتهكوا كل الحرمات، وغدا المسجد الأقصى أسيراً في أيديهم، وهم

يخططون لهدمه؛ ليينوا هيكلمهم على أنقاضه، والمسلمون في غمرة ساهون، وفي غفلة لاهون.

ولكننا مؤمنون بأن المعركة التي نبأ بها الحديث الصحيح قادمة لا ريب فيها، تلك المعركة التي "يسلط" فيها المسلمون على اليهود، بعد أن كانوا هم المساطين على المسلمين، تلك المعركة التي "يقاثل المسلمون فيها اليهود، فيقتلهم المسلمون" بعد أن مضت سنون وعقود، والمسلمون يقتلهم اليهود!!.

هذا المعركة التي أخبر بها الحديث الشريف آتية لا ريب فيها، هذا ما يوقن به كل مسلم، ويترقبه كما يترقب قدوم الفجر بعد ظلام الليل.

ولكن متى؟... علم ذلك عند الله عز وجل.

قد تكون غداً. أو بعد غد... أو بعد ما شاء الله من السنين.

المهم أن هذه المعركة، كما ينبئ بها الحديث ليست معركة وطنية ولا قومية... إنها معركة دينية.

إنها ليست معركة بين العرب والصهاينة كما يقال اليوم،
وليس معركة بين اليهود والفلسطينيين، أو بينهم وبين
السوريين أو العراقيين أو المصريين.

إنها "بين المسلمين واليهود" هذا ما جاء في الحديث
بصريح العبارة، فليست معركة "قناة" من المسلمين ضد "قناة"
من اليهود، بل معركة "مجموع" المسلمين، مع "مجموع"
اليهود، كما يفهم من الألفاظ. هنا أتوقف مع الشيخ
القرضاوي لأختلف معه حيث إن الحديث الشريف نص على
مسلمين ويهود في ساحة معركة وحرب حيث يدور القتال
والاقتتال ومن ثم فالقطع النبوي هنا واضح حيث يقتصر
على اليهود المعادين المحتلين والغاصبين حتى ينهزموا
ويرتدوا على أعقابهم فحرر الأرض وبنقذ الوطن ونستعيد
الشرف وليست هي حرب إبادة لكل يهودي وليست نحرًا بل
هي تحرر فضلاً عن العصر النبوي لم يكن به لا مصري
ولا عراقي ولا فلسطيني كانت الجزيرة هي أرض الإسلام
والعروبة ومن ثم التعيين في الحديث أمر بعيدًا تمامًا والتعميم
هو اللازم.. لذا لزم التنويه حتى نعود مرة أخرى إلى

استكمال الفتوى كتابة وقراءة؛ يمضي القرضاي قائلًا في فتواه.

والواقع إلى اليوم أن مجموع اليهود يقاثلوننا بكل ما لديهم من طاقة، بذلوا أموالهم وهم أبخل الناس بالمال، وجادوا بنفوسهم وهم أحرص الناس على حياة، ولكنهم أخذوا الأمر جدًا لا هزل فيه، وخططوا وصمموا وأجمعوا ونفذوا.. مستمدين قوتهم من تعاليم التوراة، وأحكام التلمود.

أما نحن، فما زال الإسلام مستبعدًا من معركتنا معهم، وما زال الكثيرون منا يريدونها معركة قومية لا دخل للدين فيها، ولا صلة له بها، فهم يجتمعون تحت راية اليهودية، ونحن لا نجتمع تحت راية الإسلام، وهم يحترمون السبت، ونحن لا نحترم الجمعة، وهم يتنادون باسم موسى، ولا نتنادى نحن باسم محمد ﷺ.

ولابد أن نصارح أنفسنا: إننا إذا أردنا أن نتحقق معركة النصر الموعودة، فلا بد لنا أن نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا، لابد لنا أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، كما قال أبو بكر لخالد.

وهذا ما نادينا به، ونادى به كل المخلصين الذين أنار الله بصائرهم، وعرفوا الطريق الصحيح والوحيد لتحرير فلسطين (وليسمح لنا شيخنا الجليل في وقفة نوافقه فيها تمامًا على أن الدين تم استبعاده من غلاة ومتطرفي اليسار والقومية الليبرالية فيما مضى رغم أن الدين هو المفجر للثورة ضد إسرائيل ورغم أن المساس بالأقصى هو الذي جعل انتفاضة الأمة تقود وتسود حتى النصر بإذن الله ورغم أن قدسية القدس هي التي أوقفت مسلسلات التنازل والاستسلام على موائد التفاوض؛ لكن يا سيدي الجليل نحن لم ولن نقف بين النضال ضد العدو الإسرائيلي ومن يرغب من إخواننا الأقباط والمسيحيين العرب العظام والأحرار ولن نحول بين القوميين المؤمنين بعروبتهم دون شرف الدفاع عن الأرض والعرض بل ولن نرفض الأيدي الممدودة من كافة شعوب الأرض بالكلمة والفعل والحرب أحياناً من أجل فلسطين وكل من يرى إسرائيل غاصبة ومعتدية؛ أخشى أن الذي يريد تحويل المواجهة إلى دين ضد دين يرتكب نفس مأساة الإبعاد لشركاء في النضال والكفاح لمجرد رؤيته المختلفة والمغايرة وهو ما ارتكبه فرق فكرية وسياسية وآل الأمر إلى ما آل

إليه ثم قد يفهم البعض من فتواك يا شيخي أن فلسطين ستحرر لتكون وطناً للمسلمين فقط وأنا أعلم يقيناً أنك ترى فلسطين الحرة وطناً لشعبها من المسلمين والمسيحيين بل واليهود إن سلموا واستسلموا ليست معركة بين دين ودين بل معركة بين مسلمين وعرب يرفعون راية الإسلام والحق والعروبة بل والإنسانية ضد يهود صهاينة عنصريين محتلين.. وهذا قولتي).

ويمضي الشيخ الفاضل القرضاوي في فتواه ويقول:
وهنا نتساءل: أيكون نطق الحجر والشجر بلسان المقال أم بلسان الحال؟.

والجواب: أنه لا يبعد على قدرة الله تعالى أن ينطق الحجر الأصم، وما ذلك على الله بعزيز، ويكون ذلك كرامة للمؤمنين من باب خوارق العادات، وقد رأينا في عصرنا من العجائب المذهلات، ما قرب إلينا كل ما كان يستبعده الماديون الجاحدون.

على أنه لا مانع أن يكون نطق الحجر والشجر بلسان الحال، وقد قيل: لسان الحال أفصح من لسان المقام. والكلام لغة: كل ما يفيد معنى، وإن لم يكن بطريق النطق المعتاد.

المهم أن من كان النصر حليفه كان كل شيء يعمل لحسابه، ويدل على عدوه، حتى النبات والجماد، ومن كتب عليه الخذلان، كان كل شيء ضده، حتى السلاح الذي في يديه). وهنا لا مناقشة لظهور الخوارق التي يظن شيخنا القرضاوي أنها قد تكون معجزة ولم لا؛ ولكننا نرى أن الركون إلى المعجزات يسلمنا إلى التواكل وهو مما لا ينقصنا في حقيقة الأمر كمسلمين بل أظن أن الحجر والشجر كأنهما أقمار صناعية تكشف وتضج وتذيع وكأنها أجهزة استشعار عن بعد مركبة فوق أشجار وأحجار إما أن ينطق الحجر فعلاً فهي كرامة لا وجود لها ولا أمل فيها ولا معنى لانتظارها فالذي يدافع عن أرضه ويحرر مقدساته ليس في حاجة إلى معجزات لم يقدمها الله عز وجل لرسوله إلا في بدر الكبرى ولا قبلها ولا بعدها إنه دين العقل والإرادة لا التواكل والمعجزات! ولنعود إلى فتوى شيخنا حيث يقول:

أما سؤال الأخ: هل يفهم من الحديث أن معركتنا مع اليهود ستستمر حتى قيام الساعة؟.

فالجواب: إن الصيغة لا تفهم يفهم منها ذلك بالضرورة، إنما تدل على أن الأمر الواقع بعد حرف الغاية "حتى" سيقع لا محالة ولا ريب في ذلك قبل قيام الساعة، وكلمة "قبل قيام الساعة" تمتد من بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن تطوى صفحة هذا العالم، وبعبارة أخرى: إلى أن تقوم الساعة.

وقد نظرت فيما ورد بهذه الصيغة "لا تقوم الساعة حتى..." في كتاب صحيح الجامع الصغير، فوجدته قد أورد خمسة وعشرين حديثاً، منها ما قد وقع بالفعل، أعني ما بعد "حتى" ومنها ما لم يقع، ولا زال منتظر الوقوع.

فما وقع: ما جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري: "لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي أخذ القرون قبلها، شبراً شبراً، وذراعاً بذراع، قيل: يا رسول الله: كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا أولئك؟" (صحيح الجامع الصغير).

وتقليد الأمة لم قبلها من الأمم، وإتباعها لسنتها شبراً شبراً، وذراعاً بذراع، قد وقع وأسفاه، وكلنا يشكو منه..

ومنها: ما جاء في حديث أنس عند أحمد وابن حبان: "لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد" (صحيح الجامع

الصغير). أي التباهي بزخرفتها وفخامتها، وهذا قد حدث منذ قرون.

ومنها: ما جاء في عدد من الأحاديث: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك.." (صحيح الجامع الصغير).، وقد حدث هذا من قرون، ثم هدى الله الترك، ودخلوا في الإسلام، وأصبحوا من أعظم المقاتلين من أجل الذود عنه، وإعلاء كلمته.

وهناك أمور تضمنتها أحاديث أخرى لم تقع بعد، مثل: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها". ويبدو أن السائل ظن أن الانتصار على اليهود، من هذا النوع المؤخر إلى قرب الساعة، ولا دليل في الحديث على ذلك.

بل المرجو - إن شاء الله - أن ذلك قريب، وقد لاحت نبأشيرته، وظهرت بوأكيره، في الصحوة الإسلامية المرجوة لغد هذه الأمة، وفي ثورة المساجد، ثورة أطفال الحجارة، وحركة المقاومة الإسلامية الصامدة الباسلة، وفي التنادي في كل مكان بضرورة العودة إلى الإسلام، وهو ما يبشر بقرب يوم النصر ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة: ٢١٤.

والله أعلم.. انتهت الفتوى ويبقى أن نشير بكل امتنان
مذهل للحركة الإسلامية الساطعة في فلسطين لكن المعركة
لنصرة فلسطين ليست حكرًا على جماعة أو فريق والنصر
قادم بإذن الله بتحالفنا جميعًا وإيماننا كلنا وراية الإسلام الدين
والحضارة ترفرف فوقنا جميعًا وتحتها رايات الحق والعدل
والعروبة والإنسانية؛ والصيحة الصحوه هي الإيمان المطلق
بأن المعركة تدور اليوم ولا تنتظر يوم القيامة والحرب ضد
إسرائيل هذه الساعة وليس يوم قيام الساعة..!

بٲرول مصر لإسرائیل

أما بعد..

فلا بعد ولا قبل..

لا في الروح منفذ للطلوع ولا في العروق عرق لم
يحترق دمه.

فإذا كان الواحد يستطيع أن يتحمل رؤية خيانة الساسة
والحكام لفلستين ولفلسطينيين من كثرة ما رأى ومن كثرة
الخونة إلا أنه لا يقدر على تحمل تبرير البعض وتفسير
الكثيرين للخيانة ورفعهم من شأن وحكمة الخونة!

وما كنت أحب أبدًا أن أتهم أحدًا بالخيانة مهما كان (رغم
إيماني بوجود خونة بالطبع)، لكنني ما كنت أتمنى أيضًا أن
تصبح الخيانة وجهة نظر ورؤية استراتيجية وحكمة قيادية
ونظرية ملكية أو رئاسية ثابتة يطالبون الشعب ليس فقط
بالسكوت عنها بل بتصديقها وبمبايعتها!!

المؤكد يا جماعة أن حكومة مصر لا تريد أن تحارب
إسرائيل ولا أن تطرد سفيرها ولا أن تقطع علاقتها مع
الصهاينة وهي كالثور الحرون مصممة تمامًا على أن تفعل
ما تراه رغم أن ما يراه الشعب والمواطنون عكس وضد
ذلك، لكن في الزمن الذي نشاهد صورًا لطلبة مجبرين

ومقهورين يقدمون وردًا لقتلة زميلهم ويشكرون رئيسهم أنه أمر بالتدخل في أمور القضاء والقدر وأفرج عنهم بينما حكومته هي التي سجنتهم بتهمة الاعتراض والاحتجاج على إسرائيل والوزير الأمريكي باول (الذي يأتي لينشر بعضًا من فيض بوله على ساستنا!)، في هذا الزمن لنا أن نتحمل ما لا يتحملة البقر ما دام يحكمنا ما لا يمكن للبقر أن تقبل بحكمهم! المهم ما يجب أن يعرفه كل طفل وشاب ومواطن ومواطنة في مصر ويكرره لنفسه في الصباح والمساء؛ أن حكومة مصر المحروسة بالمرتجفين من مواجهة إسرائيل عدوهم وعدو العرب وعدو الله!! هي التي تزود دبابات العدو الصهيوني بالبتروال والنفط الذي تمشي به وتسير وتسافر وتقتحم الدبابات والطائرات الإسرائيلية فلسطين شعبًا وأرضًا لتقتل وتدمر الفلسطينيين وفلسطين أيهما أقرب!، نعم أيها الشعب الكريم فإن ٨٠% من البتروال الذي تستورده إسرائيل من مصر، من حقول بتروال سيناء، آه والله العظيم ثلاثة، وإذا كانت الحكومة يمكن أن تنصب علينا وتقول إن توريد وتزويد بتروال مصر لإسرائيل إنما هو طبقًا لاتفاقية معاهدة السلام مع إسرائيل (!!)) فالرد الباتر الحاسم أن مدة هذه

الاتفاقية بنودها العلنية والسرية تنتهي بعد عشرين عامًا من توقيعات أي أنها انتهت عام ١٩٩٩ فلماذا ما زلتم تزودون دبابات وطائرات ومدركات وسيارات قتلة إسرائيل بالبتروال المصري؟، لماذا تشاركون في العدوان على فلسطين والشعب الفلسطيني العظيم المقاتل المقاوم، قلتم لن نحارب ولن نقاطع ولن نطرد أو نسحب سفيراً، وضربتم وقتلتم مواطني مصر المتظاهرين الغاضبين وأعلنتم في مذلة أن سلامكم سلام استراتيجي وأنكم ستتهزمون لو حاربتم وأن سيناء يمكن أن تضيع مرة أخرى لو هاجمتنا إسرائيل، وكل هذا جبن صار طبيعياً ومفهوماً فمتى كنتم غير ذلك؟ أنتم أبطال علينا، فرسان ضدنا، بوسائل أماننا وليس على أو ضد أو أمام العدو أمريكياً كان أو إسرائيلياً!

لكن كله كوم وأن تكونوا المورد الأول والرئيسي لبتروال مصانع أسلحة ودبابات ومدركات إسرائيل فهذا ما لا يطيقه أحد، لا تدافعون عن فلسطين.. ماشي، وأن تضغطوا على عرفات كي يوقع بيان هزيمة.. مش أول مرة!!، لكن أن تشاركوا في قتل الفلسطينيين فهذا العار كامل ومكمل!!

نحن الشعب المصري للأسف نشارك بثروتنا من البترول
بأوامر حكومتنا في قتل الفلسطينيين وكل دبابنة ترمي
بمدافعها منزلاً أو مواطناً فلسطينياً إنما يجلس في مخزن
وقودها مواطن مصري يحمل في راحة كفيه بترولاً، نحن
شركاء للقتلة الصهاينة نحن نقتل أعظم المناضلين والشجعان
الفلسطينيين، نحن نشارك بترولنا في حصار عرفات!!

نحن قتلة بفضل بعض السفلة!!

فهل نصمت، وهل نرضى، وهل نرضخ؟

انتبهوا اصرخوا احتجاجوا عارضوا اذهبوا لحقول البترول
المصرية أيها المصريون وتفرجوا على أول زناد يضرب
فلسطين، على أول طلقة رصاص في صدر فلسطين!

نحن قتلة بفضل بعض السفلة!!

نحن لسنا فقط نسلم ونستسلم للعدو الإسرائيلي بن نحن
نساعد ونشاركه في قتل شقيقنا وعدوه الفلسطيني!
ليس السلام فقط إذن الخيار الاستراتيجي.. بل الذل خيار
استراتيجي!

نحن قتلة بفضل بعض السفلة وإن لم تصدقوني فاسألوا

السفلة!

تحرير فلسطين من أعدائها.. وحكامها!

قلنا بدل المرة ألفا أن الديمقراطية هي طريق تحرير فلسطين من العدو الإسرائيلي، فالديمقراطية تحررنا لنملك تحرير فلسطين، والديمقراطية ليست مطلوبة في السيادة الفلسطينية وعند عرفات فقط بل هي واجبة وحتمية في البلاد العربية كلها كي نخرج من دائرة العجز وطوق التخلف وحظيرة العبودية لحكامنا وحكوماتنا، وتحاول إسرائيل منذ فترة أن تقنع العرب أن نشأة ديمقراطية عربية في المنطقة هو الذي سيوفر عقد سلام (استسلام) مع إسرائيل، وهي محاولة لتشويه صورة الديمقراطية لدى المواطن العربي وتقديمها على أنها استسلام وانهزامية ومن ثم فقدان الثقة بها وعدم الأمان لها، بل وتفضيل الديكتاتورية والطغيان العربي على الديمقراطية المطلوبة إسرائيليًا من أجل الاستسلام وضياع الأرض!

والحقيقة إن بعد ما تريده إسرائيل في منطقتنا العربية هي ديمقراطية تصعد بحكام منتخبين شرعيًا إلى مقاعد رئاسات الدول والحكومات، حيث إن الكفيل والضامن لحالة العجز والهوان والهزيمة والرخاوة العربية هو الطغيان الحكومي الجمهوري والملكي وتزييف إرادة الشعوب وعبودية وتأليه

الحكام وتوريث الحكم والحكومات وغياب الديمقراطية
وتداول السلطة في بلادنا تمامًا!!

من هنا أود تقرأوا معي مقالين منشورين في جريدة
إسرائيلية (أتمنى أن يصلنا لكما كاملين!!) لتدركوا كيف ينظر
لنا عدونا؟ وإلى أي حد تعرف إسرائيل تعرية الطغيان
العربي أمام العالم، ثم كم هو محزن أن تكشف أقلام
إسرائيلية عورات أمتنا ولا نستطيع إلا أن نوافقها على خيبتنا
ومهانتنا كشعوب أمام الحكام والحكومات، مثلاً كتب جاري
بيخور في يديعون أحرنوت في عدد ٢٠٠٢/٥/٣٠ يقول
بالنص.

"يتكلم الكثيرون في المنطقة وفي الولايات المتحدة عن نية
أو ضرورة ياسر عرفات لتنفيذ إصلاحات هيكلية وسياسية في
السلطة الفلسطينية، بما في ذلك انتخابات جديدة لرئاسة
السلطة الفلسطينية وانتخابات للمجلس التشريعي الفلسطيني
أكثر انفتاحًا، لسوء الحظ، من ينتظر أن تنفذ إصلاحات
هيكلية كهذه قريبًا، لا يفهم الواقع السياسي في المنطقة - بما
في ذلك في السلطة الفلسطينية - منذ أكثر من خمسين عامًا.
وبما أننا لا نتوقع إجراء إصلاحات هيكلية في المملكة

العربية السعودية، في مصر أو في سوريا، فلا يمكن لنا أن نتوقعها في السلطة الفلسطينية، عادة عندما يواجه زعيم عربي مأزقاً معيناً، فيجري استفتاء أو نوعاً ما من الانتخابات. ولا ينوي الزعيم تنفيذ عمل ديموقراطي، إنما استعادة ثقة شعبه، بالنموذج الكلاسيكي لنظام العالم العربي، وهو نموذج البيعة. هذا شبه عقد بين الزعيم، الملزم بتحقيق الاستقرار الاجتماعي لشعبه، وبين الجمهور العام، الملزم بالطاعة غير المحدودة. يتم تجديد البيعة إزاء حدث فاك، وهكذا يفعل الزعماء العرب في الشرق الأوسط. للوهلة الأولى يبدو أن الدول العربية تتأسس على مؤسسات ديموقراطية مثل الدستور والبرلمان وحرية الصحافة وحقوق الإنسان والاستفتاء، وأما المفهوم المركزي فعلياً، فهو البيعة الثابتة القديمة بين الزعيم والرعية. وهكذا حدث أن بعض الدساتير العربية، من بينها المصرية والتونسية، جرت على تعديل يحدد فترة حكم الرئيس، لكن تم تعديلها بسرعة، وذلك لمفهوم البيعة الذي يسمح للرئيس بالاستمرار في الحكم حتى وفاته.

هل لديك أي تعليق رافض أو ناقد لما كتبه هذا الصحفي الإسرائيلي (الفاهم)، طيب خذ عندك مقالاً آخر من كاتب إسرائيلي هو سيفر فلوتسكر في نفس الجريدة يدعوت أحرنوت بتاريخ ٢٠٠٢/٦/٣ كتب يقول:

"أخذت العربية السعودية ومصر على عاتقهما، مسئولية الضغط على ياسر عرفات كي ينفذ الإصلاحات الديمقراطية في السلطة الفلسطينية. ومنذ ذلك الوقت تدور نقاشات يقطعة، لكنها غير محسومة، حول السؤال الفضولي: هل يمكن لعرفات شخصياً قيادة هذه الإصلاحات، أم أن استبداله يعتبر شرطاً أساسياً لجعل السلطة الفلسطينية ديمقراطية.

لكن النقاش لا يجري حول مسألة لا تقل أهمية، وهي: كيف يمكن للقيادة السياسية في بلدين غير ديمقراطيين أن تكون العراب والأب الروحي للديمقراطية الفلسطينية؟

وكيف يمكن للفلسطينيين أنفسهم التعامل باحترام مع مطلب إجراء الإصلاحات وسماع مواظ الديمقراطية من أنظمة لم تمنح الحقوق الأساسية، الديمقراطية والإنسانية لمواطنيها؟ هل سيتعلم الفلسطينيون من السعودية ومصر آداب الليبرالية السياسية؟ هذا ليس جدياً، من لا ينتهج

الديمقراطية في بلاده لا يمكنه أن يكون كذلك خارج بلاده، أيضاً. إن النخبة الحاكمة في العالمين العربي والإسلامي، بما في ذلك السعودية ومصر، تتخوف حتى الموت، حتى من إمكانية قيام وترسخ ديمقراطية عربية - علمانية، في السلطة الفلسطينية، تكون نموذجاً ومصدر إلهام. بالنسبة لهم، من المفضل بقاء عرفات، فهو على الأقل يعتبر منهم، من سلالة الدكتاتوريين والحكام المنفردين.

إذا كانت المؤسسة السعودية معنية إلى هذا الحد برؤية الإصلاحات في الشرق الأوسط، فلتبدأ تطبيقها في بلادها، والأمر نفسه يقال بالنسبة للحكومة المصرية. فالديمقراطية، تبدأ في البيت أولاً".

انتهى المقال الإسرائيلي الكاشف الفاضح لما يجري في أمتنا.. وقد كسر عيوننا، تماماً كما يكسر حكمانا ظهورنا!!

الحقيقة أن فلسطين سوف تتحرر عندما تتحرر من صناديق انتخاباتنا العربية من التزوير والتزييف وعندما تتحرر صحافتنا وإعلامنا ومثقفونا من النفاق والقمع، وعندما تتحرر أحزابنا العربية من عملاء الأجهزة الأمنية العربية والأجنبية، فالعبيد لا يحررون أحداً ولا يستردون وطناً، كما

أن الطغاة لا ينتصرون في أية معركة إلا عندما تكون
المعركة ضد شعوبهم!!

زفرة العربي الأخيرة

هي ذات المعركة في كل مرة ومنذ مئات السنين، هل
نقاوم أم نسلم؟، هل نستشهد دفاعًا عن أرضنا ونحارب دفاعًا
عن الدين والأرض والعرض ولا نشترى دماغنا ونعمل لنا
واحد خيار استراتيجي ونوقع على معاهدات في كامب الكوفة
أو جنب أوسلو! ونخلص.. وطنش تعش تنتعش،!

وفي كل مرة هناك أيضًا علي بن أبي طالب ومعاوية،
وهناك الحسين ويزيد بن معاوية، وكل واحد ورجاله، من
يطلب النعش نصرًا ومن يطلب العرش قصرًا، ومن يطلب
الجنة بالسيف ومن يطب البيت الأبيض بالتليفون!!

ومنذ خمسمائة عام وأكثر كان الأسبان قد حاصروا
غرناطة آخر ممالك الأندلس الإسلامية واشتد الحصار
وبلغت أهواله حدًا مريعًا وبينما كان الملك عبد الله أمير
غرناطة داخل قصر الحمراء أشهر قصور الدنيا، ملتحًا
فرعًا كان هناك فارس عربي يقود آخر المعارك، إنه موسى
بن أبي غسان بطل الفرسان الذي كان يصيح على أسوار
غرناطة: "لم يبق لنا سوى هذه الأرض التي نقف عليها فإذا
فقدناها فقدنا الاسم والوطن" ولكن كما يقول د. محمد عبد الله
عنان أعظم مؤرخي الإسلام في مجلده الجامع (دولة الإسلام

في الأندلس) وهو ما يمثل مرجعي في هذه السطور، يقول
إن الأوامر جاءت بالتسليم والاستسلام!

وكان أمير غرناطة نفسه (ومعه وزراءه وقواده) كانوا قد
اتفقوا مع ملك قشتالة الأسباني العدو سرًا على تسليم غرناطة
ولم يجروا على المجاهرة بعزمهم هذا خشية ثورة الشعب
ضدهم، وتزيد الحكايات على ذلك بأن القواد المسلمين الذين
اضطلعوا بهذه المفاوضات تلقوا تحفًا وأموالًا جزيلة من ملك
قشتالة (هل وضعوها كالعادة في بنوك سويسرا؟) وفي نفس
الوقت الذي عقدت فيه معاهدة التسليم عقدت معها معاهدة
سرية أخرى يتم فيها منح الأمير أبي عبد الله وأفراد أسرته
وزرائه منحة خاصة من ضياع وأراضٍ (عرفت لماذا
يقضي الملوك والرؤساء العرب حتى الآن مصايفهم في
أسبانيا إنهم ينعمون بورث أجدادهم الذين باعوا العروبة
والإسلام من زمان!) وأموال نقدية وحقوق مالية وغيرها.

وحينما اجتمع الزعماء والأمراء والنواب وأعضاء مجلس
الشعب والشورى والأعيان والتجار ورجال الأعمال ورؤساء
الأحزاب في بهو قصر الحمراء الكبير ليقعوا عهد التسليم
وليحكموا على دولتهم بالذهاب وعلى أمتهم بالفناء لم يملك

كثير منهم نفسه من البكاء والعيول (شهيدًا شهيدًا شهيدًا!!)
ولكنه وحده موسى بن أبي الغسان لبث صامتًا عابسًا ثم قال:
"تركوا العويل للنساء والأطفال فنحن رجال لنا قلوب لم
تخلق لإرسال الدمع ولكن لتقطر بالدماء وإنني أرى روح
الشعب قد خبت حتى ليستحيل علينا أن نوقظ غرناطة ولكن
ما زال أمامنا سبيل للنفوس النبيلة؛ ذلك هو موت مجيد
فلنمت دفاعًا عن حرياتنا وانتقامًا لمصير غرناطة وسوف
تحتضن أمنا الغبراء أبناءهم أحرارًا من أغلال العدو وعسفه
وإن لم يظفر أحدنا بقبر يستر رفاتة، فإنه لن يعدم سماء
تغطيه وحاشا الله أن يقال إن أشراف غرناطة خافوا أن
يموتوا دفاعًا عنها" ثم صمت موسى وساد المجلس سكوت
الموت وسرح أبو عبد الله البصر حوله فإذا اليأس مائل في
تلك الوجوه التي أضناها الألم وإذا كل عزم قد خاب في تلك
القلوب الكثيرة الدامية عندئذ صاح: الله أكبر لا إله إلا الله
محمد رسول الله ولا راد لقضاء الله والله لقد كتب عليّ أن
أكون شقيًا وأن يذهب الملك على يدي وأنه لا مفر
ولا مهرب وأن شروط ملك الأسيان أفضل ما يمكن
الحصول عليه (دولة على أقل من ٢٢% من فلسطين عفوًا

من غرناطة!) فلما رأى موسى أنهم بدأوا فعلاً توقيع صك التسليم نهض غاضباً وصاح: "لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا إن الأسبان سيوفون بعهودهم ولا تصدقوا كلام ملكهم، اسمعوني فإن الموت أقل ما نخشى فلا يزال هناك ما سيفعلونه من نهب مدننا وتدميرها وتدنيس مساجدنا وتخريب بيوتنا وهتك نسائنا وبناتنا وأماننا معاناة الجوع الفاحش والتعصب الوحشي والسياط والأغلال وأماننا مصير السجون والأنطاع والمحارق، هذا ما سوف نعاني من مصائب وعسف وقهر وقمع وهذا ما سوف تراه على الأقل تلك النفوس الوضيعة التي تخشى الآن الموت الشريف". ثم غادر المجلس عابساً حزيناً غاضباً وخرج من القصر دون أن ينظر لأحد أو ينطق بكلمة ثم ذهب إلى داره وغطى نفسه بسلاحه وركب جواده المحبوب واخترق شوارع غرناطة ولكن مؤرخ أسبانيا قديماً هو القس انطونيوا أجابيدا يكمل ما حدث بعد رفض موسى لمعاهدة الخزي والعار وبيع غرناطة من الفسدة الفجرة فيقول إن سرية من الفرسان الأسبان تبلغ نحو الخمسة عشر التقت في ذلك المساء بعينه على ضفة نهر "شنيل" بفارس مسلم قد دججه السلاح من رأسه إلى قدمه

وكان مغلقاً خوذته شاهراً رمحه وكان جواده غارقاً مثله في رداء من الصلب فلما رأوه مقبلاً عليهم طلبوا منه أن يقف وأن يعرف بنفسه فلم يجب الفارس المسلم ولكنه وثب إلى وسطهم وطعن أحدهم برمحه وانتزعه عن سرجه فألقاه إلى الأرض ثم انقض على الباقيين ينهال عليهم طعناً وكانت ضرباته نائرة قاتلة وكأنه لم يشعر بما أصابه من جراح ولم يرد إلا أن يقاتل وأن يسيل الدم وكأنه إنما يقاتل للانتقام (بل للشهادة يا سيدي!!) وكأنما يتوق أن يقتل دون أن يعيش لينعم بنصره (الشهادة أجمل من النصر!) وهكذا لبث يبطش بالفارس الأسبان حتى أفنى معظمهم غير أنه أصيب في النهاية بجرح خطير وسقط جواده بطعنة أخرى فسقط الفارس إلى الأرض ولكنه شب على ركبتيه واستل خنجره وأخذ يناضل عن نفسه ويقتل في عدوه، فلما رأى أن قواه نضبت ولم يرد أن يقع أسيراً ألقى بنفسه إلى مياه النهر وتعرفوا عليه إنه موسى الغسان. ولكن لم يعرف أحد حتى الآن هل مات من الجراح أم نجا من الغرق وعاش بعدها، لكن المؤكد أن الأسبان تعرفوا على جواده مقتولاً!!

أما الملك عبد الله فقد سلم ووقع معاهدة السلام وسقطت
غرناطة وسقط المسلمون ودولة الإسلام في الأندلس خرج
الملك من وطنه ولما وصل إلى مراعي على حدود غرناطة
وتأمل مجده الضائع ووطنه المستسلم انهمرت دموعه
وأجهش بالبكاء فصاحت فيه أمه عائشة: "أجل فانتبك كالنساء
ملكاً لم تدافع عنه كالرجال" وتهد الملك مكسوراً ومحطماً،
فأطلق الأسبان على هذا المكان تحديداً ذلك الذي بكى فيه
آخر عبي في الأندلس اسم (زفرة العربي الأخيرة)..

**

وكل ما أرجوه حين يتفسح ويصيف زعماؤنا العرب في
أسبانيا قريباً أن يوقف أحدهم تاكسي منادياً "زفرة العربي
الأخيرة لو سمحت!!..منهم لله!

ومن قال إنا سنهزم أو تصارعت
الحضارات!

أشم رائحة سمك ميت هذه الأيام تخرج من أقلام بعض الكتاب (والكتبة) الذين يطالبون العرب والمسلمين بمراجعة دورهم وأفكارهم التي أدت إلى اتهام الغرب لنا وللثقافة والحضارة الإسلامية بالتعصب والإرهاب!

والمؤكد أنه لا بأس من أن يراجع العرب أنفسهم ليفتشوا عن أخطائهم (وهي كثيرة وأثقل من الهم على القلب) وليبحثوا عن عيوبهم (وهي ليست في حاجة إلى بحث متعب فهي في المرآة بمجرد النظر) وليقوموا بجرد للأعداء والخصوم والأصدقاء (وهو أمر في حاجة إلى أمين مخزن موضع ثقة وليس من هواة إشعال الحرائق قبيل تاريخ الجرد).

لا بأس من هذا كله وهو مطلوب ومرغوب ومفروض كذلك؛ من أين إذن تأتي الرائحة النتنة في الكتابات والمحاضرات والمنتديات التي تدعو إلى مراجعة الذات ومحاسبة النفس العربية؟

مشكلة الذي يدعونا إلى المراجعة أنه يطلق دعوته في مناسبة غريبة للغاية وهي إعلان الغضب الأمريكي والأوروبي على الحضارة الإسلامية والعربية أو على

المسلمين والعرب، وكأن تلك المراجعة للنفس والفكر والسلوك والثقافة مطلوبة الآن لأننا أخطأنا (..) في حق الإنسانية والبشرية؛ ولأن الغرب برجاله وإعلامه ومسئوليه يعلن عن غضبه علينا وعلى تعصبنا وتطرفنا وتخلفنا ومن ثم لم يعد راضياً علينا (مبقاش يحبنا زي زمان!) ولذلك علينا أن نعيد النظر في مواقفنا وحياتنا كي نعرف لماذا نحن هكذا (لا نحظى برضا الإنسانية ولماذا يكرهنا الغرب وشركاه؟).

مشكلة الذين يدعوننا إلى المراجعة أنهم (وهكذا كتب معظمهم) انتهزوا فرصة الهجوم الأمريكي والغربي على العرب والمسلمين وقالوا "بمناسبة هذا الهجوم يجب أن نراجع أنفسنا!" ومن ثم ليست الدعوة لاكتشاف ضعف وتيرو في حضارتنا بل بسبب سوء ظن الغرب بنا وطرده لنا من حضارة الحضارة الغربية، ويبدو هذا متسقاً مع صدور تلك الدعاوى من أساتذة متغربين بالضرورة وأكاديميين يعتقدون أن مخالفة الغرب والاندماج معه هي وسيلة التقدم والتحضر! طبعاً من المهم أن نسجل أن تلك الدعاوى رغبته الأساسية هي تقدم ورقي مجتمعاتنا، ولكن التقليد والإتباع (والتبعية) للغرب هي قنوات الوصول من وجهة نظرهم لهذا

التقدم؛ فضلاً عن الاعتقاد أن نموذج التقدم هو الغرب أي أن كتالوج الحضارة والتطور هو كتالوج غربي بالأساس ولا يمكن إصلاح سيارة إلا باستخدام كتالوج بلادها أما الطريقة الوطنية بتاعة وكالة روض الفرج، موتور مرسيدس وشكمان بيجو وديركسيون فيات وفوانيس فولكس وميكانيكي من عابدين، فتنتهي بنا إلى تخلف وتراجع حضاري (دعك أن سيارات من هذا النوع تجري في شوارع القاهرة كالرهبان!) ولهذا فقد انتهر الإخوة من جمعية أنصار السنة الغربية وزملائنا من مشاركي المجهود الحربي الأمريكي مجريات الأحداث هذه الأيام وقرروا الانقضاء على العروبة والإسلام في لحظة تلقي السهام من كل صوب وطرحوا لعبة الجرد الحضاري (الذي ينتهي بالحريق) وخرجوا بحكاية "إحنا اللي نستاهل، والذنب ذنبنا والغلطة عندنا وإحنا اللي ربينا عيالنا غلط فجابوا لنا العار، وابتعد أيدك يا باشا لا حسن تتوسخ"!!!

والسؤال من الذي وضعنا موضع المتهم وألقى بنا في قفص الجناة؟ من هو أساساً الحكم في تلك المباراة ومن الذي يضع قواعد المعادلة ومعايير المحاسبة! إنه الغرب

والأمريكان، بمعنى أن من يلبس جلبابًا ويطلق لحيته يصبح متخلفاً فيسارع أصدقاؤنا بتويع المجهود الحربي الأمريكي لدعوتنا لارتداء البدلة حتى نواكب الحضارة، هل تلاحظ أن قوات التحالف الشمالي الأفغاني العميل لأمريكا يحرص جنوده على لبس الزي العسكري الغربي كذلك يظهر سياسيوه بالبدل الأمريكي كوسيلة لتعاطف وتأييد العالم وتقديم أنفسهم بديلاً حضاريًا بالبدل ضد بدائي ومتخلفي (..) طالبان والقاعدة!

عشرون مسلمًا وعربيًا على أكثر تقدير دبروا ودمروا في واشنطن ونيويورك فإذا بقوى الغرب الشريرة والعنصرية تخوض حربها ضد الإسلام فيخرج عشرات من مجرمي الكتابة (وهم لا يقلون خطورة عن مجرمي الحرب) يقولون إن الإسلام مسئول فعلاً ويخرج الغربان الذين لونوا جلودهم بالبياض لعل الحضارة الشقراء ترضى عنهم، يزعمون أن مجتمعاتنا الإسلامية بأفكارها وخصالها متخلفة وإرهابية أو على أقل تقدير مسئولة عن التخلف والإرهاب والمفروض أن نراجع أنفسنا أمام خيمة الامتحان التحريري والشفوي أمام لجنة الأمريكان والغرب؛ لابد أن نحفظ ونصم ونصدق

منهاج الغرب ونحفظ أناشيده ونستوعب دروسه حتى ننجح،
أما المناهج العربية والإسلامية فهي التي أودت بنا إلى كارثة
التخلف والإرهاب؛ هذا هو الذي يسعى إلى تمريره وترويجه
وتعميده عدد من مثقفي الماركسية القدامى ومفكري التسيير
التابع وجنود كتبية الكتبة في الجيش الأمريكي من خلال
طرح تلك الأفكار والإحاح عليها ويشاركونهم فريق لا بأس به
من المستقلين والناهين منا، المشكلة أن بعضنا بدأ يستسلم
لهذه الأفكار السقيمة من فرط القهر والإفراط في اليأس،
ورغم أنه يبدو من الصعب القبض على الجمر تلك الأيام إلا
أننا نصر على أن الصراع أو الصدام بين الحضارات أمر
مذموم ومرفوض وغير عاقل أصلاً، لا يجب أن نتعامل مع
هذا الصراع المزعوم كأننا نخافه أو نخشاه وترتجف أجسادنا
من التفكير فيه أو في حدوثه لو فرض علينا فنحن لسنا
الطرف الأدنى أو الأحرر أو الأرخص والأضعف؛ ثم إذا
كانت الحضارات هي محصلة مشاركة وتفاعل بين الإنسانية
كلها فنحن لنا نصيب حقيقي في العز الذي يحياه الغرب بل
هو نفسه ورثة المستبدين والمستعمرين والصليبيين وتجار
العبيد كما أنه ورثة قيم العدل والحرية والمساواة؛ الحضارة

الغربية ليست شرًا أو وبالاً بل فيها الناصع المشرق البراق لكنها كذلك موضع أخذ ورد، ونقض ونقد، ثم أنها ليست مفروضة علينا ولا هي شرط وجودنا؛ بل أصل إلى حد أننا قد نأخذ من تلك الحضارة الغربية ما نحبه وليس ما يفيدنا بالضرورة، ونترك ما نكره حتى لو أفادنا؛ فالتفاعل بين الحضارات مثل نقل كلى أو كبد من جسد إلى جسد آخر؛ مدى قابلية التلقي وقبول العضو الغريب يتوقف عليها نجاح العملية والشفاء؛ ونحن حين نقول حضارة عربية إسلامية نعني أن المسيحي العربي مشارك فيها مثل المسلم العربي تماماً، نعني أنها تحمل داخلها وفي جذورها كذلك حضارة الفرس والفراعنة والعجم والترك واليونان وكل ما تشتره الحضارة العربية والإسلامية؛ نحن أصلاب حضارة وألسنا مستولي أفكار وشحاذي نظريات! ومن ثم نتفاعل ونتحاور ولكننا لسنا في موضع التعامل مع الحضارة الغربية كبضاعة تصدير واستيراد أو تجارة تقفيل وتركيب؛ ثم لماذا نوجه عيوننا إلى الحضارة الغربية (هل لأنها المتسلطة المنتصرة) ولا نتجه إلى حضارة الصين والشرق الآسيوي (هل لأنهم صفر وليسوا بيضاً شقراً مستعمرين!).

ربما نحن في حاجة ماسة إلى مراجع حقاً نحاسب أنفسنا
فيها؛ كيف تركنا مصائر أمتنا في أيدي حكام ظلمة وطمغاة
رموا بنا تحت نعال البيت الأبيض؛ لماذا ينتشر بيننا رجال
نخبة رخوة يكرهون حضارتنا وتراثنا ويعيشون بقمصان نوم
على سرير الغزاة، بعض الذين يطالبوننا بالمراجعة
لحضارتنا الإسلامية والعربية كي يرضى عنا حكام وصهاينة
أمريكا يشبهون تمام أولئك "المتعاونين" مع الاحتلال
الإسرائيلي الذين يبلغون على أماكن فدائي حماس ويشيرون
على مقرات كوادر الجبهة الشعبية من أجل مساعدة الصهاينة
لاغتيال الوطن!

غنى الراعى الأمريكى!

يبدو أن عرفات ليس المرتعش العربي الوحيد الذي يدافع عن بقائه في السلطة على قلبها لطولون، بل هناك عرب وعربان يسعون في تدافع وتكالب يشبه فوضى ساعات ما قبل الزلزال أن يتموا تصفية وبيع القضية الفلسطينية والخلاص منها ومن وجع قلبها وإحراجها لحاملي الأوسمة والنياشين العسكرية من حكام الأمة العربية المنكوبة بحكامها والمخروبة بزعمائها والمهزومة بجنرالاتها والمخذولة بمتفقيها والموكوسة بوزرائها والمنهوبة من رجال أعمالها والمحروسة بالخرز الأزرق والأحجبة ودعاء العواجيز والتعاويد الطيبة من شر أعدائها إذا اعتدوا!

عرفات ليس الملهوف الوحيد فهناك لهفة عربية رسمية على إنهاء الانتفاضة الفلسطينية ولم الدور وتكبير الدماغ وتيريد العروق وتركيب القرون وتوفيق الأوضاع وتلبيس العروسين (عرفات وشارون!!) الدبل وكتب الكتاب في القسم وربنا حلیم ستار!.

ألم تلاحظ حضرتك معي أنه بعد اندلاع الغضب الشعبي العربي الرائع متمثلاً في مظاهرات هائلة سالت فيها دماء شباب مصري وأردني وبحريني برصاص قوات أمن الحكام

العرب الذين يحمون الحاكم لا الشعب والذين يدافعون عن استقرار السلطة وليس عن حق المواطن، ومع المقاطعة العربية المذهلة للبضائع والمحلات الأمريكية والإسرائيلية، أصبح من الطبيعي جداً أن يهاجم رموز السلطة ورجال المباحث الصحفية مظاهرات الطلبة والجماهير ووصفها بالشغب والتخريب وكيف أن الشاب العربي الطائش المضحوك عليه يقف أمام مدرعة الشرطة الودية التي تشبه العصفورة كي يعطلها عن دهس زملائه، وأيضاً يصرخ بهتافات عن عجز الحكام بالذمة شنت انحراف واندساس أكثر من كده! ثم هذا الهجوم الفاسد السافر والسافل على دعوة المقاطعة للبضائع والمحلات الأمريكية لأن الكتاب والسياسيين ومخبري وعسس الصحافة العربية أنفسهم أعضاء فروع محلات أمريكية في الوطن العربي، محلات السي آي إيه للدجاج وسلسلة مطاعم البيت الأبيض للهوت دوج! هؤلاء الذين يتباكون على العمالة المصرية والعربية التي تعمل في فروع هذه الشركات لم نشهد دمة حبر واحدة من أقلامهم على آلاف العمال المفصولين والمطرودين من

مصانع وشركات القطاع العام المتباع في أكبر عملية نهب
ونصب شهدتها بلادنا!!

المهم ألم تلاحظ معي أن المظاهرات في الأسابيع الأخيرة
وهي تخرج في العواصم العربية أصبحت تحت رعاية وطبقاً
لتوجيهات الحكام أنفسهم، لأ وياه زرعت مباحث كل قطر
عربي شقيق غريق (..) طلاباً وأشخاصاً يرفعون صور
زعيم الدولة بطل السلام وكمال الأجسام أو مليكها المفدي
بطل الحلال والحرام وسط المظاهرات مع الهتاف له رأساً
برأس مع فلسطين والمسجد الأقصى بل وكذلك خروج قادة
الجامعات وعمداء الكليات مع الطلبة لنصرة القضية
الفلسطينية مع محاضرات على الهواء عن عظمة حاكم
الدولة (كل باسمه!) ودوره الرائد والعميد في القضية
الفلسطينية!! فضلاً عن عشرات المقالات والبرامج والخطب
عن دور الحكام وزوجاتهم وعيالهم في نصرة الشعب
الفلسطيني مع عد حبات الرز التي أرسلها الحكام للفلسطينيين
وعدد حبات القمح وكم كيلو لحمة وكذا مليون قطنة وقول
بتاع مليون خياراً استراتيجية!!

لقد أدرك الحكام أن العروش تهتز تحت أقدامهم وأن قضية فلسطين التي أسكتوا بها شعوبهم عن المطالبة بالديمقراطية والحرية وتداول السلطة انقلبت عليهم وعلى عروشهم وشكلها ح يقلب جد، وصورتهم صارت مهزوزة ومتهزأة بضعفهم وذلكهم وتبعيتهم أمام أمريكا وإسرائيل، والذي زاد وغطى أن أمريكا نفسها شخطت فيهم وقالت لهم بالصوت الحيائي والبجاجة النسواني التي تتميز بها كوندليزا رايس الخنفساء الأنيقة على رأي صديقي جمال فهمي، قالت لهم كده بالمفتشر وباستخدام عصا الغلية" يعني سكتنا على قمعكم لشعوبكم ووراثة عروشكم وفسادكم عشان خاطر تفوتوا موضوع فلسطين وتسكتوا شعوبكم عنها وفي الآخر يا حاكم منك له لله؛ شعوبكم تكرهنا وتكره إسرائيل ويتقتل روحها عشان فلسطين أمال انتوا قاعدين بتعملوا إيه، والله العظيم ثلاثة وتربي أمني (دي كوندليزا اللي بتحلف) لو ما تلمش موضوع فلسطين ده والانتفاضة لنشوف شغلنا معاكم واحد وراء الثاني وأولكم عرفات ألزهايمر ده!!

الرسالة وصلت للحكام، من هنا تتابع حضرتك الاهتمام المحموم بلم الحكاية، أولاً خلاص بقت العمليات الاستشهادية

عند الحكام العرب انتحارية من الأسبوع اللي فات، والمقاومة
بقت عنفًا، والصهاينة بقوا مدنيين، والدم بقى ميه (ماء)
والبترول أصبح عرقسوس والنفط ليس سلاحًا بلغ غصن
زيتون أو عود جرجير، والمقاطعة بقت شغل عيال
والمظاهرات تحمل صور الحكام، وحماس بقت إرهابية!!
شرم الشيخ أصبحت عاصمة الخيار في الأرض (الخيار
الاستراتيجي طبعًا!) وبدأت طاحونة التسوية وهيا بنا على
مؤتمر السلام واجروا يا غنم قصاد الراعي الأمريكي!!

ما يحدث الآن من الآخر وبوضوح فاجر هو الاستسلام
الكامل للشروط والتعليمات والأوامر الإسرائيلية عبر أمريكا
وإنهاء الانتفاضة مقابل قطعة أرض نحصل عليها بعد كام
سنة ونسميها فلسطين، والحقيقة أن الحكام العرب لا يهتمون
حتى بأن نحصل عليها المهم أن تهدأ الأوضاع وينطفئ
الحريق وربنا يعمل اللي فيه الخير، فقط يظل عرش الحكام
ثابتًا، أولاً من ناحية الشعوب، فتهدأ وتتلم واللي فاكر نفسه
راجل بكره نلبسه طرحة نسوان! ومن ناحية أمريكا، فتخف
وترضى علينا الست كوندليزا وأبونا رامسفيلد شيخ الخفر
ومفيش داعي للنقرزة كل شوية فساد، ديكتاتورية، تزوير

انتخابات، تداول سلطة، حقوق إنسان وقلة القيمة مع الأخ
جروج تنيت مدير المخابرات الأمريكية ومستشار الأمن
القومي الفلسطيني! خلاص خدوا راحة بال إسرائيل واتركونا
أحرار مع شعوبنا ياكش نولع فيهم بجاز، مالكوش دعوة!!
وعندما تكتشف أن هذا هو ما يحدث بنجاح ساحق
على الساحة العربية تضحك من سخريّة الزمن حيث سيفشل
كل التنازل والذل العربي الرسمي تحت يد إرهاب شارون
ونازيته وخلفه نتتياهو بتطرفه ونرجسيته وشعبيته ومعهم
جورج بوش بجهله وغبائه الذي يسمح له بأن يكون حاكمًا
عربيًا عن جدارة.. وأهلاً به في أي وقت.. بيته ومطرحه!!

اعرف عدوك..

هل تذكرون النكتة الشهيرة التي من كثرة ما قيلت باخت، تحكي النكتة عن مواطنين واحد أمريكي والثاني سوفيتي (أيام ما كان فيه اتحاد سوفيتي)، قال الأمريكي الرخم: عندنا في أمريكا حرية وديمقراطية نقدر قصاد البيت الأبيض ذات نفسه نقف ونصرخ ونقول يسقط الرئيس الأمريكي ولا يقبض علينا أحد ولا يحقق معنا أمن ولا نذهب وراء الشمس، رد عليه المواطن السوفيتي الرذل قائلاً: وإحنا كمان عندنا ديمقراطية وحرية في بلدنا، وممكن جدًا تقف قصاد الكرملين وتصرخ وتقول يسقط الرئيس الأمريكي ولا يقبض علينا أحد ولا يحقق معنا أمن ولا نذهب وراء الشمس.. بايخة وقديمة أنا أعرف تمامًا مثل مرة واحدة راح يقعد على قهوة قعد على شاي (فيه أبوخ من كده).. لكن ما يدفع بهذه النكتة إلى ذاكرتي هي تلك الأخبار والمتابعات الهمامة التي نشرها الصحف العربية لمظاهرة ضمت عشرة آلاف إسرائيلي جرت في تل أبيب ونددت بسياسة شارون واحتلال إسرائيل للضفة والقطاع والممارسات الوحشية البشعة التي تمار إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني وامتدت المظاهرات وهنا الأهم إلى سب ولعن سنسفيل شارون ثم تدعيم موقف الضباط

والعساكر الإسرائيليين الذين عصوا أوامر الجيش ومردوا على قاداتهم العسكريين ورفضوا الخدمة العسكرية في مناطق فلسطين المحتلة (من وجهة نظري قطعاً فلسطين كلها محتلة وليست مناطق فيها فقط) وذلك اعتراضاً واحتجاجاً على الاحتلال وعلى ممارسات إسرائيل هناك، والسؤال هو ما مغزى ذلك؟ والإجابة الواضحة (أو التي أظنها كذلك) أن إسرائيل بلد ديمقراطي وحر!! بدليل أن مظاهرة ضد حكومتها ورئيسها بكل هذا العنف في الهجوم عليه بل والتمرد على جيش إسرائيل قد جرت وتمت ولم يمنعها كائن من كان، ولم يمس أحد طرف أي شخص شارك في المظاهرة على أي نحو.. ولهذا السبب تحديداً (لا غيره) انتصرت وتتنصر وستتنصر إسرائيل علينا!! فأنا أتحدى إذا كانت هناك دولة عربية واحدة تسمح بقيام مظاهرة من عشرة آلاف مواطن ليس لا سمح الله ضد حكومة هذا النظام العربي بل ضد إسرائيل وممارستها.. نعم وارجع إلى النكتة كي تعرف أننا لم نعد على مستوى النكتة ومش محصلين نبقي نكتة!! فلا يوجد نظام عربي من اليمين للشمال يسمح بخروج مظاهرة من شعبه ومواطنيه للتبديد

حتى بإسرائيل!! ديمقراطية إسرائيل تسمح لها بخروج آلاف في مظاهرة ليس ضد حكومتها بل وضد جيشها (لم نسمع هناك اتهامات بالعمالة والخيانة ومثل هذا الكلام العربي!) بينما الديمقراطية العربية لا تسمح بخروج مظاهرة من آلاف المواطنين العرب للتديد بإسرائيل (فضلاً عن أن الأنظمة العربية حافلة بالطلاق وتلاثة ما تخرج مظاهرة ضد الحكم والحكومات فيها).. فيها أسوأ من هذا أوضح من ذلك دليل أننا نستحق الضرب بالجزم من العدو الإسرائيلي وسيد الأمريكي!!

حقاً إن إسرائيل تملك سلاحاً أقوى وأعظم مما يملكه العرب جميعاً، ليس هو المفاعل النووي والقنابل الذرية ولا هو أحدث أنواع الطائرات والمدافع وأبرع تكنولوجيا الكمبيوتر وأنظمة المعلومات والانترنت، لا ليس هذا كله رغم أنه موجود ومتفوق بل إنه سلاح الديمقراطية وهو معدوم وفاني ومنسوف نسفاً في وطننا، إسرائيل تنتصر علينا بالديمقراطية، ورغم أن بعض السذج يروجون بقصد (وهذا نفاق) أو من غير قصد (وهذا جهل) للمقولات التي تحبها حكوماتنا العربية من قبيل أن إسرائيل ليست ديمقراطية

بدليل أنها عنصرية ومحتلة وغازبية وغازمة ضد العرب داخل كيانها الصهيوني أو مع المواطن الفلسطيني المحتل فأين هي هذه الديمقراطية في تلك المعاملة والممارسة البشعة التي تقوم بها إسرائيل كل يوم مع الشعب الفلسطيني وكيف تتسق الديمقراطية مع احتلال الأرض!! وهذا كلام يصفق له حكامنا ومستعدون ليدفعوا فيه فلوس!! لكنه كلام كاذب في أصل وشه وجب أن نعرف عدونا وأهم أسلحته كي نجيد عداوته ونعمق كراهيته ونواجه عدوانه ونقهر تفوقه، إسرائيل يا جماعة ديمقراطية تمامًا بينها وبين شعبها ومواطنيها لا علاقة لذلك بمدى طغيانها وعنصريته ضد العرب، الديمقراطية هي المنهج وأسلوب التعامل الذي يحكم علاقة الدولة بمواطنيها أما العلم الخاص بعلاقة هذه الدولة بغيرها من الشعوب أو الدول فهو علم اسمه علاقات دولية، اسمه سياسة خارجية؛ والديمقراطية ليست مهمة وزير الخارجية في الحقيقة!! من هنا فإسرائيل ديمقراطية بمعنى أن شعبها يملك الحق في انتخاب حر نزيه وشريف لحكامه، بمعنى أن أي مواطن هناك يملك الحق والحرية في تكوين حزب (الأحزاب هناك أكثر من الهم على القلب ومعندهمش

لجنة أحزاب خالص ألبته) والانتخابات هناك غير مزورة ولا مطعون في صحتها، والأمن يقف يتفرج على التجمعات الانتخابية. والمؤتمرات السياسية ولا يوجد بوكس بيلم سرادق المرشح المعارض وأساساً فيه مرشح معارض!! وفي إسرائيل تداول للسلطة فلان يروح وعلان ببيجي وعواجز على شباب على ستات على عمال وفلاحين، سلطة ليست حكراً على أحد ولا يملكها أحد بصندوق مبايعه أو ابن سلطان أو سمو الأمير، كما يوجد كذلك حرية رأي وتعبير من أول حق إنشاء الصحف والمحطات التلفزيونية إلى حق التظاهر وبالآلاف وبلا خوف ضد الحاكم والرئيس والحكومة.. فهل عرفت لماذا تهزمتنا إسرائيل؟.. الغريب والمذهل أن الحكومات العربية تردد من خمسين سنة (أهو من خمسين سنة كي لا يزعل أحد!) أننا لابد أن نكون يدًا واحدة وننسى خلافاتنا من أجل أن نهزم إسرائيل ونواجه العدو المشترك على أرض صلبة.. المذهل إنهم يروجون لعطيل الحرية والديمقراطية بل وإلقاء الآلاف في السجون العربية من أجل ألا يعطلنا المتآمرون والمعارضون عن مواجهة العدو، وينادون ويتنادون بأن نقف جميعاً (مثل

طابور التلاميذ) صفًا واحدًا وراء (دائمًا وراء مفيش مرة بجانبه أو قدامه على طول وراء..) القائد من أجل وحدة الزفت الصف!! لا ديمقراطية ولا حرية ولا تداول سلطة ولا انتخابات نزيهة وكله من أجل فلسطين والنصر على العدو.. وطبعًا كلكم واخذين بالكم أن العدو رغم ذلك كله (أو بسبب ذلك كله) هو الذي انتصر علينا وهزمننا.. وأظنكم تابعتم الأخبار في الخمس والثلاثين سنة الأخيرة أن فلسطين ضاعت..!! العجيب في الأمر أن العدو الإسرائيلي الذي انتصر علينا (لا أريد أن أسمع نباحًا أو هوة من أحد أن إسرائيل لم تنتصر) هي التي شهدت ديمقراطية وحرية في التعبير والتغيير وتداول في السلطة وطعنًا ونقدًا وهجومًا على الساسة والحكام فيها وأحزاب مقطعة بعض ومظاهرات ضد الحكام وسحب ثقة في الكنيست كل يوم والثاني وناس معترضة على الجيش ورجال دين بيتكلموا في السياسة ومتطرفين ولاد كلب بيكتسحوا الانتخابات وممثلون بيقلدوا قادة الدولة في التليفزيون وبتريقوا عليهم ومحاكمات لرؤساء وزارة بتهم العبث بالمال العام وتظليع دين وعين رئيس وزراء لأنه جدد مكتبه على حساب الدولة أو شحن الهدايا

على البيت.. ورغم كل هذه الديمقراطية بل وبسبب كل تلك الديمقراطية فقد انتصرت إسرائيل علينا ليس فقط عسكرياً وإنما على كل الأصعدة.. في التكنولوجيا والتصنيع والتصدير والزراعة ودخل المواطن السنوي.. ومع ذلك كل هذا ليس مشكلة فالفقر ليس عيباً والغنى غنى النفس لكن أين هذه النفس أساساً؟

أمريكا تفضل الأسرع.. والأرخص!

بطبيعة الحال لا يوجد عربي عاقل أو محترم يمكن أن يتعاطف أو يوافق الإدارة الأمريكية الصهيونية والمتعطسة عما تفعل وتقرر فيما يخص العراق (وفلسطين بالقطع) لكن أليس من باب أولى أن نسأل أنفسنا ولماذا تطمع فينا أمريكا وتريد أن تفعل وستفعل ما تريد، فكر معي قليلاً لو أن العراق على سبيل المثال بلد حر ديمقراطي ينتخب رئيسه دورتين متتاليتين أو يرحل بعد دورة واحدة ويمضي إلى عمل سياسي أو تطوعي بعيداً عن سدنة الحكم وتوريث البلد لولده أو لولديه!! ماذا لو كان العراق يتمتع بانتخابات حرة وتداول سلطة وقيادات شرعية ومجالس نيابية غير مزورة وغير مزيفة، أكان من الممكن أن يقوم بما قام به صدام منفرداً وكان من الممكن أن تغزوه أمريكا أو تجيش الجيوش من أجله، من المؤكد لا النافية للجنس والناهية عن الأمر لم يكن لتحاربه أمريكا، وربما نعم احتمال، ربما وصل الوضع لما هو عليه الآن أمريكا من استقصاد واستهداف العراق، لكن ساعتها سيكون اختيار الشعب العراقي حراً ويتحمل البلد قراره واختياره!!

لكن الحاصل أن العنف الأمريكي تجاه العراق و ضد كل الدول العربية بلا استثناء تسوق له وتروج أسبابه في العالم كله بأن طغيان حكومات هذه الدول واستبدادها بشعوبها وتبديدها لثروتها وراء الرغبة الأمريكية في الضغط والتغيير وربما الغزو لبعض هذه البلدان.

ويمكن لنا أن نسب أمريكا وإدارتها الحالية للصبح ونغني قصاد بعض عن جهل بوش وغبائه (بينما طبعاً نشيد بعقرية وحكمة وإلهام حكامنا العرب؟؟) لكن أليس ممكناً وسط تجمعات الشتيمة وخطب الهجاء إياها أن نلتفت قليلاً لنذكر أن ما تقوله أمريكا عن طغيان حكومات البلاد العربية حق وأيضاً عن فساد السلطات العربية حق وأنا يجب أن نختشي على دمنا ونعرف أننا سبب بلوة الأمة ونكبة الأوطان، هؤلاء المصابون بالشيخوخة والذين أكلتهم العتة السياسية (فين النفتالين؟) والذين ركبوا على ظهورنا (انتبه أقول ركبوا!!) بتزويرهم للانتخابات وتزييف إرادة الشعب ونفاق وعبادة الحاكم والتصفيق والموافقة المعتوهة في البرلمانات لكل القوانين المكبلة للحرية والمقيدة للديمقراطية، هؤلاء الذين يبايعون ويتملقون ويمجدون ويزحفون أمام كل حاكم

وسلطان وسلطة هم الذين أصابوا الوطن بالضعف أمام الأعداء وجعلوا إسرائيل تستخف بنا وتستهتر أمريكا بنا شعوبًا وحكومات، هذا الحزب وأمثاله الذين جعلوا إسرائيل تبدو أمام العالم كله واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط من تداول سلطة وحرية تكوين أحزاب وسحب ثقة من حكومات وإسقاط رؤساء، بينما نبدو نحن نحيا كالمقطعان على أكوام المبيعات وبرقيات التأييد وانتخابات التزوير وأزهي العصور وهامش الديمقراطية وهاموش الحرية الذي نعيشه!

وهنا يقفز السؤال الذي أردده دائمًا، لماذا لا تطالب أمريكا الدولة العربية المعتدلة بإصلاحات سياسية وهي التي تتهم تلك الحكومات من أول صدام لغاية زين العابدين أن الشعوب العربية صارت تكره أمريكا تمامًا لأنها مقهورة من حكامها العرب الموالين لأمريكا؟ والإجابة هنا وهي التي أكررها كثيرًا حتى أخشى أن أمشي في الشوارع كالمهاويس أرددها وأنا أجز علم أمريكا زاحفًا في ذيلي!! إن الولايات المتحدة الأمريكية لا يهمها إطلاقًا حبنا لها أو كراهيتنا، هي تريد مصالحها في المنطقة البترول وإسرائيل أو العكس وهي تعلم أن الحكومات الديمقراطية الحقيقية في هذه الأوطان لن تحقق

لأمريكا مصالحها بهذا الشكل الكامل والمتفاني والمذلول
والمبتذل، من هنا فهي لا تريد إصلاح هذه الحكومات بقدر
ما تريد استمرارها وبقاؤها وخلودها على مقاعد الحكم وكلما
انغمسوا في طغيان أكثر وديكتاتورية أكبر وفساد أعمق كلما
نفذوا تعليمات وأوامر السادة الأمريكان أفضل وأسرع
وأرخص..!

يبقى أن نلتفت نحن إلى طول المهزلة وعرض المسخرة
التي نحيها فحكوماتنا العربية التي تسمع شعوبها ليل نهار
تغني بكراهية أمريكا (وتشجعها) هي التي تخرج تؤيد
خطوات أمريكا وتسبح بحمدها وتردد حججها وتحني لها
رأسها، إنها حكومات مثلنا تمامًا (نحن شعوبها) جبناء للغاية
وحمقى أكثر من اللازم لا نعرف أن من يريد إيقاف العرائس
عن الرقص يجب أن يقطع خيطها المربوط في يد لاعب
العرائس!

العبرة في السفارة

الذي يتابع تحركات وتصرفات ونشاطات السفير الأمريكي في القاهرة يشعر أنه أمام رجل مخلص في عمله لكن عمله نفسه يخونه فهو أشبه بمندوب مبيعات دؤوب ولحوح يبيع توابيت موتى وينسى في غمرة حماسه ونشاطه أنه يعدد للزبون مميزات وحسنات تابوت ومقبرة ومدفن موت! تشعر أنه يمسك بسياسي أو صحفي لإقناعه بالسياسة الأمريكية كمن يقول له شايف الخشب؛ واخذ بالك إنه خشب زان مستورد؛ طيب شايف ليونة اتساعه ورحابة انسيابه وينسى أنه يتحدث عن تابوت أو نعش، يقول: تحسس بنفسك نعومة القماش وينسى أنه يتغزل في الكفن..!

الخبر السار أن ديفيد وولش السفير الأمريكي في القاهرة ليس يهوديًا (بعد أكثر من سفير يهودي احتلوا مقعده) لكن الخبر السيئ أنه أمريكي الجنسية والعقيدة؛ إنه مندوب مبيعات السياسة الأمريكية في مصر وهو مطالب أن يبيع للمصريين سياسة الانحياز الأمريكي الأعمى والعميق لإسرائيل ويبيع لنا عشرات القرارات الأمريكية بالفيتو لصالح إسرائيل والتحالف معها في سياسة القتل والاعتقال والاحتلال لفلسطين؛ المفروض أن يبيع لنا الكيل بمكيالين

وقتل مليون طفل في العراق ووضع حزب الله وحماس في لائحة المنظمات الإرهابية؛ والمفروض أننا نشترى منه هذه البضاعة وهو يزعل ويأخذ على خاطره لو لم نشترتها! ولأن السفير ليس عبيطاً فمن المؤكد أنه يتخيلنا نحن مجموعة من العبط كي نصدق التسويق والترويج لبضاعة سياسة الموت التي يحاول أن يقنعنا بها منذ الاكتشاف الأمريكي المذهل أن الشعب المصري يكره ويلعن في السياسة الأمريكية بل ويشمت فيها ويتمنى هزيمتها؛ فجأة اكتشف الأمريكي أن بضعة رؤساء تحرير وعداداً من الباحثين وكم دكتور جامعة ممن يحتسون الكوكا في منزل أو مكتب السفير الأمريكي ليسو المجتمع المصري؛ فسارع السفير وسفارته في اللف والمرواح والذهاب وتحديد المواعيد وعقد الجلسات وشرب القهوة والحديث في التليفونات كي يتمكن من تغيير الرأي العام المصري وإقناعه أن أمريكا طيبة وبنيت حلال وبتغسل أسنانها قبل أن تتام وتصلي الفجر حاضر!

تخوض السفارات الأمريكية في البلاد العربية امتحانات شفوية وتحريرية منذ انطلاق حمم الحرب على أفغانستان

والتعليمات القادمة من واشنطن تتركز على محاولة كسب
تأييد القوى السياسية والصحفية والإعلامية في تلك الدول
لصالح الأهداف الأمريكية؛ الحد الأقصى هو تجنيد كل من
يمكن تجنيده من الكتاب والسياسيين في المجهود الحربي
الأمريكي بالدعاية والإعلان والتأييد والترويج والحد الأدنى
هو إيقاف حملات الهجوم على السياسة الأمريكية بأي ثمن
ولو باستعداد الحكومات والمسؤولين الرسميين على صحف
وصحفيين أو إغراء واستمالة المعارضين والمناهضين!

للوهلة الأولى تشعر وأنت تسمع وتقرأ ما يردده
الأمريكان لكسب تعاطف وتأييد الشعوب العربية أننا داخل
أحداث فيلم سينمائي أمريكي من أفلام المحاكمات العظيمة
حيث المحامي لا يملك أي دليل يدافع به عن موكله فيلجأ إلى
رشوة بعض المحلفين وتهديد البعض الآخر وربما يبتز
القاضي نفسه بفيلم بورنو صورته له مع عاهرة في مونتيل!
يتخيل السفير وولش ومن معه أن بذل الجهد فقط في توضيح
الموقف الأمريكي كفيل بتعاطف وتأييد العرب ويسعدني أن
أنصح بتوفير صحته وجهده فالنجاح ليس من قسمته
ونصيبه فليست اللغة هي العائق بيننا حتى يتكلم هو بالعربية

(معظم السياسيين الأمريكيين الذي تعلموا العربية تعلموها في المخابرات الأمريكية أو لأسباب مخابراتية!) وليس الحائل دون تعاطف العرب هو غياب الصوت الأمريكي العاقل والفاهم للثقافة العربية ومن ثم نجد الساسة الأمريكيين الآن يحدثوننا عن رمضان والأشهر الحرم وسماحة الإسلام ولا أجدع وعاظ وشيوخ! وهو أمر كالنصب أو للنصب أقرب!

فقدان الكفاءة الأمريكية في التعامل معنا هي النتيجة الطبيعية لفقدان الضمير في التعامل مع قضايانا؛ إن السفارة الأمريكية تقدم نشرة دعائية شديدة السذاجة تحت عنوان أساطير وحقائق، طبعاً الأساطير هي أي تهمة أو نقد لأمريكا والحقائق هي أي كلمة ولو فارغة تقولها أمريكا! والنشرة تبان من عنوانها فأمريكا لا تخطئ وأي اتهام لها خيالي وأسطوري، وأمريكا تملك الحق كاملاً ومكماً؛ من أولها ألا تشعر بغطرسة أمريكية من اللحظة الأولى في تلك البيانات التي يتصور الأمريكي أني أنها طيارة بي ٥٢ ترمي حجاً وأدلة زنة ١٥ ألف رطل! الملاحظة الثانية أن البيانات التي تفند ما يقوله بن لادن على كل شيء إلا قضية فلسطين

والتحالف الأمريكي الإسرائيلي وقرارات الفيتو الأمريكية ضد أي قرار دولي يعارض إسرائيل والدعم الأمريكي والنازي لسياسة الاحتلال والاعتصاب الإسرائيلية والخسة التي يتعامل بها أفراد الإدارات الأمريكية مع الضحايا والشهداء الفلسطينيين بنيران إسرائيل؛ هذا التجاهل الأمريكي للرد على اتهامات بن لادن (وربما مليار مسلم كذلك!) يدل دلالة واضحة على نطاعة سياسة ولا شك!

وإذا انتقلنا لأساطير أمريكا وحقائقها نجد مثلاً في بيان السفارة الأمريكية في القاهرة.

الأسطورة: أكدت تصريحات تنظيم القاعدة أن الهجمات الإرهابية الأخيرة على الولايات المتحدة كانت جهداً من المسلمين لمعاوية الولايات المتحدة.

الحقيقة: استهدفت الهجمات الإرهابية التي حصلت في الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر/ أيلول أناساً ينتمون إلى كافة الأديان والجنسيات. فقد لاقى مواطنون من حوالي ٨٠ دولة حتفهم، بينهم مئات من المسلمين. كان هؤلاء الضحايا، الذين أصبح يعتقد الآن أن عددهم يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف، من الأبرياء. إن مركز التجارة العالمي ليس

رمزًا للولايات المتحدة، بل للتجارة الدولية، وللازدهار،
ولفرص النجاح لقد سعى الإرهابيون إلى تدمير هذا النموذج
الدولي (المثالي للتقدم العالمي) والتعليق على ذلك من عندنا
أنه إذا لم يكن هجوم بن لادن على المركز التجاري معاقبة
لأمريكا فلماذا يا ترى هاجم أمريكا؛ هل لأنها رمز الحضارة
الغربية ولكن لماذا لم يذهب ليهاجم هولندا مثلاً وهي رمز
للحضارة الغربية التي يكرهها بن لادن قطعاً، هناك حيث
المخدرات المباحة والزواج الرسمي بين الشواذ وغيره؟! ثم
إن مركز التجارة من وجهة نظر كثيرين ممن تظاهروا ضد
العولمة في سياتل وجنوة وغيرهما رمز للسيطرة الرأسمالية
على العالم؛ ثم إن المركز التجاري قد يكون رمزاً لأي شيء
تدعونه إلا أن يكون رمزاً للنموذج المثالي للتقدم فهو رمز
للاستغلال وامتصاص شعوب العالم الفقير؛ ثم لو فرضنا
أن كل ما قالته حقائق السفارة الميمونة حقيقي فعلاً فما هو
مبرر تجاهل حقيقة أن بن لادن هاجم البنتاجون، ويا ترى
البنتاجون يمثل هو أيضاً الحضارة الغربية أم يمثل السياسة
الأمريكية الاستعمارية والعنصرية والقوة المتغترسة
المسيطرة على العالم، ولماذا يركز الأمريكان طيلة الوقت

على ضرب مركز التجارة العالمي ويتناسون ضرب البنّاجون؛ الأمر لا يحتاج إلى د. فرويد لنذكر أن الغطرسة والمصلحة الأمريكية سوف يلحق بها الضرر لو ظهر ضرب البنّاجون في الصورة؛ ثم نعود لبيان أساطير السفارة الأمريكية والسادة الذين بذلوا جهودًا جبارة لترجمة هذا الغناء إلى اللغة العربية يقول البيان (الأسطورة): إن الحملة ضد طالبان والإرهابيين في أفغانستان هي هجوم على الشعب الأفغاني.

الحقيقة: لا تمثل حركة طالبان الشعب الأفغاني. وفي الوقت الذي يواجه فيه الشعب الأفغاني المجاعة والتهجير هربًا من الجفاف، ومن تقائل طالبان مع فئات أخرى في أفغانستان، تفتح حركة طالبان بلادها أمام الآلاف من الإرهابيين غير الأفغانيين. لا يتشارك هؤلاء الأعراب في الأحوال المعيشية الصعبة التي يواجهها الأفغانيون العاديون، وقد قاموا باستغلال موارد الشعب الأفغاني وقواه البشرية لتحقيق مصالحهم الخاصة التي لا ترتبط بأي شكل من الأشكال بمصالح الشعب الأفغاني (انتهت هذه الفقرة ولنحاول نحن استكمال بعض الثغرات الأمريكية)؛ أولاً إن

طالبان لا تمثل الشعب الأفغاني فهذا أمر يرجع للشعب الأفغاني ونحسب أن السيد بوش ليست لديه أصول بشتونية ليحكم بنفسه ومع ذلك ماشي؛ لكن دعونا نذكركم أن طالبان هي التي أوقفت الحرب الأهلية الطاحنة في أفغانستان وأعادت الأمن والأمان لها ورغم ظلامية وغباء أفكار طالبان إلا أن كل شعب حر في التصرف في حكامه والتمرد عليهم وتغييرهم فضلاً على أن قوات التحالف التي يعتمد عليها الأمريكيان ويقدمون لها الدعم المجنون والمهول هم أيضاً أذاقوا الشعب الأفغاني الويلات والحروب وارتكبوا المذابح الشنيعة في حق شعبهم ومنهم من تعتبره منظمات حقوق الإنسان مجرمي حرب مثل العميل دوستم الذي يجلس على الحجر الأمريكي الآن، إذن الموضوع ليس الشعب الأفغاني وطالبان التي عملت فيه وسوت لأنكم حلفاء قتلة وسفاحون تبدو طالبان بجانبهم المهاتما غاندي!. أما الأعراب الذين استغلوا موارد الشعب الأفغاني فهو كلام فارغ حيث إننا وأنتم ندرك أن ظهور طالبان هو الذي أوقف زراعة وتجارة الأفيون والمخدرات كما أن طالبان والأفغان العرب لا يعيشون في القصور واليخوت بل هم في الكهوف والخيام

في أسوأ حياة؛ أما النكته فهي موارد الشعب الأفغاني ونحن نسأل ما هي هذه الموارد والكل يعلم أنه أفقر شعوب الأرض! ثم أليس أغراب أفغانستان هم حلفاء الأمس في المعارك ضد الحكومة الأفغانية المعترف بها دوليًا والتي استقدمت جنودًا سوفيت طبقاً لاتفاقية تحالف ودفاع مشترك! ألم يكن هؤلاء الأغراب هم رعايا المخابرات الأمريكية والعربية المعتدلة! عمومًا ننتقل إلى مثال آخر في حقائق وأساطير الأمريكان المعتمدة من سفارتهم في القاهرة لنقرأ أيضًا.

الأسطورة: إن العمل الذي تقود الولايات المتحدة ضد أفغانستان يشكل نموذجًا لدولة كبيرة تهاجم دون حق دولة صغيرة.

الحقيقة: إن الشعب الأفغاني ليس المستهدف من الحملة الدولية، إذ أن أهداف الحملة هم الإرهابيون الذين ارتكبوا مجازر في الولايات المتحدة، وأفريقيا، وعملاؤهم في نظام طالبان. تستمر الولايات المتحدة في الالتزام بتحسين أحوال الشعب الأفغاني وقد تعهدت بمساعدة هذا الشعب على إعادة بناء بلاده بعد سنين طويلة من ظلم حركة طالبان). وهذه

أطرف أساطير السفارة وهو أن الشعب الأفغاني ليس هو المستهدف ومع ذلك نقتله! ومع ذلك نهدم بيوته ونرمل نساءه ونيتّم أطفاله ونحفر أرضه ونرميهم بالسلاح المشع والقنابل الذرية الصغيرة ونجرب فيهم كل فنون القتل وسقوط الضحايا لا يمكن تجنبه في الحروب ومثل هذا الكلام الذي يسمح لبن لادن أن يقول إنه لا يستهدف الشعب الأمريكي بل الملا عمر - بوش أمريكا - وأن سقوط الضحايا في نيويورك لا يمكن تجنبه وأن ضرب البنتاجون كان هدفاً عسكرياً لقاعدة عسكرية! ومن الجميل أن تحسن أمريكا من أحوال الشعب الأفغاني كما تقول في فيلمها الكوميدي (بطولة جيم كاري!) الذي توزعه سفارتها في القاهرة، فالحاصل أنه سوف تساعد الأفغان على الموت ودخول الجنة وهل أحسن من كده أحوال!

والسؤال الآن بعد كل هذه الحقائق والأساطير في السفارة هو: أين فلسطين، نحب أن نسمع لحناً من ألحان البلوز الأمريكية عن دور واشنطن في ذبح الفلسطينيين؛ ثم سؤال أخير: متى كانت آخر مرة عرض فيها المسؤولون الأمريكيون أنفسهم على طبيب أمراض نفسية وعصبية؟